

سلسلة المائة كتاب
اللغة والمعنى والسياق
جون لاينز
ترجمة : د. عباس صادق الوهاب
مراجعة : د. يوئيل عزيز
دار الشؤون الثقافية العامة



دار الشؤون الثقافية العامة
وزارة الثقافة والاعلام

١٩٨٦



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

العنوان
العراق ـ بغداد اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

اللغة والمعنى والسياق

جون لاينز

ترجمة

الدكتور عباس صادق الوهاب

الطبعة الاولى بغداد ـ ١٩٨٧

اللغة والمعنى والسياق

جون لاينز استاذ علم اللغة في جامعة سسكس منذ عام ١٩٧٦ ، ولد في مدينة مانجستر في عام ١٩٣٢ ـ ودرس في كلية القديس بيد بمانجستر وفي كلية المسيح بكمبرج ، وكان محاضراً في كلية الدراسات الشرقية والافريقية بلندن من عام ١٩٥٧ وحتى عام ١٩٦١ ، وفي جامعة كمبرج من عام ١٩٦١ وحتى عام ١٩٦٤ حينها اصبح استاذاً في علم اللغة العام بجامعة ادنبرة .

لقد اسهم جون لاينز كثيراً في مجلة علم اللغة Journal of linguistics والملحق الادبي لصحيفة التايمز times literary supplement اما الكتب التي ألفها فمنها علم الدلالة البنيوي (١٩٦٣) structural semantics ، و علم اللغة النظري (١٩٦٨) theoretical linguistics و آفاق جديدة في علم اللغة (١٩٧٠) new horizons in linguistics ، و علم الدلالة ـ في مجلدين ـ (١٩٧٧) semantics ، كما انه مؤلف كتاب جومسكي (طبعة منقحة ، ١٩٧٧) chomsky المنشور في سلسلة مودرن ماسترز لفونتانا fontana's modern masters series .

مقدمة لعلم اللغة في سلسلة فونتانا

بلغ علم اللغة ـ دراسة اللغة على نحو نظامي في السنوات الخمس والعشرين الماضية ـ مرحلة الاستقرار ، وهو موضوع اخذ يتوسع بسرعة ويزداد قراؤه . ويدرس الان موضوعا لنيل الشهادات الجامعية في العديد من الجامعات . وقد ادرك علماء النفس وعلماء الاجتماع والفلاسفة وعلماء الانثروبولوجيا والمعلمون والمختصون بمعالجة امراض النطق واخرون غيرهم ان اللغة ذات اهمية بالغة في حياتهم وعملهم ، ولكنهم عندما حاولوا اكتشاف المزيد عن هذا الموضوع جابهوا مشكلة رئيسة الا وهي مشكلة الطبيعة التقنية والضيقة في اغلب الاحيان للكثير مما كُتب عن علم اللغة .

ان سلسلة فونتانا في علم اللغة تحاول حل هذه المشكلة وذلك عن طريق تقديم النتائج الحديثة باسلوب سلس غير تقني ، وتتوخى في ذلك هدفين اولهما هو انها تأمل ان تقدم ملخصا للحالة الراهنة في نواح مهمة معينة للموضوع ، مركزة على ما يجري حاليا بدلا من استعراض الماضي ، وثانيهما انها تهدف الى اظهار علاقة علم اللغة بعلوم اخرى مثل علم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة ومعالجة امراض النطق وتدريس اللغات .

اننا نأمل ان تساعد هذه السلسلة القراء على فهم اوسع للعلاقة بين اللغة والنواحي الاخرى للسلوك البشري ، وان تيسر للذين يرومون اكتشاف المزيد عن الموضوع اساسا يمكنهم قراءة بعض الكتابات التي تتميز بطابع تقني اكثر والتي تظهر في الكتب المنهجية والمجلات العلمية .

جين أجسون
كلية الاقتصاد بلندن

تمهيد

عندما طلب مني ان اؤلف كتابا قصيرا في علم الدلالة لهذه السلسلة اعتقدت اني سأعمد فقط الى اختصار اجزاء معينة من كتابي **علم الدلالة** بمجلديه (١٩٧٧) semantics وتبسيطها . ثم ظهر ان من الافضل ان اضع خطة مختلفة تماما . وبما ان للكتب كافة طابعها المتميز والذي لايطابق دائما ميول مؤلفيها ، فان كتاب اللغة والمعنى والسياق يختلف كل الاختلاف عن كتابي **علم الدلالة** semantics لا في الحجم والاسلوب ومستوى العرض حسب بل كذلك في النقاط التي يؤكدها . ومع ذلك فقد سعيت لجعل الكتابين منسجمين مع بعضهما البعض من حيث الرموز والمصطلحات ، وان يكونا منسجمين كذلك مع كتابي المنهجي التمهيدي الاخير « **اللغة وعلم اللغة** » (١٩٨١) language and linguistics .

ان لي نظرة واسعة لعلم الدلالة فهو بالنسبة لي يعني حسب تعريفه دراسة المعنى ، اما علم الدلالة اللغوي فهو دراسة جميع انواع المعنى المختلفة التي يرمز اليها على نحو نظامي في اللغات الطبيعية ، وبالتالي فاني اضم الى علم الدلالة اللغوي قسطا كبيرا مما يعده العديد من زملائي تابعا للجانب الذرائعي (براكماتيكس) على انني اميز بين الكفاءة والاداء (او القدرة والانجاز) من ناحية ، وبين المعنى والاستعمال من ناحية اخرى . وفضلا على هذا فانا لست من اعداء علم الدلالة الشكلي ، خلافا للانطباع السائد عني لدى العديد من مراجعي كتابي **علم الدلالة** semantics ، بل ان من اهدافي الرئيسة في تأليف هذا الكتاب ان ابين كيف ان علم الدلالة الشكلي باعتباره تحليل الجزء الاساس لمعنى الجمل ـ محتواها الاساس (المنطقي) ـ يمكن دمجه من حيث المبدأ وربما من حيث التطبيق ، بحقل علم الدلالة

اللغوي الاوسع ، وتوخيت ايضا هدفا متمما لذلك هو ان ابين ان علم الدلالة الشكلي المبني على شروط الصدق كما هو مطبق حاليا ، يخفق في معالجة الانواع الاخرى من المعنى اللغوي .

وهنا اود ان اسجل امتناني الى رئيسة تحرير هذه السلسلة جين اجسون على مشورتها التي لا تثمن وعلى مساعدتها ، فهي التي طلبت مني تأليف هذا الكتاب واقترحت عليّ الخطة العامة لكتابته ، وعملت الكثير من اجل تحسين النص وجعله اكثر ملاءمة للقراءة وذلك من خلال تعليقاتها على المسودة الاولى ، كما انها زودتني بالعديد من العناوين المناسبة للفصول ونصوص الاقتباس ، ولاحاجة الى القول اني اتحمل كامل المسؤولية عن الاخطاء والتحذلق مما لايعد ضروريا والذي اخفقتْ في اقناعي للابتعاد عنه .

جون لاينز
جامعة سسكس

الجزء الاول

المقدمة

الفصل الاول

تهيئة المشهد

شروح تمهيدية

وياللمصيبة ! الا تفهمين اللغة الانكليزية ؟ اقول لك اقول لك « اخبريني ماذا تعنين » فتجيبني « ارغب ان اقول كذا وكذا » فاجيبك « لا عليك لما تريدين قوله ، اخبريني عما تعنين »

توم ستوبارد : بروفنشال فاول

يستخدم الفعل mean (يعني) والاسم meaning (معنى) في مجالات واسعة من السياق ، وبمعانٍ مختلفة متعددة ، كما هي حال العديد من الكلمات الانكليزية الاخرى ، فعلى سبيل المثال لو اخذنا الفعل « يعني » كما هو مستخدم في mary means well (تعني ماري خيرا) فان ذلك يدل على ان ماري لا تقصد سوءاً . ان فكرة القصد هذه لا تتوفر عادة في that red flag means danger ان ذلك العلم الاحمر يعني الخطر فليس المقصود من هذه العبارة ان العلم كان يحمل خططا لتهديد اي شخص ، وانما المقصود التنبية الى حقيقة ان العلم الاحمر يستخدم عرفا للدلالة على ان في البيئة المحيطة بنا خطرا ـ كأن يكون هناك شق كبير في سطح التل المغطى بالثلج ، ثمّ استخدام اخر للفعل mean مماثل لاستخدامه مع العلم الاحمر من ناحية

واحدة في الاقل وهو استخدامه في smoke means fire ان الدخان يعني حريقا ، ففي كلتا الحالتين شيء واحد قيل انه اشارة لشيء آخر ، فمن وجود العلامـة ، العلم الاحمر أو الدخان ، يستطيع اي شخص ذي معرفة ضرورية ان يستدل على وجود ما تشير اليه العلامة الخطر او النار ، ولكن بين الامرين فرقا مهما فالدخان اشارة طبيعية للنار له علاقة سببية بما يشير اليه الدخان ، اما العلم الاحمر فيمثل علامة عرفية للخطر ، فهو رمز ثابت حضاريا . ان هذه الفروق بين المقصود واللا مقصود من ناحية وبين ما هو طبيعي وما هو عرفي او رمزي من ناحية اخرى ، تقوم بدور رئيس في التقصي النظري للمعنى .

ان استخدام الفعل mean في معان مختلفة كما جاء في الامثلة التي استخدمتها حتى الان يتمثل بوضوح في حقيقة كون العبارة mary means trouble تعني ماري تضمر سوءاً غامضة (تحمل اكثر من معنى واحد) اذ يمكن تفسيرها كما فسرنا mary means well وتعني ماري خيراً ، او كما فسرنا smoke means fire . .

ان الدخان يعني حريقاً ، ويمكننا استخدام شيء من التصور لابتكار سياق أو نص يمكن بموجبه تفسير الفعل mean عـلى نحو مقبـول في mary means trouble ، بـالطريقـة التي يفسر فيهـا عادة في thatred flag means danger وسنـرى ان معـظم الوحدات الكلامية اللغوية تعتمد في تفسيراتها على السياق الذي تستخدم فيه ، وان اغلبها لها مدىً من المعنى اوسع من مدى المعنى الذي يطرق البال اول وهلة ، ولا تختلف الوحدات الكلامية التي تتضمن الكلمة « معنى » (او الفعل «يعني») عن الوحدات الكلامية الانكليزية الاخرى في هذا الخصوص .

لنأخذ الان استخداما آخر للفعل « يعني » ، فاذا قلت ان soporific means "tending to produce sleep" المنوم يعني « يبعث على النوم » فاني بلا شك لا انسب القصد الى الكلمة الانكليزية soporific (المنوم) على انه يمكننا ان نناقش المسألـة

فنقول ان هناك علاقة جوهرية ولو انها غير مباشرة بين ما يعنيه المرء او يقصده وبين ما تعنيه عرفاً الكلمات التي يستخدمها . لقد بحث فلاسفة اللغة هذه النقطة باسهاب فلن اطيل بحثها هنا ولن اتطرق الى نقطة اخرى ذات صلة بها وهي ان هناك ايضا علاقة ذاتية وربما اكثر مباشرة بين ما يعنيه المرء وبين ما ينوي قوله (وهذه النقطة مهمة لفهمنا للنص الذي اقتبسناه من توم ستوبارد في بداية هذا الفصل) وساتناول فيما بعد الفرق بين قول ما يعنيه المرء وبين ما يعنيه المرء من قوله ، وذلك في جزء متأخر من هذا الكتاب ، وهو فرق اخر حظي بمناقشة مستفيضة في فلسفة اللغة ، ان القصد ذو اهمية كبيرة في اي تفسير نظري لمعاني الوحدات الكلامية اللغوية وان لم يكن من خصائص الكلمات التي تتكون منها هذه الوحدات الكلامية ، ونذكر الان فقط ان معنى الكلمة « يعني » كما هي مستخدمة في « المنوم » يعني « يبعث على النوم » يعتبر محور الاهتمام بالنسبة لعالم اللغة .

يستطيع المرء ان يواصل لفترة طويلة تعداد امثلة عن الاستعمالات المتعددة للكلمتين (يعني) و (معنى) ومناقشتها، ويمكنه ايضا ان يلاحظ ويناقش وحدات كلامية امتزجت فيها استعمالات عديدة او تدرج فيها معنى واحد حتى تداخل الكلمتين في المعنى الاخر . ان هذه الظاهرة مستغلة بذكاء في الشعار الاعلاني beanz meanz heinzs ان الفاصولية تعني شركة هاينز ، ويستمد هذا الشعار القسط الاكبر من تأثيره بالطبع من مخالفته لاحدى قواعد النحو في اللغة الانكليزية الفصحى ومن التقطع والايقاع احادي المقطع والسجع الجزئي ومن تلاعبه المتقن بالتهجئة ، الا انه في الوقت ذاته يستغل كما هو الحال في اعلانات كثيرة ، إمكان مزج مفهومين او ثلاثة مفاهيم متميزة عادة للكلمة الواحدة بشكل يصعب على القارىء او السامع اعطاؤه تفسيرا واحدا محددا لها .

ان النقطة الرئيسة التي اود توضيحها في هذا القسم ليست المعاني المتعددة

للكلمتين (يعني) و (معنى) بل ان هذه المعاني المتعددة مترابطة مع بعضها البعض وممتزجة مع بعضها البعض في طرق مختلفة ، وهذا هو السبب الذي جعل موضوع المعنى يحظى باهتمام عدد كبير من العلوم الاجتماعية وهو لا يقع كله ضمن اي واحد منها ، وقد يرغب علماء النفس في التعرف على معنى بعض الشذوذ في السلوك ، وقد يبحث علماء الانثروبولوجيا (علم المجتمعات البشرية) عن بعض الطقوس الدينية البدائية ، وقد يبحث علماء السلالات البشرية في معنى انماط السلوك في الحيوانات ، وغير ذلك .

ولعل **علم اللغة** ـ الدراسة العلمية للغة ـ من اكثر العلوم اهتماما بالمعنى وتعدّ دلالة المعنى جوهرية بالنسبة للغات كما نعرفها ، وربما صح القول ان فكرة « اللغة من غير فكرة » غير منطقية في حد ذاتها ، فضلا على ذلك لا يمكن مقارنة مجال المعنى وتنوعه وتعقيداته كما هو معبر عنه في اللغة باي سلوك للاتصال عند البشر او غيره ، مع أن انواعا عديدة من السلوك يمكن وصفها بانها ذات معنى .

ان جزءاً من الفرق بين اللغة والانواع الاخرى من السلوك الاتصالي مستمد من القصد والعرف المشار اليهما سابقا ، فالحيوان يعبر عادة عن مشاعره ومواقفه بالسلوك اللا قصدي واللا عرفي على ما يعتقد ، فعلى سبيل المثال يعبر السرطان عن عدوانيته وذلك بتلويح احد مخالبه الكبيرة ، اما الانسان فلا يعبر عن غضبه بتلويح قبضته عن قصد او عن غير قصد ، الا في القليل النادر ، بل يعبر في اغلب الاحيان عن مشاعره العدوانية وغيرها بوحدات كلامية لغوية مثل **سوف تندم على هذا** او **سأقاضيك** او **كيف تجرؤعلى هذا التصرف !** ، اما الكلمات التي يستخدمها فمن الواضح ان لاصلة طبيعية غير عرفية بين شكلها ومعناها . الا اننا سنرى في هذا الكتاب ان دلالة المعنى في اللغة ليست مجرد الكلام عما تعنيه كل كلمة .

كيف يعالج علماء اللغة اذن معاني الوحدات الكلامية ؟ ان طرقهم في معالجة

اي جزء من الموضوع تحت الدرس تختلف حسب المناخ الفكري السائد كما هو الحال في العلوم الاخرى بصورة عامة والعلوم الاجتماعية بصورة خاصة ، بل مرت فترات في الماضي القريب ، وبصورة خاصة في امريكا وفي الفترة ما بين عام ١٩٣٠ ونهاية الخمسينات اهمل فيها علم الدلالة اللغوي ـ دراسة المعنى في اللغة ـ الى حد كبير ، ويعود السبب في هذا الى الاعتقاد السائد آنذاك ان المعنى امر ذاتي يقع خارج نطاق التقصي العلمي ولو على نحو مُوقّت في الاقل وهناك سبب اكثر خصوصية لهذا الاهمال النسبي لعلم الدلالة اللغوي وهو تأثير علم النفس السلوكي في بعض المذاهب اللغوية الامريكية وليس كلها ، ولم يعد الان تأثير المدرسة السلوكية قويا نتيجة ظهور نظرية جومسكي في النحو التوليدي كما كان عليه قبل عشرين عاما ويعترف علماء اللغة فضلا على علماء النفس بالكثير من الحقائق التي كانت تعتبر مرفوضة على اساس انها ذاتية ولا يعول عليها . ثمة اسباب اخرى ايضا لها علاقة بالتقدم التقني في حقل علم اللغة من ناحية وفي حقلي المنطق وفلسفة اللغة من ناحية اخرى ، بعثت الاهتمام بعلم الدلالة اللغوي الى حد كبير .

بناءً على ما تقدم يبحث هذا الكتاب في نقاط القوة والضعف لأهم مفاهيم علم الدلالة اللغوي التي ظهرت نتيجة للاتصالات بالفلاسفة في السنوات الاخيرة . ان معالجتي للموضوع انتقائية بالضرورة ، وهي شخصية الى حد ما ، فقد اعتمدت على احكامي الخاصة وليس على اجماع زملائي في تقرير ماينبغي ادراجه وماينبغي حذفه او مجرد ذكره دون اللجوء الى مناقشة مستفيضة ، وهذه المناقشات ولاشك تقنية الى حد ما في بعض الاحيان حتى على المستوى الذي تعرض فيه هنا ، وهناك عدد من المصطلحات التخصصية التي ينبغي الاحاطة بها ، اذ لا يمكن التحدث عن اللغة بأية درجة من الدقة دون استخدام اطار شكلي الى حد ما ، على انني اعتقد انه ليس في هذا الكتاب ما هو ذو طابع تقني بحت بالنسبة لغير اللغوي ذي العزيمة الحادة ، فأملي

وطيد في ان يحصل القراء على فكرة مقتضبة عن بعض الطرق التي يستخدمها علماء اللغة في معالجة مشكلة المعنى خلال الربع الاخير من القرن الحالي ، فضلا على انهم سينمون قابليتهم على قراءة مؤلفات اخرى في هذا الحقل بنظرة نقدية لمزاياها ونقاط عجزها .

فرضيات وتعاريف

قبل الشروع بالعرض ، علينا ان نفترض عددا معينا من الفرضيات في كتاب كهذا ، وبما ان اهتمامنا منصب بشكل خاص على اللغة فاني سابدأ بافتراض ان كل فرد يعرف بصورة عامة في الاقل ما هي اللغة وكيف تستخدم ، وسأفترض ان في كل اللغات كلمات وجملاً ، وان كلا من الكلمات والجمل لها معنى ، وان معنى الجملة يعتمد جزئياً على معنى الكلمات التي تتكون منها ، وان كل قارىء لهذا الكتاب يستطيع ان يحدد ويفسر كلمات وجمل اية لغة من اللغات ، بما فيها اللغة الانكليزية ، له قدرة لغوية فيها . ان هذه الافتراضات بعيدة كل البعد عن كونها ساذجة كما تبدو لاول وهلة وتتطلب بعضها دراسة بعناية كبيرة فيما بعد ، الا انه يمكننا ان نحرز تقدما ملحوظا دون التشكيك بها ، ويمكننا الان ان نوجه اهتمامنا الى احد الموضوعات الرئيسة في هذا الفصل وهو كيف نتحدث عن اللغة .

يمكن ان تستخدم اللغات للتحدث لا عن العالم بصورة عامة حسب ، بل عن نفسها ايضا وعن لغات اخرى ، وبما ان لهذه الوظيفة الاخيرة سمة خاصة الى حد ما فمن المألوف اليوم ان نشخصها بمصطلح تقني خاص الا وهو ما وراء اللغة metalinguistics لقد كون علماء اللغة وعلماء المنطق عددا متنوعا من ما وراء اللغات ذات طابع شكلي جدا ، كما سنرى ذلك في فصل قادم ان وظيفتها الوحيدة وصف اللغات الطبيعية الاعتيادية على ادق وجه ممكن ، وسنستخدم في هذا الكتاب اللغة

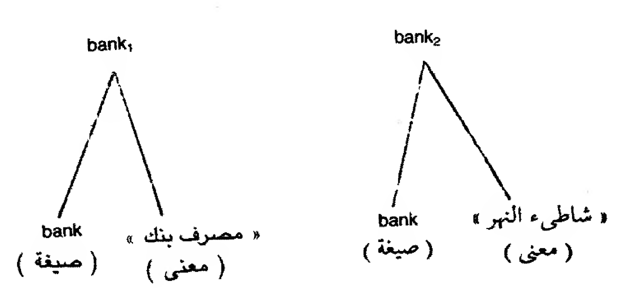
الانكليزية بوظيفة ما وراء اللغة بصورة رئيسة ، وسيسهل عملنا ـ على اية حال ، اذا ما هيأنا لانفسنا عددا من المصطلحات والرموز كيما نستطيع معرفة ما نتحدث عنه عندما نستخدم اللغة الانكليزية او اية لغة طبيعية اخرى على نحو ما وراء اللغة ، وهناك قواعد معينة في لغتنا الام نستخدمها في حياتنا اليومية على نحو ما ماوراء اللغة من غير وعي بها عادة ، ومما يؤسف له انها لا تمنع سوء الفهم في جميع السياقات خاصة عندما تستخدم اللغة المكتوبة للاشارة الى لغة الكلام .

لقد قلنا ان للكلمات معنى ولها صيغة ، بل ان للغة الانكليزية ولأية لغة اخرى ذات نظام كتابة مصمم لها صيغة مكتوبة واخرى للكلام وهي شائعة الاستعمال ، بيد اننا لن نضطر على العموم الى التمييز بين هاتين الصيغتين ، ولكن من الضروري ان نفرق بين الكلمة نفسها وبين كل من صيغتها ومعناها . ويمكننا ان نستخدم الصيغة المدونة الاعتيادية للكلمة لتمثيل الكلمة نفسها بوصفها وحدة مركبة مؤلفة من صيغة ومعنى فضلا على استعمالها لتمثل الصيغة او المعنى بوصفهما منفصلين عن بعضهما البعض ، وهذا ما نفعله في الاستخدام اليومي للغة الانكليزية ولغات اخرى في وظيفة ما وراء اللغة ، وعلى اية حال ـ علينا ان نثبت اعرافا رمزية متميزة لكي نوضح ايا من هذه الوظائف المختلفة الثلاث لما وراء اللغة تقوم بها صيغة ما في حالة معينة .

مما يؤسف له ، عدم وجود اعراف مقبوله عموما ، وان اكثر الانظمة المستخدمة شيوعا لا تحقق الحد الادنى الواضح من التمييزات المقدمة حتى الآن . وستستخدم في هذا الكتاب علامات الاقتباس المفردة للدلالة على الكلمات والتعابير الاخرى ذات الصيغة والمعنى وتستخدم الحروف المائلة (بلا علامات اقتباس) للدلالة على الصيغ ، وعلامات الاقتباس المضاعفة للدلالة على المعاني ، وتضاف ارقام الى الاسفل في بعض الاحيان للتمييز بين الكلمات المتجانسة ـ الكلمات

المتجانسة هي كلمات مختلفة ذات صيغة واحدة ، فعلى سبيل المثال تعتبر $bank_1$ و $bank_2$ كلمتين متجانستين ، أي انهما تشتركان في الصيغة bank ، الا انهما تختلفان في المعنى فـ $bank_1$ تعني « مصرف ، بنك » ، بينما تعني $bank_2$ « شاطىء النهر » (انظر الى الشكل ١) .

الشكل ١



بيد ان الجناس ليس واضحا كل الوضوح كما قد يفهم من كلامنا هنا ـ اذ نناقشه بالتفصيل في فصل قادم ، كما سنناقش باسهاب الفروق القائمة بين المعاني المختلفة التي يستخدم فيها المصطلح (كلمة) على نحو تقني وفي التخاطب اليومي ، اما الان فتستخدم «كلمة» على نحو بسيط عام .

لو تأملنا قليلا لرأينا ان كل ما فعلناه حتى الان يقتصر على وضع نظام ورموز لاغراضنا الخاصة لجزء واحد من الاستعمال المألوف لما وراء اللغة للغة الانكليزية . فعندما يرغب الشخص الاعتيادي ان يشير الى كلمة ما فانه يفعل هذا بذكرها بصيغتها المكتوبة او بصيغتها في لغة الكلام . فهو قد يقول على سبيل المثال :

هل يمكنك ان تخبرني ماذا تعني 'synonymy' ؟ «ترادف»

وقد يكون الجواب التالي احد الاجوبة المحتملة لهذا السؤال :

للاسف لايمكنني هذا : انظر معناها في المعجم

اذ تشير - ها في هذا السياق الى كلمة «ترادف» كما يمكن التعويض عنها بهذه الكلمة وهذا ماتفعله المعجمات السياسية فهي تشخص الكلمات بصيغها وذلك بادراجها بموجب تسلسل عرفي بحت حسب حروف الالفباء التي تعلمناها جميعا في المدرسة لهذا الغرض حسب ، ثم ان معظم المعاجم تميز الكلمات المتجانسة كما ميزنا بين bank₂ و bank₁ اذ اعطيناهما رقمين متميزين ، كما اعطينا كل واحدة منها مدخلا معجميا مستقلا .

الكلمات : الصيغ والمعاني

ان اغلب الكلمات الانكليزية لها اكثر من صيغة واحدة مرتبطة بها فعلى سبيل المثال تشترك الكلمتان bank₁ و bank₂ في صيغة المفرد bank وفي صيغة الجمع banks (فضلا على صيغتي التملك او الاضافة bank's و banks' واللتين تختلفان عن صيغة الجمع banks في اللغة الانكليزية المدونة وليس المحكية) كما ان لكلمة sing «يغني» الصيغ النحوية التالية :

sung, sang, singing, sings, sing وهلم جرا ، على ان في كل حالة من هذه الحالات صيغة واحدة من صيغ الكلمة مقبولة عرفا للاستشهاد بالكلمة ، اي الصيغة المستعملة للاشارة الى الكلمة في مجملها ، وهذه الصيغة هي التي تظهر بها الكلمة حسب تسلسل الالفباء في بداية كل مدخل في المعجم القياسي . ومن الجدير بالذكر ان صيغة الاستشهاد للكلمة ليست بالضرورة صيغة الكلمة التي يحددها النحوي على انها الجذر او الاصل ، وتعتبر صيغة الاستشهاد في اللغة الانكليزية مشابهة

عموما لصيغة جذر الكلمة ، الا ان هذا لايصح على اللغات كافة ، وسنعمد في كل جزء من اجزاء هذا الكتاب الى استخدام صيغة الاستشهاد بالكلمة ذات قبول شائع في تقليد تأليف معاجم اللغات المشار اليها

ان لمعظم الكلمات الانكليزية اكثر من صيغة واحدة ، ليس هذا حسب ، بل ربما يكون لها كذلك اكثر من معنى واحد ؛ وفي هذا الخصوص تعتبر اللغة الانكليزية انموذجا للغات الطبيعية ، فعلى سبيل المثال يعتبر ما حددناه بـ $bank_1$ ذا معانٍ اخرى فضلا على معناه الاخر « مؤسسة مالية ـ بنك ـ مصرف » وتشمل هذه المعاني ما يلي : « مخزن او مكان للخزن » (قارن هذا بـ «بنك المعلومات» و «مصرف الدم» ، الخ) و « النقود التي يحتفظ بها موزع الورق في بعض العاب القمار » ، ثم اننا نعطي على نحو عشوائي ارقاما للمعاني المتعددة للكلمة الواحدة لكي نستطيع ان نميز بينها برموز وعلى النحو التالي : لو اعتبرنا س صيغة الاستشهاد لكلمة ما فاننا نشير لتلك الكلمة بـ «س» ونميز معانيها المتعددة على نحو «سأ» و«سب» و«سج» وهلم جرا ، ولو عدنا الى مثالنا السابق 'bank' فانه يمكننا ان نعتبر «مؤسسة مالية ـ مصرف» معنىأ له و«مخزن او مكان للخزن» معنىب له ، وهلم جرا . مما لا شك فيه هذه مجرد وسيلة رمز تقليدية ملائمة تعتمد سلفا على افتراضين اولهما ان معاني الكلمات منفصلة عن بعضها البعض ، وثانيهما ان بامكاننا ان نميز بين معنى وآخر . وعليه تعتمد وسيلتنا للرمز هذه على افتراض مفاده ان معاني الكلمات قائمة بحد ذاتها ويمكن تمييزها ، وهو افتراض معمول به في المعاجم القياسية ، ونحن بدورنا نقره في الوقت الحاضر في الاقل .

ولكن من المفيد لاي شخص لم يفعل ذلك من قبل ان يأخذ مجموعة من الكلمات الانكليزية الشائعة مثل $bank_1$ « مؤسسة مالية ـ مصرف» و $bank_2$ «شاطىء النهر» (وربما كذلك $bank_3$ التي تعني « صف من المجاذيف ، او المزاول ، او مفاتيح

الالة الكاتبة ، وما الى ذلك » و«لعبة» و «منضدة» و «شجرة» ، وان يستخرج معانيها في ستة معاجم كبيرة معتمدة ، وسيجد ان هناك فروقا عديدة في التفاصيل تخص التعريفات التي تعطيها المعاجم لهذه الكلمات و عدد المعاني التي يمكن ادراكها لكل منها ، وسيجد ان بعض المعاجم ، وليس كلها ، تستخدم مستوى آخر للتمييز ، بحيث تميز « س١ » عن « س٢ » عن « س٣ » وتميز « س١أ » عن « س١ب » عن « س١ج » ، وهلم جرا . فعلى سبيل المثال يعتبر « النقود التي يحتفظ بها موزع الورق » و « الشخص الذي يحتفظ بهذه النقود » معنيين ثانويين لـ bank$_1$. ان اقل ما يمكن ان يقال هو ان الخبرة المكتسبة من مقارنة عدد من المعاجم المختلفة مع بعضها البعض بهذه الطريقة ينبغي ان يوضح انه ليس من السهل تحديد عدد المعاني التي تحملها الكلمة الواحدة كما يبدو لاول وهلة .

ويمكن ان نسأل الان سؤالا اخر ندرجه في جدول الاعمال وهو : اذا كانت الكلمات المتجانسة لها صيغة واحدة ولكنها تختلف في المعنى ، فلماذا نقول مثلا ان « مؤسسة مالية ـ مصرف » و « مخزن او مكان للخزن » معنيان مختلفان للكلمة ذاتها ؟ ألا ينبغي على المرء ان يقول ان الامر يخص كلمتين مختلفتين ، كما فعلنا بخصوص bank$_1$ « مؤسسة مالية ـ مصرف » و bank$_2$ « شاطىء النهر » ؟ ويرى بعض اصحاب المذاهب النظرية ان علينا ان نقول هذا متى ما ثبت وجود فرق في المعنى ومن السهل ان نرى ان هذا الرأي لا يمثل الا نقل المشكلة الفعلية لتحديد المعاني المختلفة والمتعددة للكلمة الى مستوى آخر لتنظيم المعجم .

هناك سببان لاعتبار bank$_1$ و bank$_2$ كلمتين متجانستين عرفا . اولا وقبل كل شيء تختلف هاتان الكلمتان من حيث الاصل ، فـ bank$_1$ كلمة مستعارة من اللغة الايطالية (لاحظ banca) في القرن الخامس عشر اما bank$_2$ فيمكن اقتفاء اثرها الى اللغة الانكليزية الوسطى ، وقبلها الى كلمة اسكندينافية (لها علاقة وثيقة بالمصدر

الالماني للكلمة الايطالية banca الا انها تختلف عنها من حيث انحدارها التاريخي) .
والسبب الثاني ان معاني bank₁ من ناحية اخرى متداخلة فيما بينها بطرق مختلفة ، والنسق الذي ترقم به هذه المعاني وطريقة ادراجها في المعجم يعكسان عموما وجهة نظر المحرر عن مدى ارتباط المعنى الواحد بالمعاني المجاورة له تـاريخيا ومنـطقيا .
وسوف نمعن النظر فيما بعد في مفهوم العلاقة في المعنى ، ونكتفي الان بملاحظة انه يمكننا عادة ان نشخص معنى واحدا للكلمة ونعتبره اكثر مركزية من المعاني الاخرى للكلمة ذاتها ، وهذا هو المعنى الذي اتوقع ان يتذكره القارىء متى ما اشرت الى معنى الكلمة من غير شرح اضافي عنه وذلك باستخدام الوسيلة الرمزية وهي علامات الاقتباس المضاعفة والتي ذكرتها آنفا .

الجمل والوحدات الكلامية

نذكر ان من افتراضاتنا الاولية افتراضا مفاده ان معنى الجملة يعتمد جزئيا على معنى الكلمات التي تتكون منهـا تلك الجملة ، والعامـل الاخر ولاشـك تركيبهـا النحوي ، اذ يمكن ان تتكون جملتان من الكلمات ذاتها (وتفسر كل كلمة بالطريقة ذاتها) ، ومع ذلك تختلف الجملتان الواحدة عن الاخرى كما في المثالين الاتيين :

Itwas raining yesterday « كانت تمطر يوم امس »

was it raining yesterday ? « أوَ كانت تمطر يوم امس ؟ »

وكذلك في المثالين الاتيين مع فرق بسيط :

john admires mary « ان جون معجب بماري »

mary admires john« ان ماري معجبة بجون »

يلاحظ القارىء اني استخدم علامات الاقتباس المفردة للجمل وكذلك للكلمات والتعابير الاخرى ذات الصيغة والمعنى .

لقد كان علماء اللغة حتى وقت قريب يعيرون اهتماما كبيرا لـوصف معاني الكلمات المستقلة اكثر من اهتمامهم في تحديد تفاصيل كيفية اشتقاق معنى الجملة من معاني الكلمات المكونة لها وذلك باعطائهم قواعد تشير الى تركيبها النحوي ، الا ان الموقف تغير على نحو ملحوظ خلال السنوات الخمس عشرة الماضية او نحو ذلك ، ولتحقيق البساطة في العرض سوف نجعل من التمييز بين معنى الكلمة ومعنى الجملة مبدأً رئيساً في تنظيم هذا الكتاب ، على ان نتناول معنى الكلمة في الجزء الثاني من الكتاب ومعنى الجملة في الجزء الثـالث ، على ايـة حال علينـا ان نؤكد بـان هذا الاسلوب في تنظيم المادة لا يحمل في طياته مطلقا اية اولوية منطقية لمعنى الكلمة على معنى الجملة او العكس . ولا جدوى من مناقشة موضوع الاولوية المنطقية الا بعد ان نتوسع بعض الشيء في انشاء الاطار النظري .

ان التمييز بين معنى الجملة ومعنى الوحدات الكلامية والنصوص يهيىء لنا مبدأً تنظيميا اخر ، ولايمكن التسليم بهذا التمييز بالطريقة التي يمكننا التسليم بها بـالتمييز بـين معنى الكلمة ومعنى الجملة . فهـو ليس اقل ألفـة بالنسبـة للرجـل الاعتيادي حسب ، بل انه موضوع جدل عميق وارباك بين المختصين ، ويمكننا ان نؤجل الان معظم التفاصيل الى الجزء الرابع ، الا ان من الضروري عرض بعض النقاط العامة هنا .

تشير كلمة "utterance" وحدة كلامية (قولة) في اللغة الانكليزية اليومية عادة الى اللغة المحكية ، وتشير كلمة text «نص» الى اللغة المدونة ، ولكن سنتوسع في هذا الكتاب في مفهوم هاتين الكلمتين بحيث تدل كل منهما على اجزاء من الكـلام او الكتابة ، ونفترض ان الكلام يسبق الكتابة لا من وجهة نظر تاريخية حسب ، بل كذلك من حيث تركيبه ووظيفته باستثناء حالة او حالتـين ، وعليه سـوف نصوغ تعميماتنا على اللغة عادة باستخدام مصطلحات تجعل هذه التعميمات اكثر ملائمة

للتكلم مما هي عليه بالنسبة للكتابة في حالات معينة . على سبيل المثال سنتحدث عن الشخص الذي ينتج الوحدة الكلامية بانه المتكلم ونتحدث عن الشخص الذي توجه اليه هذه الوحدة الكلامية بانه السامع . ولكن اللغة ليست كلاما ، بل ان احدى الميزات البارزة جداً للّغات الطبيعية استقلالها النسبي عن الوسط الذي تظهر فيه ، فاللغة تبقى لغة سواء ظهرت كلاما او كتابة ، فاذا استخدمت كتابة فليس مهما ان يتم هذا حسب حروف الالفباء او حسب طريقة بريل او حسب نظام مورس ، وما الى ذلك . ان درجة التطابق بين لغة الكتابة ولغة الكلام تختلف نوعما من لغة لاخرى لاسباب تاريخية وثقافية ، ولكن يمكن ان تطابق معظم الجمل في لغة الكلام الجمل المدونة في اللغة الانكليزية وفي اغلب اللغات التي يُحتمل ان تكون مألوفة لدى قرّاء هذا الكتاب . وسنعنى فيما بعد بحقيقة ان هذا التطابق ليس تطابقا كاملا . اما الان فعلينا ان نلاحظ ان الوحدة الكلامية ، شأنها شأن « النص » ينبغي تفسيرها على انها تشمل اجزاء من اللغة المكتوبة او لغة الكلام او لكليهما حسب السياق .

ليس من الضروري اضافة اي شيء اخر في هذه المرحلة عن النصوص ، بل ليس لدي شيء اقوله عن النص حتى نأتي الى الفصل التاسع ، وفي هذه الاثناء يمكننا ان نتصور النصوص على انها تعاقب من الوحدات الكلامية . ولكن المصطلح وحدة كلامية غامض في بعض الاحيان خلافا للمصطلح [نص] فهو يشير في احد معانيه الى نوع معين من السلوك . كما انه يشير في معناه الاخر المرتبط بـالمعنى الاول لا الى السلوك نفسه بل الى نتاجاته ، اي انه لا يشير الى التكلم (او الكتابة) ، بل الى ما ينطق به (او يُكتب) ، وفي اغلب الاحيان يستخدم الكتاب المصطلح هذا دون توضيح المعنى الذي يستخدم فيه ، وهم يعرفونه احيانا حسب معنى معين الا انهم يستخدمونه فيما بعد حسب معنى آخر ، والأسوأ من ذلك انهم ينتقلون عشوائيا من معنى لآخر، ومن الواضح ان هناك صلة بين المعنيين ، الا ان طبيعة هذه الصلة

ليست بينة بذاتها ، وهو موضوع نقاشنا في الجزء الرابع .

واثناء ذلك سنقيم عرفا للاصطلاحات مفاده انه متى ما استخدم المصطلح وحدة كلامية في هذا الكتاب دون اية مواصفات اضافية ، فانه ينبغي تفسيره حسب المعنى الثاني الوارد ذكره اعلاه ، أي انه يشير الى نتاج نوع معين من السلوك ، وحسب هذا المعنى للمصطلح تعتبر الوحدات الكلامية **نقوشا** كما يسميها بعض فلاسفة اللغة ، اي انها سلسلة من الرموز ذات وسط مادي ، فعلى سبيل المثال تنقش الوحدة الكلامية المحكية عادة في وسط صوتي (حسب المعنى التقني للفعل «ينقش») ، بينما تنقش الوحدة الكلامية المدونة في وسط مناسب آخر يجعلها واضحة المعالم على نحو مرئي . يضاف الى هذا انه طالما تستخدم اللغات للاتصال عادة ، ان لم نقل بالضرورة ، فانه يمكن اعتبار الوحدات الكلامية اشارات ترسل من المرسل الى المتسلم عبر قناة ملائمة وسنميز نقوش الوحدات الكلامية عن الجمل في الكتابة باستخدام الحروف المائلة .

ينبغي التأكيد على ان الوحدات الكلامية للغة الطبيعية ليست مجرد سلسلة او خيوطاً من صيغ الكلمات ، فهناك مكون لا كلامي يفرض دائما وبالضرورة فوق المكون الكلامي في كل وحدة كلامية محكية ، ويقسم علماء اللغة هذا المكون اللا كلامي الى مكونين فرعيين ، اولهما المكون الفرعي **العروضي** وثانيهما المكون الفرعي **شبه اللغوي** ، ولا حاجة للاهتمام هنا بتحديد الحد الفاصل بين الاثنين ، بل علينا ان نلاحظ فقط ان الحدود العروضية للوحدة الكلامية يشمل تنغيمها ، وربما كذلك نمط نبرها ، وان الميزات شبه اللغوية تشمل امورا مثل نغمة الصوت وضخامته ، والايقاع ودرجة سرعة الصوت ، وما الى ذلك . ان هذه الميزات غير الكلامية للوحدة الكلامية مهمة في تحديد معناها كأهمية معنى الكلمة والمعنى النحوي ويدخل كلاهما في المكون الكلامي . ويعتبر المكون الكلامي المكون الوحيد **القابل للانتقال**

في الوسط ، اي ان تركيبه يمكن ان يبقى ثابتا من حيث المبدأ عند تحويل الكلام الى كتابة . ان بعض انظمة الكتابة تتضمن الى حد ما مبادىء عرفية لتنقيط الوحدات الكلامية المدونة ، الا ان هذه لا تضارع مطلقا الفوارق المهمة في تنغيم لغة الكلام ، وحتى لو صاحبت الاعراف الاعتيادية للتنقيط وسائل طباعية مثل استخدام الحروف الكبيرة والحروف المائلة والطباعة الغامقة اللون وعلامات النبر وما الى ذلك ، تبقى ثمة اجزاء من الحدود العروضية للوحدة الكلامية دون تمثيل .

هذه نقطة مهمة ، فجميع علماء اللغة ومعظم الفلاسفة يؤيدون مشافهة في الاقل مبدأ اعطاء الاولوية للغة المحكية ، ولكن عليهم ، وعلى اخرين غيرهم ، ان يكونوا على قدر من الحذر اذا ما ارادوا ان يلموا بكل جوانب هذا المبدأ عند وضع نظرية مقبولة لعلم الدلالة اللغوي ، اذ ان عادات وتحيزات معرفة القراءة والكتابة متغلغلة في تفكيرنا اليومي عن اللغة ، وان العديد من هذه العادات قد انتقلت من غير تمحيص الى التفاسير النظرية للمعنى والاتصال ، ولا استطيع الدخول في تفاصيل هذا الموضوع ، على انه ينبغي ان يكون واضحا الان ان لمبدأ الانتقال اللغوي عبر وسط مشكلات تتعلق بالجزء شبه اللغوي والجزء العروضي للمكون اللاكلامي للوحدات الكلامية . واحدى النتائج العملية لهذه الحقيقة هي ان كل وحدة كلامية مدونة وردت في هذا الكتاب تقريبا او في غيره من كتب اللغة يمكن تطابقها مع وحدات كلامية محكية مختلفة . فعلى سبيل المثال يمكن لفظ او قراءة الوحدة الكلامية mary wan't come «ماري سوف لا تأتي» قراءة عالية بطرق عديدة لتدل على الملل او التعجب او اليقين ، وساحاول ان اختار امثلتي مع شرح كافٍ حين تقديمهابشكل لم يعد مهماً اي من الوحدات الكلامية المحكية المهمة المختلفة العديدة يختارها القارىء قدر تعلق الامر بموضوع البحث ذاته ، الا انني قد لا اوفق دائما في هذا المضمار اذ يصعب على المرء عند الكتابة ان لايقع فريسة لعادات معرفة القراءة

والكتابة ، ناهيك عن الانحياز نحوها .

اني افترض موقتا ان القارىء الذي يمتلك قدرة على التعرف على جمل اية لغة من اللغات يمتلك كفاءة لغوية فيها كما انني افترض افتراضا اخر هو ان بعض الوحدات الكلامية ، حقيقية كانت ام محتملة انما هي جمل وان وحدات كلامية اخرى ليست بجمل ، فبعضها ليست جملا لانها غير صحيحة نحويا ، بينما البعض الاخر منها ليست جملا لانها ناقصة نحويا ومن ناحية اخرى هناك جمل غير مقبولة بشكل او باخر بالرغم من انها كاملة نحويا ، أي انها لا يمكن نطقها في السياقات الاعتيادية كافة ، عدا تلك السياقات التي يشار اليها بما وراء اللغة ، فعلى سبيل المثال ربما كان في مجتمع معين استخدام الفعل die يموت من المحرمات وليس pass away يتوفى في عبارات تشير الى افراد اسرة المتحدث او السامع المباشرين ، وهكذا ربما تكون الجملة التالية مقبولة :

His father died last night مات ابوه ليلة امس

بينما لاتقبل الجملة المعادلة لها نحوياً :

My Father died last night مات ابي ليلة امس

وكذلك ربما لايقبل من شخص ذي منزلة اجتماعية واطئة ان يخاطب شخصا ذا منزلة اجتماعية عالية باستخدام ضمير المخاطب (« انت ») . وهناك العديد من امثال هذه الابعاد الخاصة بالقبول والتي تعتمد على الحضارة ، وان قسما منها يدخل في نحو لغات معينه ومفرداتها كما سنرى ذلك فيما بعد .

ثمة ابعاد للقبول ذات طبيعة تختلف نوعيا عن تلك التي ذكرناها وهي ذات علاقة بالعقلانية والترابط المنطقي . فعلى سبيل المثال يمكن اعتبار الجملة ،

«اعتقد انه حدث لانه مستحيل»

غير مقبولة من وجهة النظر هذه ولو انها تنطوي على المغالطة وليس لانها بلا معنى او تناقضية . ان ما يجعل هذه الجملة غير مقبولة في معظم السياقات كون المتحدث

يسترعي الانتباه من خلال تفوهه بها الى عدم عقلانيته هو بالذات ، وهذا امر غريب في معظم الظروف الاعتيادية . على اية حال حتى مثل هذه الوحدات الكلامية قد تكون مقبولة تماما في سياقات معينة ، ومما يجدر ذكره ان قبول الجمل النحوية ذات المعنى ليس شيئا يمكن تحديده بعيدا عن السياق الذي قد تنطبق فيه هذه الجمل او قد لا تنطبق فيه .

ان اهتمامنا في الجزئين الثاني والثالث من هذا الكتاب ينحصر بالوحدات الكلامية التي تعتبر جملا في الوقت ذاته ، ونؤجل حتى الجزء الرابع مهمة تحديد ما المقصود بدقة بالتعبير « ينطق جملة » وتوضيح كيف يمكن توسيع هذا ليشمل وحدات كلامية صحيحة نحويا الا انها ناقصة والتي بدورها تكون فرعا خاصا من اللاجمل ، ان غالبية وحداتنا الكلامية الاعتيادية قد تقع تماما ضمن هذا الفرع من اللاجمل .

لقد قلت اني ساعالج موضوع الفرق بين معنى الجملة ومعنى الوحدة الكلامية في الجزء الرابع ، واكتفي في هذه المرحلة بطرح نقطتين عامتين ، الاولى ان معنى الجملة مستقل عن السياق الى حد كبير اما معنى الوحدة الكلامية فليس كذلك . والنقطة الثانية ان بين معنى الجملة **واستخدامها** المميز علاقة ذاتية لا لتلك الجملة بالذات بل لصنف الجمل باكمله الذي تعود اليه هذه الجملة بحكم تركيبها النحوي . ويمكن عادة صياغة هذه العلاقة على نحو موقت ومقبول كالاتي : الجملة الخبرية هي الجملة التي تعود بمقتضى تركيبها النحوي الى صنف من الجمل يستخدم اعضاؤه على نحو مميز في التعبير عن خبر كما في (ان مشروب الگنيز مفيد لك) او (افضل ان يكون مشروبي غير ممزوج) اما الجملة الاستفهامية فهي الجملة التي لها علاقة بالاسئلة بمقتضى صيغتها ووظيفتها كما في (ماهو موعد وجبة الغداء ؟) وغيرها . وعندما تحدثنا سابقا عن عبارتي It was raining yesterday (كانت تمطر يوم امس) و was it raining yesterday? (كانت تمطر يوم امس ؟) وقلنا ان معناهما يتحدد

جزئيا بواسطة تركيبها النحوي ، استعنا ضمنا بمعرفتنا بالاستخدام المميز للجمل الخبرية والجمل الاستفهامية ، ويلاحظ ان مفهوم الاستخدام المميز يرتبط بصنوف الجمل وليس بكل جملة عضو في الصنف . هذه مسألة مهمة مع ان بعض الجمل تستخدم مطلقا في الظروف الاعتيادية في وظيفة يمكن بواسطتها تعيين الصنف الذي تعود اليه ، وسنرى لا حقا انه يمكن استخدام الجمل كافة في بعض الاحيان لا داء ما يسمى بافعال الكلام غير المباشرة (استخدام الجمل الخبرية لطرح الاسئلة او الجمل الاستفهامية للطلب وغيرها) بيد ان من المستحيل ان تستخدم غالبية الجمل الخبرية عادة لطرح الاسئلة او ان تستخدم غالبية الجمل الاستفهامية للتعبير عن خبر ، وهلمجرا . ان السبب في هذا يعود الى ان الجمل الخبرية والجمل الاستفهامية بطبيعتها انما هي جمل ذات استخدام مميز منسوب اليها هنا . اضافة الى ذلك اذا كانت هناك لغة ليس فيها صنف من الجمل محدد نحويا لاحد هذه الاستخدامات المميزة فلن يكون فيها جمل خبرية او جمل استفهامية كما ينبغي ان يكون عليه الحال .

يتضح مما تقدم ان معنى الجملة له علاقة بمعنى الوحدة الكلامية بمقتضى مفهوم الاستخدام المميز ، الا انه يختلف عنه في ان معنى الجملة مستقل عن السياقات الخاصة التي تنطق فيها الجملة . اما معنى الوحدة الكلامية فيتطلب تحديده ان نأخذ بنظر الاعتبار العوامل السياقية ، وعلينا ايضا ان نجري بعض التعديلات وندخل بعض القيود فيما بعد ، الا ان هذا يكفي لغرض تنظيم محتوى الكتاب في الجزئين الثالث والرابع .

لقد استخدمت المصطلح (علم الدلالة) بمفهوم واسع نسبيا دون تمييزه عن الذرائعية (البراكماتكس) ، ومن الطرق التي توضح التمييز بينهما الطريقة المبينة هنا للتمييز بين معنى الجملة ومعنى الوحدة الكلامية . فاذا اخذنا هذا التمييز بنظر الاعتبار استطعنا ان نلاحظ ان الجزء الثالث من هذا الكتاب يعالج **علم الدلالة** وان

الجزء الرابع يعالج **الذرائعية** ، الا ان هناك طرقا اخرى للتمييز بين الاثنين . فعلى سبيل المثال يصنف علماء اللغة علم الدلالـة ضمن **القدرة** (معـرفة اللغـة) ، و يصنفون الذرائعية ضمن **الاداء** او **الانجاز** (استخدام اللغة) . فليس هناك اي شيء غير عقلاني في تعريف علم الدلالة والذرائعية بهذه الطريقة بل ان هذه الطريقة للتمييز بين الميدانين تتضمن في الواقع الكثير مما يجعلها مقبولة ، اذا عمدنا الى تفسير للقـدرة اللغويـة اشمل واكـثر طبيعيا من التفسـير الذي يعتمـده عادة النحـويون التوليديون ، ولا يناقض هذا بالضرورة التعاريف المبنية على التمييز بين معنى الجملة ومعنى الوحدة الكلامية ، ولن نحصل على اية نتيجة في هذه المرحلة سوى الارباك اذا حاولنا دمج تمييزين او اكثر في تمييز واحد .

النظريات المختلفة للمعنى

لقد تحدثنا حتى الان باسلوب تمهيدي عن معنى الجملة ومعنى الوحدة الكلامية ومعنى الكلمة دونما اية محاولة لمعرفة ماهو المعنى . هناك نـظريات عـديدة مختلفـة معروفة للمعنى ، من بينها النظريات التالية :

(١) نظرية **الاشارة** (معنى التعبير هو مايشير اليه هذا التعبير او يمثله فمثلا فيدو يعني فيدو ، وكلب يعني صنف الكلاب او الميزة التي تشترك فيها الكلاب كافة) .

(٢) نظرية **الفكرة** او النظرية **الذهنية** (معنى التعبير هو الفكرة او المفهوم المرتبط بذلك التعبير في ذهن اي شخص يعرف هذا التعبير) .

(٣) النظرية **السلوكية** (معنى التعبير الحافز الذي يثير هذا التعبير او الاستجابة التي يثيرها التعبير ، او مزيج من كليهما في مناسبات معينة من النطق) .

(٤) نظرية **المعنى - هو - الاستخدام** (معنى التعبير يحدده استخدام هذا التعبير في اللغة ان لم نقل ان معناه مطابق لاستخدامه في اللغة) .

(٥) النظرية **التحقيقية** (معنى التعبير ، ان كـان لهذا التعبـير معنى ، يتحدد في امكانية التحقق من الجمل او الافتراضات التي تحتوي على هذا التعبير) .

(٦) نظرية **شروط الصدق** (معنى التعبير مساهمته في شروط الصدق للجملة التي تحتوي على هذا التعبير) .

لا اعتقد ان اية نظرية من هذه النظريات نظرية للمعنى في اللغات الطبيعية شاملة وعملية ، الا ان كلا منها قـد ساهمت بشكـل او اخر في وضـع خلفية من الفرضيات للذين يعملون حاليا على بناء نظرية كهذه ، ولن ادخل في تفاصيل اية من هذه النظريات في هذه المرحلة ، على انني ساشير الى بعض المفاهيم الاولية التي تميز بين هذه النظريات في الفصول التالية وساقوم بشرحها ضمن السياق الذي ترد وتطبق فيه ويمنعني ضيق المجال من الدخول في تفاصيل العـلاقات النـظرية العـديدة او القضايا الفلسفية المرتبطة بها .

مما تجدر ملاحظته هنا على اية حال ان احدى الاجابات الفلسفية الدفاعية عن السؤال : « ما هو المعنى ؟ » هي « ليس هناك شيء كهذا » . وكان مثلا جـواب وتكنشتاين في كتاباته الاخيرة ، وينبغي اخذه مأخذ الجد . إن من المعقول ان نتحرى عن معاني الكلمات والجمل والوحدات الكلامية وكذلك من المعقول ان نستفسر عما تعنيه هذه الاشياء وبعملنا هذا فاننا نستخدم الكلمتين الانكليزيتين meaning معنى و mean يعني في احدى وظائفها اليومية ما وراء اللغة . وكما شاهدنا سابقا هناك كذلك معانٍ او استخدامات يومية اخرى للكلمتين meaning معنى و mean معنى ويعتقد بعض الفلاسفة على الاقل ان هذه المعاني او الاستخـدمات لهـا علاقـة جوهـرية بالوظيفة التي مثلناها توا ، وربما كانت هذه العلاقة اكثر اساسية منها . ومن الجدير بالذكر ان هذه المعاني او الاستخدامات لا يمكن دائما وضعها في تطابق تام مع معاني او استخدامات تعابير مشابهة من نوع اخر في لغات اوربية مألوفة كاللغة الفرنسية او اللغة الالمانية او اللغة الايطالية او اللغة الروسية او اللغة الاسبانية . ان هذه الحقيقة

بحد ذاتها جديرة بالتأمل ، على ان ما يهمني في الوقت الحاضر هو توضيح نقطة بسيطة ، وهي اننا لا يمكننا ان نستدل على وجود المعاني بصفتها وحدات مادية او عقلية من وجود الكلمة الانكليزية اليومية meaning «معنى» ودلالة معناها .

لقد كان جزءاً من هدف وتكنشتاين تأكيد تنوع وظائف الاتصال التي تؤديها اللغة وشعاره (لاتبحث عن المعنى بل ابحث عن الاستخدام) (الذي بدوره لا يؤدي بالضرورة الى نظرية المعنى - هو - الاستخدام مع انه يفسر هكذا عموما) ينبغي ان يفهم بموجب هذا الهدف وقد اوضح وتكنشتاين ، كما فعل الفلاسفة الذين يدعون بفلاسفة اللغة الاعتيادية منهم جي ال اوستن (وسندرس نظريته عن **افعال الكلام** في الجزء الرابع) ان السؤال « ما هو المعنى ؟ » يميل الى استقطاب اجوبة قد تكون عامة جدا فتصبح فارغة او ضيقة في تعريفها للمعنى بشكل يجعلها خلوا من كل ماله صلة بما يفكر به مستخدمو اللغة الاعتياديون عندما توجه اليهم اسئلة معينة عن معنى هذا التعبير او ذاك في لغتهم .

ساعتمد فيما يلي رأيا واسعا نوعما عن المعنى ، فضلا على انني سافترض دون جدل في هذه المرحلة ان هناك علاقة جوهرية بين المعنى والاتصال ، ولا يخلو هذا الافتراض من الجدل ، الا انه افتراض يطرحه عادة الفلاسفة وعلماء النفس وعلماء اللغة ، فهو يُمكننا من اعطاء صورة افضل عن العلاقة بين الصيغة والمعنى في اللغات الطبيعية من الصورة التي نحصل عليها عن طريق اي بديل اخر متوفر حاليا . واود ان اؤكد على انه بالرغم من اني استشهدت بعدة نظريات فلسفية عن المعنى ، واعتمدت كثيرا عليها في هذا الكتاب فاني لست مكترثاً بالقضايا الفلسفية بحد ذاتها بل بالمشاكل النظرية والعملية التي تنشأ في معرض وصف اللغات الطبيعية ، واعتقد ايضا ان الكثير من البحث الجاري حاليا في مجالي علم الدلالة اللغوي والذرائعية مشوه في نواح معينة مهمة وذلك بسبب الاخفاق في الاعتراف الكلي بالفوارق

البنيوية والوظيفية بين اللغات ، وسابذل قصارى جهدي لاثبات رأيي هذا .

المعنى الوصفي والمعنى اللا وصفي

لن احاول في هذه المرحلة ان اقدم تصنيفا شاملا للانواع المختلفة للمعنى والتي ينبغي ان تعالجها نظرية لغوية المنحى لعلم الدلالة والذرائعية ، ويبدو لي ان من الافضل ان اقدم وعلى نحو تدريجي المفاهيم التقنية ذات الصلة وبقدر تعلق الامر بالمعطيات الحقيقية ، على انه ربما يكون من المفيد ان اقدم الان تمييزا واسعا جدا يمكن تطويره فيما بعد بتفصيل اكثر .

وهوالتمييز بين **المعنى الوصفي** (او **المعنى الاساس**) و **المعنى اللا وصفي** او **المعنى اللاأساس**) (هناك مصطلحان بديلان معادلان تقريبا للمصطلح «وصفي» وهما ادراكي ومعنى الاشارة) ، وفيما يتعلق بالمعنى الوصفي هناك حقيقة معترف بها عالميا وهي ان اللغات يمكن استخدامها للادلاء ببيانات وصفية صائبة او خاطئة طبقا لصواب او خطأ القضايا (المنطقية) التي تعبر عنها ، ولقد حظيت هذه الحقيقة باهتمام خاص في نظرية علم الدلالة المبني على شروط الصدق وهذه نظرية اصبحت لها أهمية بالغة في السنوات الاخيرة .

اما المعنى اللا وصفي فاكثر تغايرا في الخواص من المعنى الوصفي ، واقل من مركزية حسب رأي العديد من الفلاسفة وعلماء اللغة ، ويتضمن ما سأشير اليه **بالمكون المعبر** (هناك مصطلحات بديلة معادلة له تقريبا وهي «مؤثر» و «موقفي» و «انفعالي») ، فالمعنى المعبر - اي المعنى الذي يعبر المتحدث بموجبه عن معتقداته ومواقفه ومشاعره بدلا من ان يصفها - غالبا ما يعتقد انه يقع ضمن مدى علم الاسلوب او الذرائعية ، وسيتضح لنا ان بعض انواع المعنى المعبر هي بلا شك جزء من معنى الجملة ، ويترتب على هذه الحقيقة ان المعنى المعبر يقع جزئيا في الاقل ضمن

علم الدلالة بالنسبة لكل من يميز بين علم الدلالة والذرائعية بموجب التمييز بين الجمل والوحدات الكلامية ، ومن المفيد ان نذكر ان اللغات على ماتبدو تختلف فيما بينها اختلافا ملحوظا في مدى استخدامها للنحو في المعنى المعبر ، وفي اللغة الانكليزية قدر قليل نسبيا من هذا ، فهي تدخل المعنى المعبر في جزء كبير من مفرداتها وفي التركيب العروضي للوحدات الكلامية ، شأنها في هذا شان اللغات الطبيعية كافة ، ومما يبعث على الجدل القول ان معنى الجمل مستقل عن حدودها العروضية التي تنطق بها هذه الجمل (على الرغم من ان غالبية علماء اللغة لايؤيدون هذا الرأي) ، وربما عن ادوات التعجب وادوات السياق من النوع الذي نجده في لغات عديدة . ولكن المعنى المعبر ـ كما سنرى ذلك ـ يمتزج ايضا بالمعنى الوصفي في العديد من الاسماء والافعال والصفات الاعتيادية .

ونؤجل بحث الانواع الاخرى من المعنى اللا اساس حتى وقت لاحق ومما يجدر تأكيده ، على اية حال ، ان الوظائف المعبرة للغة لايمكن تمييزها على نحو دقيق عن وظائفها الاجتماعية والعملية فنحن كائنات حية اجتماعية لنا اهداف مفروضة اجتماعيا واخرى ممنوعة اجتماعيا ، وقد لا نُظهر دائما وعن وعي نوعا من التصور الذاتي دون سواه ، وقد لا نعبر عن قصد عن المشاعر والمواقف التي نعبر عنها لنستغل السامع ونحقق هدفا ما دون غيره . ومع ذلك يستحيل علينا ان نعبر باللغة عن مشاعرنا ومواقفنا ومعتقداتنا مهما كانت هذه شخصية وعفوية الا باستخدام الفوارق المتميزة المتوفرة في نظم لغوية معينة ـ وسنرى في هذا الكتاب لاسيما في الجزء الرابع ، ان المعنى المعبر يندمج بالضرورة مع ما يسميه العديد من الكتاب بالمعنى **مابين الشخصي** او المعنى **النزوعي ـ الاجتماعي** . وما لم ندرك هذا فان من المستحيل على ما يبدو ان نعطي وصفا دلاليا صحيحا حتى للاصناف النحوية الشائعة ، ولو انها ليست عامة مثل صنف زمن الفعل واسلوب الحدث .

الخلاصة

لقد اتيت في هذا الفصل اولا وقبل كل شيء ببعض الاعراف الرمزية لاستخدامها في الكلام عن المعنى ، ثانيا ، قدمت عددا من القضايا التي ساناقشها على نحو اكثر تفصيلا فيما بعد في هذا الكتاب خاصة معنى الكلمة (في الجزء الثاني) ومعنى الجملة (في الجزء الثالث) ومعنى الوحدة الكلامية (في الجزء الرابع) . ثالثا ، ادرجت عددا من نظريات المعنى التي اثرت على دراسة المعنى في السنوات الاخيرة ، كما ميزت تمييزا واضحا بين المعنى الوصفي (المعنى الاساس) والمعنى اللا وصفي (المعنى اللاأساس) ويمكننا الان ان ننتقل الى المرحلة القادمة وهي دراسة الكلمات والعبارات .

الجزء الثاني

الكلمات والعبارات



الفصل الثاني

استخدام بالكلمات
الكلمات و حدات ذات معنى

« قبل النظر في معنى الكلمات ، لنتفحصها اولاً على انها احداث في العالم المحسوس »

برتراند رسل : البحث في المعنى والحقيقة

لقد اخذت الاقتباس اعلاه من الفصل الذي يحمل عنوان « ماهي الكلمة ؟ » في كتاب برتراند رسل . والجواب الذي يقدمه رسل عن هذا السؤال يختلف في نواحٍ عديدة عن الجواب الذي يعطيه اليوم معظم علماء اللغة والفلاسفة ، وبصرف النظر عن كل الاعتبارات الاخرى ، فإن المفاهيم الحديثة عن التركيب الصوتي للغات قد ابطل الفكرة القائلة ان الكلمات باعتبارها « احداث في العالم المحسوس » انما هي كيانات مادية بحته كما كان يدعيه رسل ، وليس من السهل دائما ان نقول ان هذا الشيء كلمة ، او انه ليس بكلمة ، كما اعتقد رسل وآخرون من غير المختصين بعلم اللغة ، ومع ذلك مازال من الممكن معالجة الكلمات من وجهتي نظر ، كما فعل رسل : على انها صيغ من جهة وما اسميه تعابير من جهة اخرى وسنرى فيما بعد ان

المصطلح « كلمة » في الاستخدام اليومي غامض فيما يخص هذا التمييز ، فعندما ننظر الى الكلمات بوصفها وحدات ذات معنى ، علينا ايضا ان نأخذ بنظر الاعتبار حقيقة ان صيغة ما ربما ارتبطت بمعان متعددة (الجناس وتعدد المعاني) ، وان المعنى ذاته يمكن ان يكون مرتبطا بصيغ مختلفة (الترادف) . هذه الامور موضع اهتمامنا في هذا الفصل .

الصيغ والتعابير

« . . . . . . يعتمد معنى الجملة جزئيا على معنى الكلمات المكونة لها » هذا احد الافتراضات العديدة الساذجة ظاهريا التي ورد ذكرها من قبل في بداية الفصل الماضي ، وقد قلت انه بحاجة الى دراسة باهتمام اكثر ، والان اود ان اتناول بتفصيل اكثر حالة الكلمات بوصفها وحدات ذات معنى . حسب اي معنى من معاني (الكلمة) ، يصح لنا القول ان الجمل تتكون من الكلمات ؟ ينبغي في الحقيقة ان نفرق بين امرين ، ومن المهم ان لا نخلط بينهما ، اولهما ما اشار اليه الفيلسوف الامريكي سي اس بيرس بالتمييز بين الكلمات على انها **حالات والكلمات على انها** انماط (حسب معنى تخصصي لهذين المصطلحين ، علما بانهما شائعان تماما الان) . ويمكن شرح هذا بمثال بسيط . تأمل الجملة الاتية :

He who laughs last laughs longest(من يضحك اخيرا قد يضحك كثيرا)

فمن ناحية يمكننا القول ان هذه الجملة تتكون من ست كلمات ، ومن ناحية اخرى ، على اية حال ، يمكننا القول انها تحتوي على خمس كلمات ، لان اثنتين من كلماتها ، وهما الثالثة والخامسة laugh (يضحك) متطابقتان ، فهما حالتان لنمط واحد ، وليس صعبا استيعاب مفهوم النمط / الحالة اذا اخذ على هذا المنوال ، ومن الوضوح بمكان بصورة عامة ، فهم المصطلح (كلمة) كما هو مستخدم في حياتنا اليومية بأحد هذين المعنيين دون سواه عند بيرس .

وهناك على اية حال تمييز ثانٍ ذو صلة ايضا بموضوعنا في هذه المرحلة ، ويمكن شرحه بمثال بسيط ايضاً ، اذ يمكننا طرح السؤال التالي : ما عدد الكلمات في الجملة التالية :

If he is right and I am wrong, we are both in trouble

(اذا كان هو على صواب وانا على خطأ فكلانا في مأزق ؟)

نقول ثانية ان لهذا السؤال جوابين صحيحين ، ولكن ذلك لا علاقة له بالفرق بين النمط والحالة ، انما يعتمد على الفرق بين الكلمات باعتبارها **صيغاً** والكلمات باعتبارها **تعابير** ، ففي هذه الجملة ثلاث عشرة صيغة تمثل كل منها (او تشكل كل منها) نمطا مختلفا ، وعليه ، ومن وجهة النظر هذه ، تعتبر الكلمات هذه مختلفة . على انه من وجهة نظر اخرى يمكن وصف ثلاث منها وهي are, am, is على انها صيغ مختلفة للكلمة ذاتها ، وبموجب احد معاني الكلمة تعتبر جملتنا مكونة من ثلاث عشرة كلمة ، وبموجب المعنى الاخر الصحيح الشائع تماما للمصطلح ذاته ، تعتبر جملتنا مكونة من احدى عشرة كلمةلا غير . ولنعبر عن هذا الفرق في معنى (الكلمة) بالقول ان الجملة هذه مكون من ثلاث عشرة **صيغة كلمة** ، ومن احد عشر **تعبير كلمة** ؛ وان تعابير الكلمة هي التي تدرج في المعجم التقليدي وليست صيغ الكلمة ، وانها مدرجة ، كما شاهدنا في الفصل الاول ، حسب ترتيب حروف الالفباء لصيغة الاستشهاد بها .

ينبغي علينا لكي نحدد معنى لصيغ الكلمة التي تتكون منها الجملة ان نكون قادرين على تحديد هذه الصيغ لا باعتبارها حالات لا نماط معينة فحسب ، بل باعتبارها صيغا لتعابير معينة ، وان حالات النمط الواحد ليست بالضرورة صيغا للتعبير ذاته ، فعلى سبيل المثال نلاحظ في الجملة الاتية :

they have found it impossible to found hospitals or charitable institutions of any kind

without breaking the law .

«لقد وجدوا انه يستحيل عليهم تأسيس مستشفيات او معاهد خيرية من اي نوع كان دون مخالفة القانون»

ان حالتي الكلمة الثالثة والسابعة found هما حالتان لنمط واحد ، الا انهما ليسا صيغتين لتعبير واحد (سوف استخدم المصطلح (كلمة) بمعنى «تعبير كلمة» في هذا الكتاب ، وقد لا يتفق معي في الرأي بعض علماء اللغة بهذا الخصوص)

على اية حال ، ليست كل التعابير المدرجة في المعجم كلمات ، فبعضها عبارات وينبغي التمييز من حيث المبدأ بين تعابير العبارات وبين الصيغة او الصيغ التي توضع معها في توافق بواسطة قواعد اللغة الصرفية ، شأنها في هذا شأن تعابير الكلمة ، فعلى سبيل المثال pass muster يفي بالغرض تعبير عبارة ولها الصيغ التالية pass muster, passes muster, passed muster وهلم جرا ، وان حالات هذه الصيغ هي التي ترد في الجمل .

تُقسم تعابير اللغة الى مجموعتين ، تتكون المجموعة الاولى منها من عدد محدد من التعابير **المعجمية البسيطة** تسمى **وحدات معجمية** ، وهذه هي التعابير التي نتوقع ان نجدها مدرجة في المعجم ، فهي تمثل وحدات مفردات اللغة ، والتي من بين اعضائها تتكون المجموعة الثانية ، التعابير **المعجمية المركبة** والتي تتركب عن طريق القواعد النحوية للغة ، وبموجب هذا التمييز تعتبر pass muster « يفي بالغرض » وحدة معجمية ، اما pass the exam « ينجح في الامتحان » فهي مركب معجمي .

ان معظم تعابير الكلمة في اللغات كافة بسيطة معجميا ، على ان هناك قواعد فاعلة في لغات عديدة لما يدعى تقليديا بـ **تكوين الكلمة** تُمكن مستخدميها من تكوين تعابير كلمة جديدة من بين تعابير معجمية ابسط منها موجودة سلفاً ، فعلى سبيل المثال تتكون politeness تهذيب من تعبير معجمي ابسط منه هو polite مهذب بواسطة

تطبيق احدى قواعد تكوين الكلمة في اللغة الانكليزية ، مع ان العديد من المعاجم التقليدية تدرج politeness على انها تهذيب كوحدة من وحدات المفردات ، الا ان هذا غير ضروري طالما ان معناها وخواصها النحوية (وكذلك نطقها) يمكن التنبؤ عنها حسب قواعد معينة .

ان معظم تعابير العبارة مركبة معجميا بمقارنتها بتعابير الكلمة بل ان اللغات الطبيعية كافة التي حظيت بقسط وافر من الدراسة تهيىء لمن يستخدمها السبل الكفيلة لتركيب عدد غير محدود من تعابير المركبة معجميا ، وسنرى فيما بعد ان هناك مبدأ مهما في علم الدلالة الشكلي مفاده ان معنى التعابير المركبة معجميا كافة ينبغي تحديده على نحو نظامي على اساس معنى التعابير الابسط منها التي تتكون منها هذه التعابير المركبة معجميا .

ان التمييز الذي بيناه تواً بين الوحدات المعجمية والتعابير المركبة معجميا ليس بسيطا في الواقع بالصورة التي يبدو فيها هنا ، الا انه ينبغي على كل معنيّ بالتحليل الدلالي للغات الطبيعية ان يضع تمييزاً مثل هذا ، وسنعنىٰ بالوحدات المعجمية وليس الكلمات والعبارات بحد ذاتها في هذا الفصل وفي الفصلين القادمين .

الجناس وتعدد المعنى

لقد وضحنا في الفصل الاول ما يوصف تقليديا بالجناس وذلك عن طريق المثالين التقليديين $bank_1$ و$bank_2$ ، اذ يعني اولهما مؤسسة مالية ـ مصرف ، بينما يعني ثانيهما شاطىء النهر ، يعتبر هذان المثالان مناسبين بما فيه الكفاية ، الا ان اقلّ ما يقال عن التعريف التقليدي للجناس انه غير دقيق .

تُعرّف الكلمات المتجانسة تقليديا بانها كلمات مختلفة ذات صيغة واحدة ، ويمكننا على الفور اصلاح هذا التعريف في ضوء ما قيل في القسم السابق ، وذلك

بالتعويض عن (كلمة) بـ (وحدة معجمية) ولكن التعريف يبقى ناقصا حيث انه لا يأخذ بنظر الاعتبار ان معظم الوحدات المعجمية في لغات عديدة ليست لها صيغة واحدة بل لها صيغ متعددة ، كما انه لا يتطرق الى موضوع التكافؤ النحوي .

ولنبدأ بناء على هذا بالتمييز بين **الجناس المطلق** من ناحية ، وبين الانـواع المختلفة من **الجناس الجزئي** من الناحية الاخرى . يجب ان تتوفر في الجناس المطلق الشروط الثلاثة التالية :

١ - يجب ان لا تكون صيغتها ذات صلة مع بعضها البعض في المعنى .

٢ - يجب ان تكون كل صيغها متطابقة (اي يجب ان تكون الصيغ حالات لنمط واحد) .

٣ - يجب ان تكون الصيغ المتطابقة متكافئة نحوياً .

ان الجناس المطلق شائع : قارن بين $bank_1$ و $bank_2$ وبين sole (اخمص القدم او نعل الحذاء) وبين $sole_2$ (نوع من السمك) وما الى ذلك ، الا انه هناك انواع مختلفة من الجناس الجزئي ، فعلى سبيل المثال تشترك find «يجد» و found «يؤسس» في الصيغة found ، ولا تشتركان بالصيغ finding , finds او بالصيـغ founding , founds وهلم جرا ، كما ان found باعتبارها صيغة من صيغ find ليست معادلة نحويا لـ found باعتبارها صيغة من صيغ found وفي هذه الحالة ، وكما هو في اللغة الانكليزية عدم توفر الشرط الثاني له علاقة متبادلة مع عدم توفر الشرط الثالث . على ان من المهم ان ندرك ان الشرطين الاخيرين للجناس المطلق الموضحين في الفقرة السابقة مستقلان منطقيا ، فهما عادة مسلم بهما دون اية مناقشة في الدراسات التقليدية للموضوع .

من المهم ان نلاحظ شرط التكافؤ النحوي وحقيقة كونـه مسألـة درجة ، فبالرغم من ان found باعتبارها صيغة من صيغ الفعل find ليست معادلة نحويا لـ found باعتبارها صيغة من صيغ الفعل found فهما في كلتا الحـالتين صيغـة فعل ،

وهناك سياقات معينة يمكن ان تفسر فيها found وفق كلتا هاتين الحالتين ، فعلى سبيل المثال ، يمكن ان تفهم الجملة التالية :

they found hospitals and charitable institutions

«انهم وجدوا (او يؤسسون) مستشفيات ومعاهد خيرية»
على انها في الزمن المضارع تحتوي على صيغة من صيغ الفعل found او يمكن تفسيرها في الزمن الماضي تحتوي على صيغة من صيغ الفعل find وبصفتها وحدة كلامية انكليزية محتملة ، فهي غامضة (تحتوي على اكثر من معنى) ، وان غموضها معجمي جزئياً ، اي انه يعتمد في هذه الحالة على الفرق في معنى الوحدتين المعجميتين found يؤسس و find يجد .

من المهم بالنسبة لعالم الدلالة ان يلاحظ درجة التكافؤ النحوي ، وتعدد الاسباب في هذا الى ان هذا التعادل يحدد بوجه عام ما اذا كان الجناس يؤدي الى الغموض وباية درجة من الغموض . فلو اضفنا الفعل have قبل found (they have found hospitals and charitable institutions) (لقد وجدوا مستشفيات ومعاهد خيرية) ، او كخيار ثان ، لو عوضنا عن theyبـ he او she (he found hospit- als and charitable institutions) (وجد مستشفيات ومعاهد خيرية) لزال الغموض ، اما الغموض الناجم عن الجناس المطلق فلا يمكن ازالته بواسطة استخدام السياق النحوي بهذه الطريقة . فضلا على ان الجناس الجزئي قد لا يؤدي الى الغموض على الاطلاق ، اذ ان الصيغ المشتركة قد لا تظهر في سياقات نحوية واحدة ، فالجناس الجزئي ، على سبيل المثال للصفة $last_1$ ماضي (كما في الاسبوع الماضي) وللفعل $last_2$ يدوم او يقاوم) (كما في «يقاوم الطابوق لفترة طويلة») نادرا ما يؤدي الى الغموض حيث ان الصيغة المشتركة الوحيدة last يمكن تحديدها بسهولة وعلى الدوام على انها صيغة للصفة او صيغة للفعل بموجب السياق النحوي الذي تظهر فيه .

سنعود في فصل قادم الى موضوع الغموض ، وعلى نحو اخص الى التمييز بين الغموض المعجمي والغموض النحوي ، ولقد ذكره في هذه المرحلة من البحث لان كثيرا من الدراسات التقليدية والحديثة عن الجناس لا تعطي حقها فكرة ان الجناس الجزئي لا يؤدي الى الغموض بالضرورة في اقل تقدير .

ان هذه المعالجات تخفق ايضا في توضيح ان الجناس الجزئي لا يتطلب بالضرورة تطابقا اما في صيغ الاستشهاد بالكلمة او في صيغ الجذور العميقة للوحدات المعجمية التي نحن بصددها ، فعلى سبيل المثال تعتبر الكلمتان rung درجة في السلم و ring «يدق» متجانستين جزئيا كما في المثالين التاليين :

Arung of the ladder was broken «كانت احدى درجات السلم مكسورة»

The bell was rung at midnight «دق الجرس عند منتصف الليل»

ومع ذلك فان هذا النوع من الجناس غير معترف به في اغلب الاحيان في الدراسات التقليدية ، وليست الدراسات الحديثة للموضوع افضل من هذا المضمار من المعالجاتْ التقليدية ، فالاخيرة (التقليدية) تركز في الغالب على صيغ الاستشهاد بالكلمة بشكل لا يبعث على الاستغراب في ضوء المشاكل العملية التي يواجهها مؤلف المعجم خلال عمله اليومي . اما الاولى (الحديثة) فهي غالبا ما تحصر المناقشة ضمنا او صراحة بالصيغ الجذرية . ويصادف طبعا ان تتطابق صيغ الاستشهاد في اللغة الانكليزية مع صيغة الجذر في جميع الوحدات المعجمية الصرفية الاعتيادية ، الا ان هذا لا ينطبق على لغات تكون صيغ جذورها متصلة وليست منفصلة .

يعتبر تعدد المعنى خاصية من خواص الوحدات المعجمية المنفردة ، في حين يمثل الجناس (الكامل او الجزئي) علاقة قائمة بين وحدتين معجميتين متميزتين او اكثر ، هكذا يحدد التمييز بينهما عموما ، الا ان كل من يستخدم هذا التمييز يدرك كما

قال احد علماء اللغة (اولمان ، ١٩٦٢ : ١٥٩) ان «الحد الفاصل . . . . مرن احيانا» ولقد ظهر ان هناك اجماعا كبيرا بين الناطقين باللغة حول ما يمكن اعتباره جناسا وما يمكن اعتباره تعدد المعنى في حالات معينة ، ولكن هناك ايضا حالات عديدة جدا يتردد عندها الناطقون باللغة او يختلفون في هذه المسألة . ما هو الفرق النظري إذن بين الجناس وتعدد المعنى ؟

لقد ذكرنا في الفصل الاول المعيارين المعتمدين في هذا الخصوص وهما : اصل الكلمات (المصدر التاريخي للكلمات) والقرابة في المعنى . والنقطة الاساس التي ينبغي توضيحها عن مبدأ اصل الكلمات هي ان هذا المبدأ يدعم عموما الحدس الفطري الذي يمتلكه الناطق باللغة عن وحدات معجمية معينة ، فعلى سبيل المثال ليس من يخلط بين bat_1 (الخفاش) وبين bat_2 (مضرب) ، وفي الواقع تختلف هاتان الكلمتان فيما بينهما فيما يخص اصلهما التاريخي ، فالكلمة bat_1 مشتقة من صيغة الكلمة المحلية bakke في اللغة الانكليزية الوسطى ، اما bat_2 مشتقة من الكلمة batt في اللغة الانكليزية القديمة والتي تعني « مضرب او هراوة » .

هذا لا يعني عدم وجود حالات شاذة ، فليس من غير المألوف ان يظن الناطق الاعتيادي باللغة الام ان وحدات معجمية غير مترابطة مع بعضها البعض دلاليا قد انحدرت من اصل واحد ، فالكلمتان المتجانستان $sole_1$ (اخمص القدم او نعل الحذاء) و $sole_2$ (نوع من السمك) الوارد ذكرهما اعلاه تعتبران مثالا شائعا ، و هناك امثلة اخرى في الكتب الصغيرة ليست اقل اثارة اما الحالة المعاكسة فأقل شيوعا حيث يدرك الناطق باللغة معاني غير مرتبطة تاريخيا لها نوع من العلاقة تشبه العلاقة التي تربط معاني متميزة لوحدة معجمية واحدة متعددة المعاني . الا ان هناك امثلة عديدة عما يُعتبر جناسا واضحا تماما من وجهة نظر تاريخية اعيد تفسيره في الاجيال اللاحقة من الناطقين على انه تعدد المعنى ويقع هذا ضمن ما يشير اليه علماء اللغة

عموما اصل الكلمات الشعبي ، فعلى سبيل المثال ، يعتقد عدد من الناطقين اليوم ان $shock_1$ كدس كما هي مستخدمة في كدس من الذرة مشابهة لـ $shock_2$ حزمة كما هي مستخدمة في حزمة من الشعر ، ومع ذلك لهاتين الكلمتين اصلان مختلفان من ناحية تاريخية .

يتبين مما تقدم ان هناك حالات استثنائية لكل من النوعين ، ومع ذلك يعتبر التعميم الذي قدمته قبل قليل صائباً بلا شك ، ففي معظم الحالات يدعم اصل الكلمات حدس الناطق الاعتيادي للغة الام عن القرابة في المعنى ، وكما سنرى بعد قليل ، هناك اسباب وجيهة تستوجب وجود هذه الحالة ، فمن العوامل الرئيسة المؤثرة في التغيير الدلالي عامل التوسع المجازي ، كما هي الحالة عندما توسع معنى foot « اسفل الساق ـ القدم » الى اسفل الجبل ـ سفح الجبل ، والمهم عندما يشير المرء الى المعاني المترابطة للوحدات المعجمية متعددة المعاني التوسع المجازي بصفته عملية تزامنية هناك طبعا انواع اخرى من القرابة في المعنى والتي لاصلة لها في هذا الخصوص ، ولكن الابداع المجازي (حسب اوسع معنى للكلمة مجازي) جزء من القدرة اللغوية لكل فرد ، وخلاصة القول يتعذر علينا ان نميز تمييزا دقيقا بين التوسع التلقائي للمعنى نقله الذي يقوم به الافراد في بعض الاجيال وبين استخدامهم لمعاني وحدة معجمية ، تلك المعاني الموجودة مسبقا ، او المقننة او الموسعة والمنقولة والتي يمكن ان نجدها في المعجم . ان لهذه الحقيقة مضامين مهمة بالنسبة للنظرية اللغوية تفوق المشكلة التقليدية للتمييز بين تعدد المعنى والجناس ، والتي قد لانجد لها حلاً .

الصيغ الكاملة للكلمة والصيغ الفارغة للكلمة

يمكن تقسيم صيغ الكلمة في اللغة الانكليزية وفي معظم اللغات الى صنفين يتضمن الصنف الاول صيغا كاملة مثل : رجل ، جاء ، اخضر ، برداءة ، اما

الصنف الثاني فيتضمن صيغا فارغة مثل : الـ ، من/ذو ، و ، الى ، إذا . ان التمييز بين الصنفين ليس واضح المعالم دائما ، الا انه يمكن ادراكه بالحدس في الامثلة التي اوردتها تواً . ولقد اقام هذا التمييز علماء لغة يمثلون مذاهب لغوية مختلفة على اسس غير محدوسة وذلك عن طريق استخدامهم مجموعة متنوعة من المعايير ، فمن حيث الاساس قدم التقليد النحوي الصيني هذا التمييز قبل قرون عديدة ، وقدمه ايضا العالم النحوي الانكليزي هنري سويت في نهاية القرن التاسع عشر (يعرف اليوم بشكل افضل بلا شك على انه الانموذج للبروفيسور هغنز في مسرحية بكمليان ومسرحية سيدتي الجميلة) كما قدم هذا التمييز عالم اللغة الامريكي سي سي فريز في ذروة المدرسة البنيوية اللغوية ما بعد بلومفيلد في الخمسينات .

ان المصطلحات التي اخترتها والتي استعرتها اصلا من التقليد الصيني تؤكد الفرق الدلالي الواضح بالحدس بين الاعضاء النموذجية للصنف الواحد وبين الاعضاء النموذجية للصنف الاخر ، فالصيغ الفارغة للكلمة لا تخلو تماما من المعنى (على الرغم من ان بعضها فارغة من المعنى في سياقات معينة) الا ان لها عموما معنى اقل من الصيغ الكاملة للكلمة ، ويمكن التنبؤ عنها في السياقات التي تظهر فيها على نحو اسهل ، ولهذا فهي تحذف من العناوين و البرقيات ، وما الى ذلك ، وربما تحذف كذلك من الوحدات الكلامية التي يستخدمها الاطفال الصغار جدا في المراحل الاولى من اكتساب اللغة اما المصطلحات التي نجدها في المؤلفات عن الصيغ الفارغة للكلمة فهي كلمات صيغة وكلمات الوظيفة والكلمات البنيوية .

لاتميل الصيغ الخالية للكلمة الى ان تكون ذات معنى اقل من معنى الصيغ الكاملة للكلمة حسب بل ان معناها يبدو مختلفا عن معنى الصيغ الكاملة للكلمة واكثر تغايرا منه في الخواص ، ويتضح هذا الفرق جليا بين النوعين فيما يخص بعض نظريات المعنى الوارد ذكرها في الفصل الاول ، و ربما صح القول ان كلب (اي

احدى صيغ كلب) نشير الى صنف من الاشياء او الى الصفة المميزة له ، او أن معنى كلب يمثل المفهوم المقترن بكلب او الاستجابة السلوكية له . ونادرا ما يكون كلامنا معقولا لو تحدثنا عن معنى الـ ، من ، ذو ، و ، الى ، اذا ، وذلك باستخدام مصطلحات كهذه .

ان النقطة التي وردت توا تُعرض وكأنها نقطة انتقاد ضارة ضد اية نظرية لمعنى الكلمة ، وتُعرّف هذه النقطة على اساس انها شيء يختلف عن اسهامها في معنى الجملة . ويقال بحق ان معنى الصيغ الفارغة للكلمة والذي لايقل عن معنى الصيغ الكاملة للكلمة يمكن وصفه في اطار المبدأ العام التالي : ان معنى صيغة ماهو مقدار اسهامها في الجمل التي ترد فيها ، وعليه يمكن ان نناقش وعلى نحو مغلوط منقول انه طالما لا يمكن تعريف الصيغ الـ ، من /ذو ، و ، الى واذا الا عن طريق معنى الجملة ، فان معنى الجملة يسبق دائما معنى الكلمة منطقيا ، وقد تكون النتيجة صحيحة او قد لا تكون صحيحة . وسنعود الى موضوع الاسبقية المنطقية هذا فيما بعد ولكن جدلا كهذا يعتبر مضللا لانه يعتمد على المبدأ المنهجي غير الشرعي القائل ان للكلمات كافة نوعاواحداًمن المعنى ويعتمد ايضا على حقيقة ان المصطلح كلمة يشير الى كل من الصيغ والتعابير وان الصيغ الفارغة للكلمة ليست تعابيراًولا صيغا للتعابير .

ان التمييز بين الصيغ الكاملة للكلمة وبين الصيغ الفارغة للكلمة ليس إلا نتاجاً لفروقات عديدة اكثر تقنية لن نبحثها هنا . ان ما هو مهم بالنسبة لبحثنا هو التمييز بين نحو اللغة ومعجمها (اللكسيكون) . فالمعجم يمكن اعتباره النظير النظري للمعجم الاعتيادي (القاموس) وهو يوصف هكذا في غالب الاحيان ولو نظرنا الى المعجم من وجهة نظر نفسية فسنرى انه يمثل مجموعة الوحدات المعجمية كافة في اللغة والمخزونة في اذهان الناطقين الأكفاء اضافة الى المعلومات اللغوية كافة عن كل وحدة معجمية والضرورية لتكوين جمل اللغة وتفسيرها . ان معرفتنا في

الوقت الحاضر بما يسمى بالمعجم الذهني حسب المفاهيم النفسية ضئيلة جدا لا تزيد عن معرفتنا الضئيلة نسبيا عن تفاصيل النحو الذهني الذي نحمله معنا جميعا في اذهاننا اينما ذهبنا ، وعلى وجه التخصيص لا يُعرف ما اذا كان هناك فرق نفسي واضح بين النحو والمعجم . يرى علماء اللغة على اية حال ، ان من المستحيل الان اقامة تمييز دقيق كهذا في وصفنا للّغات المعنية .

وكل ما ينبغي قوله هنا ان بعضا مما يسمى بالصيغ الفارغة للكلمة وليس كلها لها معنى نحوي (ان كان لهذه الصيغ معنى على الاطلاق) . اما الصيغ الكاملة للكلمة كافة فلها معنى نحوي واخر معجمي ، فعلى سبيل المثال child طفل و children اطفال لهما نفس المعنى المعجمي باعتبارهما صيغتين لوحدة معجمية واحدة وبقدر ما لهذه الوحدة المعجمية من ميزات نحوية وثيقة الصلة دلاليا (فهي اسم من نوع معين) فان الصيغتين تشتركان ايضا في جزء من معناهما النحوي ، الا انهما تختلفان بالطبع من وجهة النظر هذه في آن احدهما في صيغة المفرد فيما الاخرى في صيغة الجمع . موضوع بحثنا في الجزء الثاني المعنى المعجمي اما المعنى النحوي والذي لايمكن ان ينسب كله الى صيغ الكلمة فيخص معنى الجملة الى حد كبير ولهذا ساقوم بمناقشته في الجزء الثالث .

الترادف

تعتبر التعابير ذات المعنى الواحد مترادفة ، وهنا يجب ملاحظة نقطتين حول هذا التعريف ، النقطة الاولى انه لايحدد علاقة الترادف بالوحدات المعجمية ، اذ يفسح المجال امام التعابير البسيطة معجميا لان يكون لها المعنى نفسه الذي تحمله التعابير المعقدة معجميا . اما النقطة الثانية فهي ان هذا التعريف يتخذ من التطابق في المعنى وليس مجرد التشابه في المعنى معيارا للترادف

يختلف هذا ألتعريف في النقطة الاخيرة عن تعريف الترادف الذي نجده في المعاجم القياسية ، و يختلف ايضا عن التعريف الذي يعتمده عادة مؤلفو المعاجم

انفسهم . ان العديد من التعابير المدرجة في المعاجم الاعتيادية او المعاجم التخصصية على انها مترادفة بما فيها موسوعة روجية ومعاجم اخرى للمترادفات والمتضادات) والتي يمكن تسميتها في الواقع بتعابير **شبه مترادفة** ، اي انها تعابير متشابهة تقريبا الا انها ليست متطابقة في المعنى وسنرى فيما بعد ان شبه الترادف ينبغي ان يميز عن الانواع المختلفة من الترادف الجزئي التي تنسجم مع معيارنا للتطابق في المعنى .

من الامور البديهية اليوم ان نعتبر الترادف المطلق ، كما ساعرفه ، نادرا جدا في اللغات الطبيعية باعتباره يمثل علاقة قائمة بين الوحدات المعجمية في اقل تقدير وعلى هذا الاساس ينبغي التمييز بين **الترادف الجزئي** والترادف المطلق في ضوء اخفاق التعابير المترادفة في تلبية شرط واحد او اكثر من الشروط التالية :

(١) تعتبر المترادفات **كاملة الترادف** فقط اذا كانت كل معانيها متطابقة .

(٢) تعتبر المترادفات **مترادفة كلياً** فقط اذا كانت مترادفة في السياقات كافة

(٣) تعتبر المترادفات **مترادفة تماما** ، فقط اذا كانت متطابقة في كل مجالات المعنى ذات العلاقة .

وعلى الرغم من ان شرطا واحدا او اكثر من هذه الشروط يُذكر عموما عند بحث الترادف الا ان من النادر توضيح كون هذه الشروط مستقلة عن بعضها البعض منطقيا .

هناك مشكلة اخرى ، وهي ان المصطلحات (الترادف المطلق) و(الترادف الكامل) و(الترادف الكلي) و(الترادف التام) (فضلا على الترادف الدقيق) غالبا ما تستخدم هي الاخرى في الكتب القياسية على اساس انها مترادفة ترادفا مطلقا او ترادفا جزئيا ، عادة دون اعطاء تعريف لها . وبموجب التعاريف المقدمة هنا ، تعتبر

المترادفات المطلقة تعابير مترادفة ترادفا كاملا وترادفا كليا وترادفا تاما ، اما المترادفات الجزئية فهي مترادفة الا ان ترادفها ليس مطلقا . ولست مهتما لكثرة الفروق الدقيقة المصطلحية الجدلية بحد ذاتها ، الا انني اود ان اؤكد على اهمية مايلي : (أ) عدم الخلط بين شبه الترادف وبين الترادف الجزئي (ب) عدم افتراض ان الاخفاق في تلبية احد شروط الترادف المطلق يؤدي بالضرورة الى الاخفاق في تلبية احد الشرطين الاخرين او كليهما ولنتناول شرطي الترادف المطلق بالتناوب

تعتبر المعاجم الانكليزية القياسية الصفتين big كبيرو Large واسع متعددتي المعنى (على الرغم من ان هذه المعاجم تختلف فيما بينها فيما يخص عدد معانيها كما هو موضح في المثال التالي :

they live in a big large house انهم يعيشون في بيت كبير/ واسع

اما كونهما تامتي الترادف فهي مسألة سنعود الى بحثها فيما بعد على ان من السهل ان نبين انهما ليستا كاملتي الترادف ، فالجملة التالية :

I will tell my big sister ساخبر اختي الكبرى/ الضخمة

جملة غامضة معجميا (تحمل اكثر من معنى واحد) بسبب تعدد معنى big في حين ان المسألة ليست هكذا في الجملة التالية :

I will tell my large sister ساخبر اختي الضخمة

ان الجمل الثلاث سليمة التركيب وقابلة للتفسير ، فهي تبين ان big لها في اقل تقدير معنى واحد لا تشاركها فيه large ولهذا فهما ليستا كاملتي الترادف بموجب المعيار الاول (لهما المدى نفسه من المعاني) على افتراض انهما في الحقيقة مترادفتان في احد معانيهما في الجمل الوارد ذكرها انفا وهناك امثلة عديدة مماثلة .

لننتقل الان الى المترادف الكلي . ان مايهمنا هو المدى السياقي للتعبير ، اي مجموع السياقات التي يظهر فيها التعبير ، وربما يظن البعض ان المدى السياقي للتعبير

يحدده معناه ، وبناء على هذا ينبغي ان يكون للمترادفات بالضرورة مدى سياقي واحد ، ولكن الامر ليس هكذا ، فعلى سبيل المثال هناك كتاب حديث في علم اللغة الحديث يبين ان الكلمات الثلاث flaw خلل وdefect عيب و blemish شائبة تبدو كلها ان لها معنى واحدا ، الا انه لايمكن استخدام اي منها بدلا من الاخريين ، ويوضح مؤلفا هذا الكتاب انه في الوقت الذي تستخدم فيه blemish او flaw على نحو اعتيادي لتشير الى الهيأة العامة للفرد ، وان flaw او defect تستخدم للاشارة الى مناظرته ، فانه من الغـريب استخدام blemish لـلاشارة الى استـدلاله (راجـع سميث وولسون ١٩٧٩ : ٥٢) وهذه الحالة مشابهة لحالة الكلمتين big و large اللتين ليستا في ترادف كامل ولا في ترادف كلي ، وهناك سياقـات عديـدة لا يمكن فيها ابـدال اي منهما بالاخرى دون الخروج على قواعد قيود السياقية لاي منهما فعلى سبيل المثال لايمكن لـ large ان تحل محل big في الجملة

you are making a big mistake انت تقوم بخطأ كبير

ومع ذلك فانه يبدو ان لـ big هنا معنى مشابهاً لمعناها في العبارة abig house بيت كبير والتي يمكن ان تعوض عنها alarge house «بيت واسع»

قد يقال في حالات مثل هذه انه لابد من فرق دقيق في المعنى المعجمي يعلل الفروق السياقية فهي تنطوي على شبه الترادف وليس الترادف . مما لا شك فيه ان الفروق السياقية يمكن تفسيرها في حالات كثيرة على نحو مرضٍ في ضـوء فوارق مستقلة في المعنى يمكن التحقق منها ، الا ان الامر ليس هكذا دائما .

نناقش الان باختصار موضوع الفرق بين الترادف التام والترادف الناقص في ضوء الشرط الثالث (التشابه في كل ابعاد المعنى ذات الصلة) . ان اوسع بعد مميز للمعنى ذا صلة بهذا التمييز هو بعد المعنى الوصفي (او المعنى الاساس) (راجع الفصل الاول) بل ان العديد من نظريات علم الدلالة يحصر مفهوم الترادف في

ماسأسمّيه بالترادف الوصفي ، اي التطابق في المعنى الوصفي ، وساتناول في الجزء الثالث موضوع المعنى الدقيق للتطابق في المعنى الوصفي اما الان فنكتفي بالقول انه يمكن لتعبيرين ان يكون لهما ذات المعنى الوصفي (اي انهما مترادفان وصفيا) فقط اذا كانت الجمل الخبرية التي تتضمن احدهما تدل ضمنا وبالضرورة على جمل خبرية مطابقة من نوع آخر تتضمن التعبير الثاني ، والعكس بالعكس ، وبموجب هذا المبدأ تعتبر big و large مترادفتين وصفيا (في احد معانيهما وعلى مدى معين من السياقات) فعلى سبيل المثال . لايمكنني ان اؤكد في وقت واحد وبلا تناقض على ان شخصا ما يعيش في بيت كبير وان انكر انه يعيش في بيت واسع .

افضل مثال للترادف الوصفي يمثل العلاقة القائمة في اللغة الانكليزية بين bachelor «اعزب» وبين unmarried man «رجل غير متزوج» . فهناك من لايُقر بان التعبيرين هما في الحقيقة مترادفان وصفيا على اساس ان الرجل المطلق ليس اعزبا على الرغم من انه غير متزوج هذه مسألة قابلة للنقاش ، وساعود الى مناقشتها ولكن المبدأ المتوخى توضيحه في هذا المثال هو من الوضوح ما فيه الكفاية . اننا نخضع الترادف الوصفي للاختبار وذلك باكتشاف ما اذا كان اي شخص يوصف حقا انه اعزب يمكن وصفه في الحقيقة انه رجل غير متزوج والعكس بالعكس وربما كان التعبيران مترادفين عند بعض المتحدثين وغير مترادفين عند متحدثين اخرين ، وربما كان الامر غير واضح بالنسبة لمجموعة ثالثة من المتحدثين فالذين يعتقدون ان unmarried غير متزوج لا تعني مجرد not married "ليس متزوجا"، وانما لا يمكن اطلاقها صوابا على المطلقين يعتبرون bachelor اعزب و unmarried man رجل غير متزوج مترادفتين وصفيا ويتفق معهم في الرأي اولئك الذين يستخدمون وبلا تردد كلا من bachelor و unmarried man للمطلقين .

عندما نناقش المعنى المعبر ـ وهو النوع الوحيد من المعنى اللا وصفي الذي

سنناقشه في هذه المرحلة ـ نجد انه ليس هناك معيار موضوعي معقول سهل المنال يمكننا في التمييز بين التطابق والاختلاف . ومع ذلك يمكننا في حالات معينة ان نجزم ان تعبيرين او اكثر مترادفين وصفيا قد يختلفان في درجة معناهما المعبر او في طبيعة هذا المعنى ، فعلى سبيل المثال من الواضح بالحدس ان تكون مجموعة كاملة من الكلمات ، بما فيها huge ضخم و enormous هائل و gigantic عملاقي و colossal جبار أكثر تعبيرا عن مشاعر الاشخاص الذين يستخدمونها نحو مايصفونه من very big كبير جدا و vey large واسع جدا ، وربما كانت هاتان العبارتان مترادفتين وصفيا مع الكلمات الاولى ويبدو ان الامر اكثر صعوبة اذا قارنا الكلمات huge , enormous gigantic و colossal فيما بينها في ضوء درجة تعبيرها الا انه ربما كان هناك حدس واضح لدى المتحدثين حول اثنتين او اكثر منها ، ويمكن اقرار الموضوع من حيث المبدأ بواسطة اختبارات نفسية موضوعية نسبيا .

اما فيما يخص التعابير التي تختلف في طبيعة معناها المعبر ، فان اوضح فرق هو الفرق بين التعابير التي تدل ضمنا على الاستحسان او الاستهجان وبين التعابير المحايدة من حيث قابلية تعبيرها ، او التعابير التي تدل ضمنا على موقف معاكس . الكتب الصغيرة مليئة امثلة مثل sta tesman رجل دولة ، ضد politician رجل سياسي و theifty مقتصد، ضد "mean" وبخيل او stingy بخيل، ضد economic مقتصد stink رائحة نتنة ، او stench نتانة مقابل fragrance عطر، ضد smell رائحة كريهة و crafty او cunning بارع، ضد skilful وماهر/ حاذق، ضد clever موهوب/ ذكي ، وهلم جرا . وفي حالات عديدة يمكن التحقق من حقيقة ان تعبيرا ما يدل ضمنا على الاستحسان او الاستهجان على نحو اسهل بكثير من التحقق من معناه الوصفي (اذا كان له معنى وصفي) وينطبق هذا مثلا على الكلمات bitcd كلبة او swine خنزير ، كما كانتا تستخدمان في معناهما المجازي في وقت من الاوقات . اما اليوم فلا يشعر

الناطق بالانكليزية بهذا الاستخدام المجازي . فما هي الظروف التي يمكن للمرء حقا ان يصف شخصا ما بانه كلبة او خنزير ؟ مما لا شك فيه ان المكون المعبر للمعنى وليس الجانب الوصفي هو الشائع في حالات مثل هذه .

ان معظم الوحدات المعجمية في استخدامها اليومي ، لها معنى وصفي واخر معبر . بل ربما يستحيل نظريا في بعض الاحيان فصل المعنى الوصفي عن المعنى المعبر كما بين ذلك بعض الفلاسفة في حديثهم عن مفردات الجمل الخبرية الجمالية والخلقية ، ومهما كان الامر فان معرفة المعنى المعبر للوحدة المعجمية جزء من قدرة الشخص اللغوية ، وكذلك معرفة معناها الوصفي وينبغي ان لا ننسى هذه النقطة ، مع اننا سنعير اهتماما استثنائيا للمعنى الوصفي في معالجتنا للبنية المعجمية في الفصل الثالث .

لقد كان هدفي الرئيس في مناقشتي المقتضبة للترادف التي قدمتها هنا تأكيد الاهمية النظرية للتمييز بين الانواع المتعددة للترادف الجزئي ، وكذلك التمييز بينها وبين شبه الترادف ، ووجدت نفسي في ذلك مضطرا الى ادراج عدد من الصعوبات والتعقيدات التي تتطلب منا القيام بدراسة اكثر شمولا لموضوع الترادف ، وسأذكر في الفصل الرابع بعضا منها بقدر تعلق الامر بالترادف الوصفي عند الكلام عن التضمين (او الاشتمال) المعنوي .

الخلاصة

لقد ناقشت في هذا الفصل الاوجه المختلفة والتعقيدات الخفية لكلمة «كلمة» ، بقدر علاقتها بموضوع التحري عن المعنى ، وناقشت وبشكل مقتضب بعض الصعوبات الناجمة عن ظاهرة الجناس وظاهرة تعدد المعنى وظاهرة الترادف .
والان وبعد ان وضحت هذه القضايا يمكننا ان ننتقل الى مناقشة موضوع التعاريف .

الفصل الثالث

مناقشة التعاريف
صعوبة تعريف الكلمات

اذا اردت ان تعرف الجنون الحقيقي فما عليك الا ان تقول انه ليس الا جنوناً .

وليم شكسبير ، هاملت

يقال عن بنيامين دزرائيلي انه قال : (اكره التعاريف) . فاذا كان هدفه من هذا بيان الصعوبات البالغة في تعريف الكلمات ، فلا بد للمرء ان يتعاطف معه ، اذ ان المشكلة عميقة جدا ، كما سنرى في هذا الفصل الذي يعالج بعض المقترحات المقدمة لمعالجة تعاريف الكلمات .

تصور ان اجنبيا لا يعرف اللغة الانكليزية سألك عما تعنيه كلمة table (منضدة) فهل ستنطق صيغة الكلمة table وتؤشر الى انواع مختلفة عديدة من المناضد آملاً انه لن يفترض انك تشير الى ان table كلمة عامة تعني « اثاث » ؟ وهل تحاول ان تعلمه كذلك الكلمتين chair (كرسي) و desk (طاولة كتابة) كي يستطيع التفريق بين المناضد والطاولات والكراسي ؟ ام تريه بعض الناس وهم جلوس الى المائدة يتناولون وجبة طعام ، مفترضا ان التعريف table يجب ان يتضمن دليلا ما عن

الغرض من استعمال المنضدة ؟ وجميع هذه المقترحات ترد في المؤلفات الخاصة بهذا الموضوع . وكلها تسبب مشاكل كما سنرى ذلك . ولايعتبر اي مقترح من هذه المقترحات مقبولا على حساب المقترحات الاخرى بل إن مسألة التعريف باجملها اكثر تعقيدا واهمية مما يتصوره معظم الناس . وربما كان من الجنون ان نعرف لا كلمة (جنون) فحسب بل اية كلمة على الاطلاق . ومع ذلك يمكننا ان نتعلم الكثير عن طبيعة معنى الكلمة وذلك بالقاء نظرة على النظرية والتطبيق للتعريف .

الدلالة والمعنى

لنفترض اننا طلب منا ان نعرف كلمة dog (كلب) غير آخذين بنظر الاعتبار اي شيء سوى معناها الوصفي لمعالجة هذه المشكلة اسلوبان فالاسلوب الاول ان نحدد للشخص الذي طلب منا هذا كل الكيانات في العالم التي تصدق القضية (المنطقية) « ذلك كلب » . هذا تعريف **دلالة** كلب اما كيف تُعرف على نحو عملي كل شيء واي شيء يحمل دلالة (كلب) فهو أمر نتناوله بعد قليل . ان النقطة المهمة الان ان بعض الكلمات ، ان لم نقل كلها، قد تشير الى صنوف الكيانات في العالم الخارجي .

ان الدلالة . كما سنرى فيما بعد ، مرتبطة ذاتيا **بالاشارة** ، بل ان العديد من الثقاة لا يفرقون بين الدلالة والاشارة واضعين كلًا منهما تحت مفهوم اوسع للاشارة على ان من البديهي ان كلمة (كلب) لا تمثل صنف الكلاب ، او بالاحرى لا تمثل بعض الصفات الدالة على هذا الصنف تماما بالطريقة نفسها التي يمكن ان تسخدم فيها كلمة fido لتمثل او لتشير الى كلب معين . ان ابسط صيغة لنظرية الاشارة في المعنى والتي سماها رايل Ryle بحق بنظرية الـ (فيدو) ـ فيدو ، لا تنطبق على اي شيء سوى اسماء العلم ، وهناك صيغ للنظرية هذه تبرر تبني مفهوم اوسع للاشارة

وهي اكثر تعقيدا من الصيغة التي سأستخدمها في هذا الكتاب . وأرى ان من المهم ، ومنذ البداية في الاقل ، ان اؤكد الفرق في طريقة تعلق الوحدات المعجمية وتعابير الاشارة بالعالم فدلالة الوحدة المعجمية تخص الوحدة المعجمية ذاتها بعيدا عن استعمالها في مناسبات معينة من الكلام ، اما اشارة التعبير المؤشر فتختلف من سياق في الاستعمال الى سياق آخر . فعلى سبيل المثال ، تدل الكلمة (كلب) على صنف معين من الحيوانات في حين تشير العبارة the dog (الكلب) او العبارة my dog (كلبي) او العبارة the dog that bit the postman (الكلب الذي عض ساعي البريد) الى الاعضاء المختلفة للصنف في مناسبات معينة من الكلام . وساناقش الاشارة باعتبارها تختلف عن الدلالة ، في فصل آخر .

يتضح مما تقدم ان الوحدة المعجمية dog تدل على صنف من صنوف الكيانات في العالم الخارجي ، الا انها ذات صلة وبطرق مختلفة بكلمات وتعابير اخرى في اللغة الانكليزية منها animal (حيوان) hound كلب صيد كبير و terrier كلب صيد صغير و spaniel كلب قصير القامة وهلم جرا ، و bitch كلبة fox ثعلب و wolf ذئب وغيرها و cat قطة و pig خنزير و sheep خروف و horse حصانوغيرها . ان كل علاقة من هذا النوع بين كلب وبين التعابير الاخرى يمكن تحديدها على انها احدى علاقات المعنى لها . فالترادف الوصفي الذي ناقشناه آنفا في الفصل السابق نوع من انواع علاقة المعنى . سوف نلقي نظرة خاطفة في الفصل القادم على بعض علاقات المعنى الاخرى الممثلة اعلاه . في (كلب) . اما الان فنكتفي بالامثلة نفسها لغرض تفسير الفرق بين الدلالة والمعنى واعتماد احدهما على الاخر .

ان معنى اي تعبير ماهو الا مجموع علاقات المعنى القائمة بينه وبين التعابير الاخرى ، ويمكننا الان ان نشير الى بضعة نقاط تخص هذا التعريف اولا يعتمد المعنى على العلاقات القائمة بين التعابير اللغوية ، اي بين كيانات تعود جميعها الى لغة

معينة او اخرى ، وهذا يميز المعنى بجلاء عن الدلالة والتي تربط التعابير بصنوف من الكيانات في العالم .

ان ما قلناه الان لا يتعارض مع وجود انواع مختلفة من تعابير ما وراء اللغة في اللغات الطبيعية كافة ، وينبغي تأكيد هذه النقطة . ان التمييز بين المعنى والدلالة ينطبق على تعابير ما وراء اللغة مثل (الوحدة المعجمية) و (الكلمة) و (التعبير اللغوي) بالطريقة ذاتها التي ينطبق فيها على تعابير اخرى ، ومما لا شك فيه ان التفكير الواضح فيما يخص تعابير ما وراء اللغة هو اصعب بكثير من التفكير بالتعابير الدالة على الكلاب والقطط وكائنات مماثلة اخرى في العالم الخارجي ، ومع ذلك ينبغي ان يكون الامر واضحا لدى التأمل ، ان لم نقل مباشرة ، ان التعابير اللغوية مثل (تعبير لغوي) و (وحدة معجمية) لها صلة بعضها ببعض من حيث المعنى ، وهذه الصلة مشابهة للصلة القائمة بين (حيوان) و (كلب) ، بينما يكون (التعبير اللغوي) و (الوحدة المعجمية) متعلقين ببعضهما البعض في مجال الدلالة بنفس الطريقة التي ترتبط فيها (حيوان) بكلب معين او بحيوان آخر ، فعلى سبيل المثال يدل (تعبير لغوي) على التعابير اللغوية التالية : (تعبير لغوي) و (وحدة معجمية) و (كلمة) وهلم جرا ، ويدل كذلك مثلا على (كلب) و (حيوان) وهلم جرا ، مثلما يدل (حيوان) على الكلبين فيدو و روفر وهلم جرا ، كما يدل ايضا على فروع اخرى من صنف الحيوانات ، فالدلالة كما شاهدناها تمثل العلاقة القائمة اولا او من حيث الاساس بين التعابير وبين الكيانات المادية في العالم الخارجي ، ولكن اللغات الطبيعية تتضمن ايضا تعابير تدل على كيانات غير مادية ، وعلى الرغم من ان تعابير ما وراء اللغة ليست التعابير الوحيدة من هذا النوع الا انها ذات اهمية خاصة بالنسبة لعلماء الدلالة .

اما النقطة الثانية التي ينبغي توضيحها عن المعنى والدلالة فهي كلا منهما ينطبق

بالتساوي على تعابير بسيطة معجميا والتعابير المركبة معجميا ، فعلى سبيل المثال يعتبر التعبيران لبون أليف من صنف الكلاب و حيوان آكل اللحم ذو اطراف اربعة المأخوذان من قيود كلمة كلب في معجمين نشرا حديثا تعبيرين مركبين معجميا ، وان معناها ودلالتها يحددهما معنى ودلالة الوحدات المعجمية المكونة لهما ومن المفيد ان نذكر انهما يختلفات في ان احدهما يستخدم وحدات معجمية اكثر تخصصا (من صنف الكلاب لبون) من الوحدات التي يستخدمها الاخر ، وسنعود الى مناقشة هذا الجانب من المسألة قريبا ، على ان المبدأ يبقى في كلتا الحالتين نافذا ، وهو ان معنى الكل ودلالته عبارة عن وظيفة تكوينية لمعنى الاجزاء ودلالتها ، وسأوضح هذا المبدأ في الفصل الرابع .

اما النقطة الثالثة فهي ان المعنى والدلالة عموما يعتمد كل منهما على الاخر ، وهما مرتبطان احدهما ارتباطا عكسيا فيما يخص الحجم ، وقد تبدو هذه النقطة واضحة الا انها ذات اهمية كبيرة فيما بعد ، تحتاج الى توضيح كما هو الحال فيما يخص النقاط السابقة . ان المعنى والدلالة يعتمدان احدهما على الاخر بشكل يجعل المرء غير قادر على معرفة احدهما عادة دون ان تكون لديه في الاقل شيء من المعرفة عن الاخر ، ويؤدي هذا الى احتمال ان احدهما ينبغي ان يعتبر اكثر اساسا من الناحية المنطقية او النفسية وسوف اقوم بمناقشة هذا الاحتمال في القسم التالي .

اما العلاقة العكسية القائمة بين المعنى والدلالة فيمكن التعبير عنها عامة على الوجه التالي : كلما توسعت الدلالة ، صغر المعنى والعكس صحيح ، فعلى سبيل المثال تعتبر دلالة حيوان اوسع من دلالة كلب (كل الكلاب حيوانات ، ولكن ليست كل الحيوانات كلابا) ، ولكن معنى حيوان اقل تحديدا من معنى كلب . ان هذه العلاقة العكسية معروفة جيدا في علم المنطق التقليدي بموجب الفرق القائم بين المدلول و المفهوم ، اي ان مدلول اي مصطلح او تعبير يمثل على وجه التقريب صنف

الكيانات التي يحددها هذا المدلول ، اما مفهومه فيمثل الخاصية المحددة للصنف .
ان علم الدلالة الشكلي الحديث يطور هذا التمييز بطريقة خاصة كما سنرى ذلك .

واخيرا ينبغي التأكيد في هذه الفقرة ان كل ما قلناه هنا عن المعنى والدلالة ينبغي ان لايفسر انه يعني ان المعنى او الدلالة واضح المعالم كل الوضوح لجميع الوحدات المعجمية في مفردات اللغات الطبيعية او بالنسبة حتى لغالبية هذه الوحدات المعجمية ، والصحيح عكس ذلك اذ ان معنى غالبية الوحدات المعجمية ، وبالتالي معنى غالبية التعابير المركبة معجميا ، يبدو غير واضح تماما على وجه العموم ، وكذلك ليس واضحا في معظم الاحيان هل ان كيانا معينا يقع ضمن دلالة تعبير معين ام لا . ما المقصود اذن بالقول ان شخصا ما يعرف المعنى الوصفي لتعابير معينة في لغته الام ؟ بل كيف نستطيع ان نجري اتصالات فيما بيننا بنجاح باستخدام اللغة اذا كان المعنى الوصفي لغالبية الوحدات المعجمية ـ معناها ودلالتها ـ غير واضح او غير محدد اصلا ؟ هذه مسألة تستحق الذكر .

قبل نحو ٤٠ عاما اقام برتراند رسل تمييزا بين ما سماه بكلمات الاشياء وكلمات المعجم ، وقد ناقش علماء الدلالة هذا التمييز كثيرا فيما بعد . ولم يكن هذا التمييز نفسه اصيلا ، الا ان رسل عبر عن نفسه بوضوح متميز ، وان الطريقة التي طور فيها مبدأه المثير في البداية جعلت صياغته لهذا التمييز ممتعة بشكل خاص . فهو يقول ان كلمات الاشياء تُعرف منطقيا انها كلمات ذات معنى عندما ترد على نفراد ، اما من الناحية النفسية فهي كلمات تعلمناها دون اللجوء الى تعلم اية كلمات اخرى اخرى من قبل ، اما الكلمات المعجمية فهي « كلمات فائضة نظريا » طالما يمكن تحديدها وتعلمها بموجب كلمات الاشياء التي هي الاساس منطقيا ونفسيا (رسل ١٩٤١ : ٦٢ - ٦٣) .

لو تركنا جانبا كلمات المعجم غير الاساس ، يمكننا الان ان نسأل كيف يستطيع المرء ان يعرف المعنى الوصفي لما يدعى بكلمات الاشياء ؟ ان رأي رسل واضح كل الوضوح في هذا الخصوص ، ان لم نقل متطرفاً ، فكلمات الاشياء يتعملها المرء **بالتأشير** ، أي ان يعرض للمتعلم عددا كافيا من الكيانات التي تقع ضمن دلالة او مدلول كل كلمة من كلمات الاشياء ويشمل **تعريف التأشير** في اجلى صيغه الاشارة الى كيان واحد او اكثر له دلالة الكلمة مدار البحث ، والقول مثلا «ذلك س » فنؤشر مثلا الى كلب واحد او اكثر ونقول « ذلك كلب » ويلعب التعريف التأشيري دورا مهما نظريا ان لم نقل عمليا في التقليد التجريبي الذي يؤمن به رسل وكذلك هو الحال فيما يخص الدلالة ويوضح تعريف رسل لكلمات الاشياء بان معاني هذه الكلمات دلالتها خلافا لمعاني الكلمات المعجمية .

لكن فكرة تعريف التأشير واجهت نقدا كثيرا ، وفي الحقيقة يمكن اظهار ضعف هذه الفكرة ببساطة ضمن الصيغة التي افترضها رسل وفلاسفة تجريبيون اخرون . اولا ينبغي على الشخص الذي نعرف له تعبيرا ما على نحو تأشيري ان

يفهم معنى ضمير «الاشارة» ذلك (او ما يعادله في اللغات الاخرى) في القضية « ذلك س » ، او ان يفهم الايماءة التي تؤدي الغرض ذاته ، وينبغي عليه ان يعرض الغرض الاعم الذي تؤديه الوحدة الكلامية او الايماءة موضوعة البحث ومن السهل السهو عن اهمية هذا المكون لعملية التعريف التأشيري . واخيرا ينبغي عليه ان يدرك ان الكيان الذي يوجه انتباهه اليه التأشير ينبغي اعتباره مثالا لصنف ما نحسب فضلا عن ان يعرف سابقا مفهوم (الميزة المحددة) للصنف الذي يجري تمثيله ، او ان يستنتج ذلك . فكل كيان يمثل مجموعة غير محدودة كامنة من الصنوف فعلى سبيل المثال يعتبر صديقنا فيدو احد اعضاء صنف الكلاب ، ولكنه يعتبر في الوقت ذاته عضوا في مجموعة غير محدودة من حيوانات الفرع الذي ينتمي اليه (كلاب قصيرة القامة ، وكلاب ذات آذان متهدلة وكلاب ذات ارجل قصيرة وكلاب ذات تعبير حزين وكلاب ذات شعر احمر ـ قهوائي ، وغير ذلك) ، كما انه يعتبر عضوا في مجموعة غير محدودة من الصنوف العليا التي ينتمي اليها (لبائن ومخلوقات ذات اطراف اربعة وحيوانات وكيانات طبيعية وغيرها) . و أهم من هذا كله ان فيدو عضو في مجموعة غير محدودة من صنوف الكيانات التي ينتمي اليها عدد قليل جدا من الكلاب الاخرى ، إن وجدت والتي ينتمي اليها عدد كبير من غير الكلاب (مثلا صنف الكيانات المتنقلة التي تحدث صوتا متميزا يجعل الطفل الصغير جوني يهدل بغبطة قائلا : ماما ، بابا ، القطة ، المكنسة الكهربائية ، وهلم جرا) كيف يستطيع المرء ان يعرف حصرا اي صنف من مجموعة الصنوف غير المحدودة هو الصنف الذي يريد تعريفه ؟

ان المشكلة هذه ليست مستعصية اذا افترضنا ان الشخص الذي يتعلم مدلول تعبير ما (صنف الكيانات التي يدل عليها) لديه معرفة مسبقة بما يحتمل ان يكون عليه مفهوم هذا التعبير ، وعلى اية حال ان المشكلة لا تبدو غير قابلة للحل بالنسبة

للعالم التجريبي الدقيق الملاحظة .

لنهمل الان ما اسميه بشرط التكافؤ لرسل ، وهو الشرط المفروض على كلمات الاشياء من ان معناها يجب ان يكون مستقلا منطقياً ونفسياً عن معنى الكلمات الاخرى . ومن السهل ان نجعل شخصا ما يرى ما يؤشر اليه المرء وان نعطيه فكرة عن الصنف المراد تمثيله بواسطة الكيان المبين ، هذا اذا سمح الشخص لنفسه ان يستخدم تعابير اخرى ، اساسا ام غير اساس لها علاقة في المعنى بالكلمة المراد تعريفها . فعلى سبيل المثال ، اذا قلت « ذلك الحيوان كلب » ولم اقل « ذلك كلب » فهناك احتمال ضعيف في ان محدثي سيظن اني اشير الى المكنسة الكهربائية او الى بساط الموقد (اذا كان لدى محدثي معرفة جيدة عن مفهوم حيوان) واذا قلت (ذلك كلب وليس قطة) فاني بهذا اثير انتباهه الى الميزات الوظيفية والمحسوسة التي تميز الكلاب عن القطط وباختصار فان احتمال نجاح التعريف التأشيري اكبر اذاما اهمل شرط التكافؤ .

ان من الواضح على اية حال اننا لانعمل بموجب هذه الطريقة بشكل عملي ، بغض النظر عما اذا كان من الممكن من حيث المبدأ ان نتعلم دلالة تعبير ما دون ان نعرف (او نتعلم في الوقت ذاته) تعابير اخرى لها صلة بالتعبير الاول من حيث المعنى ، واننا لا نتعلم اول ما نتعلم في سن الطفولة المدلول الكامل مثلا لـ كلب دون معرفة اي شيء عن مدلول بعض التعابير الاكثر ورودا والاكثر شيوعا والتي لها صله بمعنى «كلب» ، ولقد إدّعى رسل ، كما نتذكر ، ان كلمات الاشياء (تعرف . . . . . . نفسيا على انها كلمات تعلمها المرء دون ضرورة لتعلم اية كلمات اخرى من قبل) ، واذا كانت كلمة (نفسيا) تفهم حسب تعريف رسل على انها تشير الى اكتساب الاطفال للغة في الظروف الاعتيادية ، فان معنى دلالة ما يظنه رسل واخرون انها كلمات أساسية هما بلا شك ليسا مستقلين احدهما عن الاخر (ومما يذكر

ان امثلة رسل الخاصة التي استعارها من اللغة الانكليزية تشمل الكلمات التالية : (رجل ، و كلب و اصغر ، و صعب ، و حلو ، و يمشي ، و يركض ، و يأكل ، و يشرب ، و اعلى ، و اسفل ، و في ، و خارج ، و قبل ، و بعد) . لقد بحث موضوع اكتساب اللغة لدى الاطفال بشكل مسهب خلال السنوات الاخيرة ، ومن الواضح ان الاطفال لا يتعلمون معنى الكلمات بموجب الطريقة التي يقترحها رسل ، وهناك حالة معروفة في المؤلفات عن هذا الموضوع تخص طفلا نطق kwa كوا (وهي الصيغة التي يستخدمها الطفل بدلا من quack كواك بطبطة) لتشير الى البطة فضلا عن الحليب وقطعة نقود وعين دب الاطفال . فالطفل يتعلم تدريجيا دلالة كلمة واحدة فقط ، وذلك بتعلم دلالات كلمات اخرى في الوقت ذاته .

ما هو موقفنا اذن من التمييز بين التعابير الاساس والتعابير غير الاساس ؟ ان لهذا الامر تاريخا طويلا ، وكما قلت سابقا ، انه موضوع مغر بديهيا ، ومن الواضح انه اذا كانت المناقشة الواردة في الفقرات القليلة السابقة مقبولة ، فلا يمكننا ان نؤيد رسل فنقول ان التعابير الاساس هي تلك التعابير التي يتقرر معناها تماما بواسطة دلالتها، وان التعابير غير الأساس هي تلك التعابير التي يتقرر معناها (والذي يقرر دلالتها فيما بعد) تماما بواسطة معنى التعابير الاساس المستخدمة لتعريفها .

ان هذا لا يعني ان التمييز ذاته قد اخفق في تحقيق الهدف ، فهو يمثل الحجر الاساس لنظام عرف باللغة الانكليزية الاساس التي ابتكرها سي كي او غدن c. k. ogden في الثلاثينات والتي قصد منها ان تكون لغة عالمية ثانية ان اللغة الانكليزية الأساس لها مفردات تضم ٨٥٠ وحدة معجمية يعتقد انها كافية لتعريف الوحدات المعجمية الاخرى في اللغة الانكليزية القياسية فضلا عن تعريف الوحدات المعجمية كافة في اللغات الاخرى ، وتعتبر اللغة الانكليزية الاساس احدى الانظمة العديدة المماثلة التي تعتمد في الاساس على التأملات الفلسفية التي نادى لا يبنز (Leibniz)

والعبارات الانكليزية ، وهناك ايضا كتب عديدة في اللغات الاجنبية تقتصر عن قصد على ما تعتبره اللغة الاساسية التي تعتبرها ضرورية وكافية للاغراض اليومية ، دون اية اشارة فلسفية لما يسمى بالمفردات الاساس التي تعمل هذه الكتب بموجبها . وقد نشرت رسميا في بعض الاقطار قوائم تتضمن الكلمات الاساس من هذا النوع في بعض اللغات ، وتعد الامتحانات والكتب المنهجية بموجب هذه القوائم .

اما كلمات المعجم فان من المفيد ان نعود الان الى التعابير المركبة معجميا المأخوذة من قيود الكلمة (كلب) حسب ورودها في معجمين حديثين للغة الانكليزية جاءذكرها في فقرة سابقة : حيوان اليف من صنف الكلاب و حيوان شائع / آكل اللحم وذو اطراف اربعة ، يرد التعبير الاول في معجم كولنز للغة الانكليزية (١٩٧٩) collins dictonary of the English language ، ويرد التعبير الثاني في معجم لونكمان للغة الانكليزية المعاصرة (١٩٧٨) longman dictionary contemporary English ان الفرق الذي يلفت النظر كثيرا ان تعريف لونكمان مدون بكلمات مختارة من مفردات محددة بنحو ٢٠٠٠ كلمة تم اختيارها نتيجة لدراسة مستفيضة لعدد من قوائم تردد الكلمة والقوائم التعليمية . تعاريف هذا المعجم تتماشى مع المبدأ القائل ان التعاريف تكتب دائما باستخدام مصطلحات ابسط من الكلمات التي تصفها (الصفحتان ٨ و ٩) ، اما تعريف كولنز فمكتوب بموجب مبدأ مختلف ، ولو انه غير متعارض مع المبدأ المذكور آنفا مفاده ان التعريف يجب ان يكون بالنثر الانكليزي الواضح ، كما انه يجب ان يكتب بكلمات تعتبر كل واحدة منها قيدا بحد ذاتها في المعجم (الصفحة ١٥) ، وهناك فرق آخر ستكون له علاقة وثيقة بهذا الموضوع في القسم التالي ، وهو ان تعبير كولنز اقرب لان يكون مترادفا مع كلمة (كلب) (في احد معانيها) من تعبير لونكمان .

اود ان أؤكد هنا ان هناك ما لايقل عن معنيين مختلفين لكلمة (اساس) (او

بسيط) ، تكون وحدة معجمية بموجبها اكثر اساسا (او ابسط) من وحدة معجمية اخرى ، اما المعنى الاوضح لكلمة اساس ، فهو ذلك المعنى الذي يعتمد على الاستخدام اليومي (غير التقني) . وبموجب هذا المبدأ يعتبر قيد لونكمان متضمنا وعلى نحو جلي كلمات اكثر اساساً (او ابسط) من الكلمات التي يتضمنها قيد كولنز ، فضلا على انه يتوجب على مستخدم القيد ان يفسر التعبيرين المركبين معجميا (ذو اربعة اطراف) و (آكل اللحم) ويمكن للمفردات المحددة قصدا والواردة في كتب اللغات الاجنبية المشار اعلاه ان تسمى اساسية بموجب المعنى ذاته .

وعلى اية حال هناك معنى آخر من حيث المبدأ لكلمة (اساس) ، ففي المعنى الثاني هذا ليس واضحا على الاطلاق معرفة ان الكلمات اليومية المألوفة هي اساس اكثر بالضرورة من الكلمات الاقل الفة مثل (لبون) او (اليف) ، وربما كانت بعض الكلمات اساسا اكثر من كلمات اخرى ، لانها تستخدم في تعريف نسبة كبيرة من المجموع الكلي لمفردات اللغة ، او يمكن استخدامها في تكوين مجموعة من التعاريف المترابطة مع بعضها البعض والتي هي اكثر انتظاما واكثر جمالا ، وربما كانت هذه الكلمات اكثر ارتباطا وعلى نحو مباشر بما كان يظنه لايبنز وفلاسفة اخرون في القرن السابع عشر على انها مفاهيم ذرية ، اي انها مفاهيم تمثل وحدات البناء ، اذا جاز التعبير ، للنظام الادراكي الذي يقود ويحدد التفكير الحديث ، السليم كله . هذا احد معاني (اساس) او (اولي) السائد في التقليد الفلسفي ، مع ان رسل واخرون غالبا ما يتحدثون وكان المعنيين يحددان الى حد بعيد نفس المجموعة من كلمات الاشياء . ثم ان المعنى الثاني هذا لـ (اساسي) هو السائد عند وضع غالبية النظريات الحديثة في علم اللغة كما سنرى ذلك في الفصل الرابع ، وليس من سبب يدعو الى الاعتقاد ان معنيي (اساس) ينبغي تطبيقهما على الوحدات المعجمية ذاتها وعلى نحو دقيق ، الا ان من المعقول ان نفترض انه ينبغي لوحدات معجمية عديدة

وبشوب ولكنز (Bishop wilkins)' وعلماء اخرون في القرن السابع عشر ، وقد نادت مؤلفات هؤلاء بمبدأ التجريبية المنطقية الذي آمن به رسل والذي اثّر كثيرا على روحية (roget) في عام ١٨٥٢ حينما قام بتجميع معجمه المعروف بـ **معجم الكلمات والعبارات الانكليزية** ، وهناك ايضا كتب عديدة في اللغات الاجنبية تقتصر عن قصد على ما تعتبره اللغة الاساسية التي تعتبرها ضرورية وكافية للاغراض اليومية ، دون اية اشارة فلسفية لما يسمى بالمفردات الاساس التي تعمل هذه الكتب بموجبها . وقد نشرت رسميا في بعض الاقطار قوائم تتضمن الكلمات الاساس من هذا النوع في بعض اللغات ، وتعد الامتحانات والكتب المنهجية بموجب هذه القوائم .

اما كلمات المعجم فان من المفيد ان نعود الان الى التعابير المركبة معجميا المأخوذة من قيود الكلمة (كلب) حسب ورودها في معجمين حديثين للغة الانكليزية جاءذكرها في فقرة سابقة : حيوان اليف من صنف الكلاب و حيوان شائع آكل اللحم وذو اطراف اربعة ، يرد التعبير الاول في معجم كولنز للغة الانكليزية (١٩٧٩) collins dictonary of the English language ، ويرد التعبير الثاني في معجم لونگمان للغة الانكليزية المعاصرة (١٩٧٨) longman dictionary contemporary English ان الفرق الذي يلفت النظر كثيرا ان تعريف لونگمان مدون بكلمات مختارة من مفردات محددة بنحو ٢٠٠٠ كلمة تم اختيارها نتيجة لدراسة مستفيضة لعدد من قوائم تردد الكلمة والقوائم التعليمية . تعاريف هذا المعجم تتماشى مع المبدأ القائل ان التعاريف تكتب دائما باستخدام مصطلحات ابسط من الكلمات التي تصفها (الصفحتان ٨ و ٩) ، اما تعريف كولنز فمكتوب بموجب مبدأ مختلف ، ولو انه غير متعارض مع المبدأ المذكور آنفا مفاده ان التعريف يجب ان يكون بالنثر الانكليزي الواضح ، كما انه يجب ان يكتب بكلمات تعتبر كل واحدة منها قيدا بحد ذاتها في المعجم (الصفحة ١٥) ، وهناك فرق آخر ستكون له علاقة وثيقة بهذا الموضوع في

القسم التالي ، وهو ان تعبير كولنز اقرب لان يكون مترادفا مع كلمة (كلب) (في احد معانيها) من تعبير لونكمان .

اود ان اؤكد هنا ان هناك ما لايقل عن معنيين مختلفين لكلمة (اساس) (او بسيط) ، تكون وحدة معجمية بموجبها اكثر اساسا (او ابسط) من وحدة معجمية اخرى ، اما المعنى الاوضح لكلمة اساس ، فهو ذلك المعنى الذي يعتمد على الاستخدام اليومي (غير التقني) . وبموجب هذا المبدأ يعتبر قيد لونكمان متضمنا وعلى نحو جلي كلمات اكثر اساس (او ابسط) من الكلمات التي يتضمنها قيد كولنز ، فضلا على انه يتوجب على مستخدم القيد ان يفسر التعبيرين المركبين معجميا (ذو اربعة اطراف) و (آكل اللحم) ويمكن للمفردات المحددة قصدا والواردة في كتب اللغات الاجنبية المشار اعلاه ان تسمى اساسية بموجب المعنى ذاته .

وعلى اية حال هناك معنى آخر من حيث المبدأ لكلمة (اساس) ، ففي المعنى الثاني هذا ليس واضحا على الاطلاق معرفة ان الكلمات اليومية المألوفة هي اساس اكثر بالضرورة من الكلمات الاقل الفة مثل (لبون) او (اليف) ، وربما كانت بعض الكلمات اساسا اكثر من كلمات اخرى ،. لانها تستخدم في تعريف نسبة كبيرة من المجموع الكلي لمفردات اللغة ، او يمكن استخدامها في تكوين مجموعة من التعاريف المترابطة مع بعضها البعض والتي هي اكثر انتظاما واكثر جمالا ، وربما كانت هذه الكلمات اكثر ارتباطا وعلى نحو مباشر بما كان يظنه لايبنز وفلاسفة اخرون في القرن السابع عشر على انها مفاهيم ذرية ، اي انها مفاهيم تمثل وحدات البناء ، اذا جاز التعبير ، للنظام الادراكي الذي يقود ويحدد التفكير الحديث ، السليم كله . هذا احد معاني (اساس) او (اولي) السائد في التقليد الفلسفي ، مع ان رسل واخزون غالبا ما يتحدثون وكأن المعنيين يحددان الى حد بعيد نفس المجموعة من كلمات الاشياء . ثم ان المعنى الثاني هذا لـ (اساسي) هو السائد عند وضع غالبية

النظريات الحديثة في علم اللغة كما سنرى ذلك في الفصل الرابع ، وليس من سبب يدعو الى الاعتقاد ان معنيي (اساس) ينبغي تطبيقهما على الوحدات المعجمية ذاتها وعلى نحو دقيق ، الا ان من المعقول ان نفترض انه ينبغي لوحدات معجمية عديدة في مفردات اللغات الطبيعية كافة ان تكون اساسية حسب معنيي (اساس) وسوف نهتم بهذه النقطة عندما نناقش الانواع الطبيعية والنماذج الاصلية الدلالية .

لقد قدمت في هذا القسم وعن بعض الآراء الفلسفية التي نادرا ما يرد ذكرها في المقدمات التي يكتبها علماء اللغة عن علم الدلالة ، كما اكدت على هذه الآراء ، وقد قمت بهذا لاني ارى من المستحيل ان نثمن حتى الكتاب الاكثر واقعية في علم الدلالة الوصفي مالم يكن لدينا مفهوم بسيط عن الفكر الفلسفي العام الذي يكتب بموجبه الكتاب ، ويصح ذلك بغض النظر عما اذا كان المؤلف نفسه مدركا للاصول الفلسفية او المضامين الفلسفية لمبادىء عمله .

بقي علينا ان نضيف ان التقليد التجريبي قد اصبح ذا اهمية بالغة في تطوير علم الدلالة الشكلي الحديث ، ومازال هذا التقليد يؤثر في تفكير العديد من الذين يرتضون بشدة مبدأ التجريبية . لقد اتجه الفلاسفة التجريبيون دائما نحو اعطاء الاولوية الى المزايا المحسوسة (الظاهرية) للكيانات في مناقشاتم للدلالة ، اي لتلك المزايا التي يمكن معرفتها او ادراكها بالحواس وعلينا ان لا نقبل هذا الرأي من غير تمحيص لا لسبب الا لاننا تناقلناه بالتقليد من غير تمحيص ايضا في اغلب الاحيان ، ان الميزات الوظيفية ـ تلك الميزات التي تنفعنا في تحقيق اهداف معينة ـ ليست اقل اهمية في تقرير ما هو اساسي ، وما ينبغي ان يكون اساسيا في مفردات لغات البشر ، فعلى سبيل المثال يحتمل ان تكون صلاحية الاكل ذات اهمية مشابهة لاهمية اللون او لشكل يمكن استخدامها باعتبارها تمثل احدى المزايا التي ندركها على اساس انها حاسمة في اقامة دلالة لمجموعات كاملة من الوحدات المعجمية .

غالبا ما يستغرب الشخص الساذج الذي يتكلم اللغة الانكليزية لا غير ، او اية لغة اخرى واحدة عندما يعلم ان هناك وحدات معجمية في لغته ليست معادلة وصفيا لوحدات في لغات اخرى ، ولكن هذا واقع الامر ، كما ينبغي ان لايظن ان الكلمات التي تدل على صنوف من الكيانات المحددة ثقافيا وجغرافيا (مثل : ضريح مقدس ، و خشبة الرسق ، و موسم الرياح الموسمية ، و شجرة الصفصاف ، وما الى ذلك) هي الكلمات الوحيدة التي تفتقر الى كلمات معادلة لها وصفيا في اللغات الاخرى فهناك مقدار وافر من الثلج في غرينلند ، وليست هناك ندرة في الرمال في الصحراء الاسترالية ، والجمال منتشرة في معظم الاقطار العربية ، ومع ذلك فليست هناك كلمة واحدة عامة للثلج في لغة الا سكيمو ، ولا كلمة واحدة للرمل في العديد من اللغات الاسترالية الاصلية ولا كلمة واحدة للجمال بحد ذاتها في اللغة العربية ، وهناك امثلة مماثلة لهذه الكلمات ويكاد يجدها المرء في كل كتاب منهجي في علم اللغة كتب خلال السنوات الخمسين الماضية ، بل اذا عدنا الى امثلة الاسكيمو والعربية يمكننا ان نضيف عبارة وكما يعرفها كل تلميذ (او تلميذة) .

لا حاجة لنا ان نأخذ امثلتنا من لغات يعتبرها الكثيرون غريبة فعلى الرغم من الانطباع الذي قد تعطيه المعاجم القياسية ثنائية اللغة ، لا يمكن ترجمة الكلمات الانكليزية العامة (قهوائي) و (قرد) و (كرسي) و (قارورة) و (سجاد) - على سبيل المثال لا الحصر - الى اللغة الفرنسية على نحو دقيق خارج السياق ودون القيام بخيارات عشوائية فتترجم (او ينبغي ان تترجم) (قهوائي) الى اللغة الفرنسية حسب سياقها brun احيانا و بـ marron في أحيان اخرى ، فضلا على ترجمتها بـ beige وبكلمات مماثلة اكثر تحديدا ، بل قد تترجم في حالات خاصة تتعلق بالاحذية

الرجالية القهوائية الفاتحة اللون بـ jaune والتي تعني ـ كما نفهمها عادة ـ اصفر وهناك العديد من الامثلة الاخرى (ناقشت بعضها في مكان آخر) .

غالبا ما يلخص علماء اللغة هذه الفروق المعجمية بين اللغات بموجب التعميم التالي : تقسم كل لغة العالم .و الحقيقة حسب طريقتها الخاصة ، وهناك صياغة اخرى هي مدار جدل لهذه المسألة ارتبطت في السنوات الاخيرة بعلماء لغة امريكان مثل ادورد سابير edward sapir وبنجامين لي دورف Benjamin lee whorf وهي ان ما نتصوره انه العالم او الحقيقة هو الى حد كبير جدا حصيلة الفصائل المفروضة على مجموعة الخبرة وعلى سيل الافكار غير المتبلورة الذي تفرضه اللغات التي اتيح لنا تكلمها ، وقد تبنى الفكرة ذاتها في مطلع القرن الحالي عالم اللغة السويسري فرديناند دي سوسور ferdinand de saussure ، و هي تدخل عنصرا غير جوهري في الانواع المختلفة للنظرية البنيوية الاوربية الامريكية .

يمكن مقارنة النظرية البنيوية في هذا الخصوص بالمذهب الذري (لاحظ شرط الذرية وفكرة المفاهيم الذرية الوارد ذكرها في القسم السابق) فهي (البنيوية) تؤكد اعتماد الكيانات بعضها على البعض الاخر وليس كيانها الفردي المستقل . بل ان البنيوية بوصفها مذهبا فلسفيا تزعم في صورتها المتطرفة بان لا جوهر او وجود للكيانات بمعزل عن التركيب الذي يفرضه الفكر او اللغة على مادة غير مميزة من مواد العالم وهي تعتبر مبدأ قويا اخذ بعقل العديد من علماء الدلالة ، الا انها تصبح سائغة بالنسبة لكل الاذواق الفلسفية عدا الغربية منها ، اذا ما خففت حدتها بمقدار كاف من الواقعية الساذجة ، وستبقى متميزة لدرجة تؤهلها لان تكون جديرة بالاخذ بها .

قد تختلف الواقعية الساذجة عن الواقعية الفلسفية ؛ ولكن مؤيدي كل منهما متفقون في الرأي على ان العالم الخارجي مكون من كيانات لا يعتمد وجودها على العقل واللغة ، فضلا على اتفاقهم في الرأي على انه يمكن دمج بعض او كل هذه

الكيانات (اشخاص وحيوانات واشياء) فيما يسمى تقليديا بالانـواع الطبيعيـة ، وهي الصنوف التي يشترك اعضاؤها في جـوهر واحـد ، واوضح مثـال مناسب ، بطبيعة الحال ، لحالة الانواع الطبيعية الفصائل الحية التي تتوالد كل حسب نوعها ، حسب التعبير التقليدي ، اذ نجد كائنات بشرية تنجب وتلد كائنات بشرية ، كما نجد النمور تنجب نمورا جديدة ، واشجار البلوط تتكاثر في نوعها دون اي تغيير جوهري وهلم جرا ويحوي العالم الخارجي ايضا حسب رأي العالم الواقعي مجاميع اجمالية من انواع مختلفة من المادة كالماء والذهب والملح ، وما شابه ذلك ، بحيث تقع كل مجموعتين من هذه المواد ضمن نوع واحد على نحو كلي او جزئي ، ويدعو النحو التقليدي الذي كان واقعيا الى حد كبير في مفاهيمه الفلسفية خلال معظم فتراتـه التاريخية ، الى ان الاسماء العامة (اي اسماء غير العلم) تدل على انواع طبيعية بينما تدل اسماء العلم على كيانات خاصة . ان اللغة الانكليزية تميز نحويا (شأنها شأن بعض اللغات وليس كلها) بين الكلمات التي تشير الى كيانات ، اي الاسماء القابلة للعد (مثل رجل ، و نمر ، و شجرة البلوط) وبين الكلمات الدالة على اسماء الكم (مثل ماء ، و ذهب ، و ملح) .

لقد قام معظم فلاسفة اللغة الذين اسهموا في تطوير المذهب التقليدي للانواع الطبيعية ، وحتى عهد قريب ، بتفسير هذا المـذهب بموجب التمييـز بين المفهـوم والمدلول ، فقالوا انه لكي نعرف معنى اي تعبير يشير الى نوع طبيعي علينا ان نعرف مفهومه أي ان نعرف صفاته المميزة او الشروط الضرورية الكافية ، حسب المفهوم الفلسفي ، الواجب توفرها في أي كيان او مادة تقع ضمن مدلول التعبير الذي نحن بصدده ، ولقد جاء كل من هيلري بتمان Hilary putman وسول كربك saul kripke خلال السنوات القليلة الماضية باقتراح صيغة جديدة ممتعة لمذهب الانواع الطبيعية تفصل العلاقة القائمة بين المفهوم والجوهر ، ولا يسعنا المجـال الان الدخـول في

تفاصيل الامور الفلسفية ، الا اننا نوضح لأولئك الذين لديهم خلفية مسبقة في الفلسفة ان نظرية تعابير الانواع الطبيعية ، كما طورها بتمان وكربك تتجاوز الجدل القديم القائم بين اصحاب النظرية الاسمية واصحاب النظرية الواقعية نظرية اسمية في انها تعتبر العلاقة القائمة بين تعبير النوع الطبيعي ومدلوله مطابقة في المجالات الدقيقة كافة للعلاقة القائمة بين اسم العلم وبين ما يدل عليه اسم العلم هذا ، وهي نظرية واقعية في انها لا تنكر ان اعضاء النوع الطبيعي الواحد تشترك في جوهر واحد . والحجج التي نشرها بتمان وكربك واتباعهما دقيقة ومقنعة تسندها كل تقنيات علم المنطق الرياضي الحديث (لاحظ مصادر هذا الموضوع المدرجة في ثبت المراجع في نهاية الكتاب) .

اننا نتوقع ، وعلى نحو مثالي ، في أية نظرية صائبة في علم الدلالة ان تكون ملاءمة للتفسيرات غير التقنية اليومية للمعنى الوصفي (وهذا يصح تماما على نظرة بتمان وكربك الواردة في اعلاه) اي اننا لا نريد نظرية في علم الدلالة تتعارض مع تفسيرات الادراك البديهي من النوع التي يطلقها راكب حافلة كلايام طالما لا يعكر صفوة تفكيره احد ، او لا يحير عقله احد على حد قول وتكنشتاين Wihgenstein عن طريق توجيه اسئلة تجريدية عامة له مثل « ما المعنى ؟ » فاذا كانت معرفة المعنى الوصفي لـ (كلب) تنطوي على معرفة الصفات المميزة للنوع الطبيعي الذي يشير اليه كلب قلنا ان عددا قليلا من الناطقين باللغة الانكليزية ، ان وجدوا ، يعرفون معنى كلب ، وهناك خبراء معتمدون في هذا الخصوص في الثقافة التي نحن جزء منها يمكنهم ان يحكموا في قضايا مُريبة (مثلا اذا حوكمت على اساس اني سمحت لكلبي عن قصد ان يعبث على رصيف الشارع ، وانكرت انه كلب) ، ولكن الخبراء انفسهم قد يختلفون في الرأي فيما بينهم ان المعنى الوصفي لتعابير النوع الطبيعي غامض ضمنيا او لا يمكن تحديده بوضوح ، شأنه في هذا شأن المعنى الوصفي لمعظم

الوحدات المعجمية . اننا نقيم اتصالات فيما بيننا بنجاح في اغلب الاحيان بقدر تعلق الامر باستخدام كلمات مثل كلب والسبب في هذا يعود الى اننا لا نورط انفسنا عادة في العمل ضمن المجالات الغامضة او المجالات التي لا يمكن تحديد مداها لمعنى الكلمة .

اننا نعمل بصورة عامة ضمن ماجرت تسميتها بالنماذج الاصلية او القوالب الثابتة وان ما نريد الاشارة اليه يتماشى عادة مع النموذج الاصلي ، فعلى سبيل المثال قد يكون النموذج الاصلي لـ كلب مشابه تقريبا لتعريف لونكمان لـ كلب الذي قارناه بتعريف كولنز لـ كلب في الفقرة السابقة ؛ « حيوان شائع ذو اطراف اربعة ، خاصة اي حيوان ضمن مجموعات عديدة من الحيوانات التي يستخدمها الانسان رفيقا او للصيد او للعمل او للحراسة وما الى ذلك » . لقد اقتبست الان التعريف بكامله ، ويلاحظ ان الجزء الاضافي من التعريف والمبتدىء بـ « خاصة » والمنتهي بـ « وما الى ذلك » يشير الى ان هناك انواعا متعددة من الكلاب ، وان بعضها يقع ضمن المدلول البؤري لـ كلب (على انها فروعٌ نموذجية للصنف اكثر مما هي عليه بالنسبة للانواع الاخرى غير البؤرية) . اما المجموعات المتنوعة ، فان بامكان اي منا ان يذكر عددا قليلا منها ، كما يستطيع هواة الكلاب ان يذكروا عددا اكبر منها مثل spaniels كلاب صغيرة الحجم قصيرة القامة و terriers كلاب صيد صغيرة الحجم و poodles كلاب قصيرة مجعدة الشعر ، وهلم جرا . وعندما نقول ان شخصا ما يعرف معنى كلب فاننا نقصد انه يمتلك هذا النوع من المعرفة بالذات . ان تعريف لونكمان ، كما ذكرت سابقا ، والذي يختلف عن تعريف كولنز (حيوان لبون أليف من صنف الكلاب) ليس المقصود فيه ان يكون مرادفا لما يعرفه . ولكن هذا ليس عيبا بالضرورة ، اذ يمكن احيانا ان يُفسر المعنى الوصفي لوحدة معجمية بعبارة تفسيرية مرادفة تقريبا . ويمكن في حالات اخرى التعبير عن المعنى الوصفي على احسن وجه

وذلك باعطاء تعريف غير حاسم وناقص للنموذج الاصلي .

اعتاد علماء اللغة بفضل اسلوب عملهم ان يتحدثوا في هذه المرحلة عن الفرق بين المعرفة اللغوية الحقيقية وبين المعرفة عن العالم . وكذلك عن الفرق بين المعجم الذهني المثالي وبين الموسوعة ، وعن الفرق بين القدرة والانجاز ، وعن الفرق بين علم الدلالة والذرائعية ، ولكل من هذه الانقسامات الثنائية قيمة معينة ، ولكن ينبغي ان لايعتبر اية منها مطابقة للاخريات ، كما لا يمكن تحديد اية واحدة منها بدقة في جميع الاحوال .

والان ينبغي ان نوضح ان المصطلح (النوع الطبيعي) وماقدمته عن هـذا الموضوع حتى الان مضلل في ناحية واحدة ، ففي ضوء الارتباطات التقليدية لـ النوع الطبيعي ، وتعزيزاته الفلسفية في المناقشة الجارية ، تعتبر الكلمات التي تدل على الانواع الطبيعية حسب المعنى التقليدي مختلفة دلاليا عن الكلمات التي تدل على ما ساسميه **بالانواع الثقافية** مثل قذارة و كرسي ، وليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد بهذا الاختلاف ، فلدينا نماذج اصلية للنوع الطبيعي وللانواع الثقافية ، ونعطي تعاريف جدلية من نوع واحد تجمع بين المعايير المحسوسة (الظاهرية) والمعايير الوظيفية ، بل ان كثيرا ما تدمج اللغات الانواع الطبيعية حسب معناها التقليدي وتقسمها ايضا تماما حسب الطريقة التي اقترحها علماء اللغة البنيويون ، وعلى نحـو عشوائي في بعض الاحيان ، ولكنهم فعلوا هذا في الغالب لاسباب ثقافية يمكن تفسيرها ، فعلى سبيل المثال تشمل كل من فاكهة وخضروات انواعـا طبيعية عـديدة ، وهي غـير واضحة ، ولايمكن البث بها حسب معناها الاعتيادي الاكثر شمولا ، وبقدر وضوح دلالتها في معنى نموذجها الاصلي او معناها البؤري ، فان المبدأ الرئيس المستخدم في تصنيف نوع طبيعي معين باعتباره فاكهة او خضروات يعتبر دليلا على صـلاحيته للطهي ، اي هل يأكله الناطقون باللغة الانكليزية باعتباره جزءاً من وجبة طعام

رئيسة تحتوي على اللحم والسمك ، أم يستخدم في عمل الحساء ، وهلم جرا ، وتبدو حقيقة الامر ان النوع الثقافي والنوع الطبيعي مترابطان مع بضعهما البعض لدرجة كبيرة في مفردات لغات البشر لدرجة يصبح فيها من المستحيل في أغلب الاحيان تحديد ايهما الاساس في اغلب الحالات بالنسبة للآخر حسب كل من معنيّ «الاساس» اللذين تمت مناقشتهما في القسم السابق .

لقد ظهرت هذه الحقيقة بجلاء تام في البحوث التي اجراها علماء الانثروبولوجيا (علماء المجتمعات البشرية) وعلماء النفس وعلماء اللغة على مجموعة متنوعة وكبيرة من اللغات وفي حقول مختارة من المفردات ، وقد نال القسط الاكبر من هذه البحوث تشجيعا خلال السنوات الاخيرة من بحث برلين berlin وكي kay ١٩٦٩

المهم الجوهري عن مفردات الالوان اما الميادين الاخرى من المفردات ـ او الحقول المعجمية ـ التي بحثها علماء الدلالة من وجهة النظر هذه تشمل المفردات الخاصة بالشكل والمفردات الخاصة بعلم النبات وعلم الاحياء والمفردات الخاصة بالطهي ومن المألوف ان يركز مؤلفو الكتب على صحة اصناف بؤرية معينة عبر الثقافات المختلفة وذلك عندما يكتبون في هذا الموضوع . ولكن من المهم ايضا ان نؤكد حقيقة ان هناك مقدارا كبيرا من التنوع الذي يعتمد على تنوع الثقافات عبر اللغات . ان ما قلته عن معنى كلمة و خضروات في الفقرة السابقة يعتبر انموذجا للحقول المعجمية كافة بما فيها حقلي اللون والشكل فعلى سبيل المثال ، ان استخدام اللونين الاحمر و الابيض للتمييز بين فصيلتين كبيرتين من الخمر شيء لا يمكن تفسيره بواسطة المعنى البؤري لهاتين الكلمتين ، انما هو عرف ثابت ثقافيا ينبغي ان يتعلمه المرء اثناء تعلمه لاستخدام احمر و ابيض في مواقف متميزة وسياقات متميزة .

ولا بد ان نؤكد ايضا ان مفهوم المعنى البؤري والمعنى الجانبي ينطبق بالتساوي

على حقول المفردات كافة . ولا تقع مصطلحات النوع الطبيعي فحسب ضمن هذا المجال ، من ناحية ، بل كذلك مصطلحات النوع الثقافي ، من ناحية اخرى ، وكذلك هو الحال فيما يخص المصطلحات المجردة والكلمات التي تدل على كيانات ومواد موجودة في العالم المادي . وباختصار ليس هناك مبرر لان يعتقد عالم اللغة ان الكلمات التي يتحدد معناها البؤري بالصفات المميزة للعالم المادي و الآليات الادراكية للكائنات البشرية لها سمة دلالية خاصة .

الخلاصة

لقد بينا في هذا الفصل بان ايجاد تعريف مقبول للكلمة اصعب مما يبدو عليه الامر لاول وهلة ، ولقد توصلنا اخيرا الى الرأي القائل ان غالبية الكلمات الشائعة ـ الكلمات التي تدل على الانواع الطبيعية والانواع الثقافية ـ انما هي بالضرورة غير واضحة بعض الشيء في المعنى وعليه لا يمكن تعريفها لاسباب نظرية مهمة . وقدمنا ايضا تمييزا بين المعنى البؤري والمعنى الجانبي ، وتمييزا اخر بين الدلالة والمعنى وهو لايقل اهمية عن التمييز الاول . وسنوجه اهتمامنا في الفصل القادم الى نظرتين مختلفتين لتحليل المعنى المعجمي ، اي تحليل المكونات واستخدام مسلمات المعنى .

الفصل الرابع

نسيج الكلمات

اضفاء الصفة الشكلية على البنية المعجمية

(....... حيث تأخذ كل كلمة مكانها المناسب لتسهم في اسناد الكلمات الاخرى)

تي . اس . اليوت : لتل گدنك

ينظر الناس في اغلب الاحيان الى الكلمات وكأن لكل كلمة كيانا مستقلا منفصلا ، ولكن كما شاهدنا في الفصل السابق لايمكن فهم اية كلمة على نحو تام بمعزل عن الكلمات الاخرى ذات الصلة بها والتي تحدد معناها . ولو نظرنا الى المسألة من وجهة نظر دلالية لوجدنا من الافضل اعتبار البنية المعجمية للغة ـ بنية مفرداتها ـ شبكة واسعة معقدة من علاقات المعنى ، اي انها تشبه نسيج العنكبوت الواسع المتعدد الابعاد ، يمثل كل خيط فيه احدى هذه العلاقات وتمثل كل عقدة فيه وحدة معجمية مختلفة .

سنناقش في هذا الفصل نظرتين في مسألة وصف البنية المعجمية للغات بطريقة

منتظمة دقيقة . ونستخدم بضعة مفاهيم بسيطة مستعارة من علم المنطق الحديث.

تحليل المكونات

ان احدى الطرق المتبعة لاضفاء الصفة الشكلية على علاقات المعنى القائمة بين الوحدات المعجمية ، او ضبطها ضبطا دقيقا هي طريقة **تحليل المكونات** ، وتتضمن هذه الطريقة ، كما يُستدل من اسمها ، تحليل معنى الوحدة المعجمية الى مكوناتها . ان لهذا التحليل تاريخا طويلا في المناظرات الفلسفية للغة ، الا انه لم يستخدم الا قبل فترة قصيرة وعلى نحو واسع عند علماء اللغة ، هناك مصطلح بديل له وهو **التحليل المعجمي**

لنبدأ العرض بمثال كثير الاستخدام . ان الكلمات (ولد) و (بنت) و (رجل) و (امرأة) تشير كلها الى كائنات بشرية ، وعليه يمكننا ان نستخلص من معنى كل منها العامل المشترك « بشري » ، اي معنى الكلمة الانكليزية human (بشري) .

نستطيع ايضا ان نستخلص العامل المشترك « ذكر » من « ولد » و « رجل » والعامل المشترك « انثى » من « بنت » و « امرأة » اما « رجل » و « امرأة » فيمكن ان يقال عنهما ان لهما **مكون المعنى** « بالغ » باعتباره احد عواملهما ، مقارنة بـ « ولد » وبنت » اللذين يفتقران الى « بالغ » . او بعبارة أدق انهما يحتويان على « غير بالغ » وهكذا يمكن تمثيل معنى كل من الكلمات الاربع على اساس انه نتاج عوامل ثلاثة ، وعلى الوجه الاتي :

«رجل» = «بشري» × «ذكر» × «بالغ»

«امرأة» = «بشري» × «انثى» × «بالغ »

«ولد» = «بشري» × «ذكر» × «غير بالغ»

«بنت» = «بشري» × «انثى» × «غير بالغ»

لقد استخدمت علامة الضرب عن قصد لأؤكد ان هذه العمليات ينبغي اعتبارها معادلات رياضية دقيقة ينطبق عليها المصطلحان « نتاج » و« عامل » تماما كما ينطبقان على ٣٠ = ٢×٣×٥ . . هذا امر واضح . اما مسألة اعتبار فيها بعد المعادلات التي قدمناها صحيحة على نحو تجريبي ، فهذه مسألة اخرى نأتي على شرحها .

لا يقوم علماء اللغة عادة بتمثيل مكونات المعنى على النحو الذي طرحتها ، فبدلا من القول ان الكلمة « رجل » ناتجة عن « بشري » و « ذكر » و « بالغ » فهم يحددون عادة عوامله HUMAN (بشري) MALE (ذكر) و ADULT (بالغ) ، وهذه ليست مجرد مسألة افضلية طباعية ، اذ تستخدم الحروف الكبيرة (الكابتل) المصغرة حسب العرف تشير الى مكونات المعنى التي تزعم انها عامة والتي تركب منها معاني التعابير في اللغات الطبيعية المختلفة . ان قسطا كبيرا من الاستهواء الذي يتمتع به تحليل المكونات ينبع من امكانية تحديد مكونات عامة شاملة كهذه في البنية المعجمية للغات المختلفة ، وغالبا ما توصف هذه المكونات على انها مفاهيم ذرية اساسية ـ حسب المعنى (الاساسي) السائد في العرف الفلسفي الذي لا يتطابق بالضرورة مع المعنى الاوضح الاخر لـ (اساسي) ، كما ورد ذكره في الفصل الثالث .

ما العلاقة اذن بين المكون العام بشري و بشري ، وبين المكون العام ذكر و « ذكر » وهلم جرا ؟ .

ان هذا السؤال مهم من ناحية نظرية لا يثار مطلقا في معظم المناقشات ، اذ يفترض بساطة ان « ذكر » تعني ذكر ، اي ان ذكـر مطابق لـ « ذكـر » واستنادا الى هـذا الافتراض فقط (و لعدم توفر شرط قواعد التفسير الواضحة) يمكن تفسير تحليل «رجل الى ذكر و بالغ » و بشري على انه سرد شيء عن علاقات المعنى القائمة بين الكلمات الانكليزية «رجل» و «ذكر» «بشري» وعليه نستند على هذا الافتراض ،

وهذا يترك السؤال الواضح التالي دون جواب ولن احاول الاجابة عنه - ويمكن للقارىء ان يعتبره سؤالا بلاغيا لايحتاج الى جواب : لماذا تحتل اللغة الانكليزية او اية لغة طبيعية اخرى مكانة متميزة باعتبارها لغة ما وراء اللغة للتحليل الدلالي للغات كافة ؟

والان يمكننا ان نطور العملية الشكلية الى مدى ابعد قليلا . اولا وقبل كل شيء . علينا ان نطرح المكون السالب من « غير بالغ » ونعوض عنه **بعامل النفي** ، كما يعرف في علم المنطق القياسي للقضايا وهو « ~ » او يمكننا ان نميز قيمة موجبة واخرى سالبة للمتغير ذي الحدين + **بالغ** ، اي + **بالغ** و - **بالغ** . ويستخدم عادة علماء اللغة الذين يعملون ضمن اطار النحو التوليدي لجومسكي chomsky هذا النوع الثاني من الرموز . اصبح الان لدينا مكونا اساسيا ذريا ، ومكونا متمما له ~ بالغ فاذا كان **ذكر وانثى** كذلك متممان احدهما الاخر . فحينئذ يمكننا ان نعتبر احدهما اساسيا نشتق الاخر منه بواسطة عامل النفي ذاته .

ولكن ايهما يعتبر اكثر اساسيا من الاخر في الطبيعة او الثقافة ؟ لهذا السؤال اهمية نظرية كبيرة اذا ما اعرنا اهتماما جديا للقيام بجرد مكونات المعنى العامة . من السهل ان ندرك ، من حيث المبدأ ، ان السؤال ليس له جواب شامل مقنع ، ولكن من الواضح بقدر تعلق الامر بمفردات اللغة الانكليزية . اننا نميل عادة الى اعتبار المكون **ذكر** اكثر عموما وبالتالي اكثر اساسيا من ناحية واحدة . وقد يزعم المنادون بمبدأ مساواة الجنسين ، وربما بحق ، ان هذه الحقيقة يمكن تفسيرها من وجهة نظر ثقافية ، على ان هناك حالات شاذة قابلة للتبرير ثقافيا مثل ممرضة nurse و سكرتيرة secretary وغيرها من الكلمات التي تدل (عادة) على كائنات بشرية ، وكذلك اوزة goose وبطة duck وبقرة cow في بعض الحالات ضمن الكلمات التي

تدل على الحيوانات الاليفة . اما فيما يخص المكون العام بشري فهو يقابل مجموعة كاملة من المكونات الاساسية من وجهة نظر واحدة ، ولنسم هذه المكونات بمكونات : الكلبية و السنورية و البقرية وهلم جرا . وكلها اساسية على حد سواء ، حيث يمكن اعتبارها دالة على ميزات محددة ومعقدة للانواع الطبيعية .

لقد استخدمت قبل الان علامة الضرب الى عملية دمج المكونات. ولنعوض عنها الان بعلامة العطف في القضية المنطقية & وعليه يمكننا ان نعيد كتابة تحليل «رجل» و «امرأة» و «ولد» و «بنت» على الوجه التالي :

«رجل» = بشري & ذكر & بالغ

«امرأة» = بشري & ذكر & بالغ

«ولد» = بشري &~ ذكر & ~ بالغ

« بنت » = بشري &~ ذكر &~ بالغ

كما يمكننا ان نضيف الى هذه مايلي :

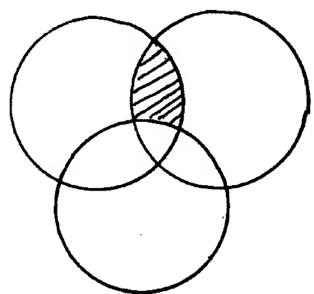
«طفل» = بشري &~ بالغ

لكي نوضح الفرق بين غياب مكون وبين نفيه ، فغياب~ ذكر من تمثيل معنى «طفل» يميز «طفل» عن «بنت» ، اما «فرس» و «حصان» و «مهر» و «فلو» و «خروف» و «كبش» و «نعجة» و «حمل» و «ثور» و «بقرة» و «عجل» ومجاميع كثيرة اخرى من الكلمات فيمكن تحليلها بالطريقة ذاتها مع استعاضة بشري بـ «الخيلي» و «الغنمي» و «البقري» ، وهلم جرا .

ان العمليات المنطقية الوحيدة التي استخدمتها حتى الان هي النفي والعطف . بل قد اضفت في الواقع العديد من الوسائل الاضافية الشكلية وعلى نحو مسلم به عند استخدامي للرمز « ~ » و " & " لعوامل القضية المنطقية وربطتهما

مباشرة بما يسميه علماء المنطق بالمسندات وليس القضايا . وساقدم شرطا لجزء من هذا فيما بعد . ان عملية اضفاء الشكلية التي استخدمتها ليست هي العملية الممكنة الوحيدة ، فقد كان بامكاني ان استخدم في هذه المرحلة مصطلحات ورموز نظرية المجاميع الاولية (في الرياضيات) كما تدرس اليوم في المدارس الابتدائية في ارجاء العالم كافة تقريبا . ان كل ما قيل حتى الآن عن الطبيعة التكوينية للمعنى المعجمي يمكن التعبير عنه بموجب هذه المجاميع وتكاملها وتقاطع المجاميع . فعلى سبيل المثال يمكن تفسير المعادلة : « ولد» = **بشري** & **ذكر** &~ **بالغ** على انها تخبرنا ان كل عنصر يقع ضمن مدلول كلمة«ولد» يكون مشمولاً في تقاطع ثلاث مجاميع وهي **ب** و **ذ** و **با** حيث يمثل **ب** مدلول «بشري» (ومفهومه **بشري** = « بشري ») ، ويمثل **ذ** مدلول «ذكر» ، ويمثل **با** تكملة مدلول « بالغ » . وهذا موضح في الشكل ٢ بما يدعى بمخطط فين venn (الذي يعرفه العديد من المعنيين)

الشكل ٢ : يمثل الجزء
المضبب **ب** و **ذ** و **با**



هناك اسباب عديدة لتقديم هذه المفاهيم الاولية لنظرية المجاميع في هذه المرحلة هي : اولا ان هذه المفاهيم مفهومة ضمنيا في العروض العامة (غير الشكلية) لتحليل المكونات التي يقدمها علماء اللغة وعلماء الانثروبولوجيا وعلماء

النفس مع انها قلما تذكر صراحة ، ثانيا ان هذه المفاهيم مفهومة جيدا ، وقد صيغت صياغة دقيقة في علم المنطق الرياضي الحديث . ولها دور مهم ، كما سنرى ذلك في الجزء الثاني من هذا الكتاب ، في انظمة علم الدلالة الشكلي ذات التأثير الكبير . واخيرا انها تمكننا من اعطاء تفسير دقيق جدا للمصطلح «نتاج» عندما نقول ان معنى وحدة معجمية معينة ما هو الانتاج لمكوناته او عوامله ، وعلى نحو أعم يمكننا القول ان معنى وحدة معجمية معينة (او احد معانيها) هو **الوظيفة التكوينية** لمكونات معناه ، اي ان قيمته تحدد كليا بواسطة (١) قيمة مكوناته (٢) تعريف العمليات التي يتم بواسطتها دمج هذه المكونات . فاذا قلنا ان معنى وحدة معجمية هو وظيفة نظرية المجاميع لمكونات معناه فهذا يعني اننا نقول انها وظيفة تكوينية من نوع بسيط معين . ان مفهوم **التكوينية** ، كما سنرى ذلك في الجزء الثالث ، يحتل موقعا مركزيا مطلقا في علم الدلالة الشكلي الحديث كله ، وينطبق هذا على المعنى الرياضي للمصطلح «وظيفة» . فكل من اتقن اوليات نظرية المجاميع الاولية في المدرسة .
أو اتقن مبادئ بسيطه في الحساب والجبر من وجهة نظر عامة تماما سيكون على اطلاع مسبق بمبدأ التكوينية ، ولو انه ربما لا يكون قد صادف على الاطلاق المصطلحين الحقيقيين «التكوينية» و الوظيفة من قبل

ان الكلمات المستخدمة حتى الان لتوضيح مبادىء تحليل المكونات يمكن اعتبارها كلمات دالة على الصفات المميزة ، وهي تشبه ما يسميه علماء المنطق بالمسندات احادية الموقع ، وهي تعابير تحتوي على موقع واحد يجب ملؤه ، اذا جاز التعبير ، لكي يمكن استخدامها في قضية سليمة الصياغة ، فعلى سبيل المثال ، اذا اقترن «جون» بالمسند الاحادي الموقع «ولد» ، فالنتيجة ستكون جملة بسيطة تعبر عن القضية « جون ولد» (لقد حذفت الكثير من التفاصيل التي ستكون موضع اهتمامنا فيما بعد) . وهناك كلمات اخرى ، خاصة الافعال المتعدية (مثل الفعل (يضرب)

والفعل (يقتل) ومعظم حروف الجر ، والاسماء مثل (اب) و (ام) وهلم جرا ، تشير كلها الى علاقات ثنائية الموقع ، اي انها تشير الى العلاقة القائمة بين كيانين يشار اليهما بالتعابير التي تملأ الموقعين وهذا يعني ان ينبغي علينا عند تحليلها ان ناخذ بنظر الاعتبار اتجاه العلاقات ، فعلى سبيل المثال تعتبر المعادلة التالية غير وافية :

«اب» = والد& ذكر

لانها لا تحتوي على تمثيل لاتجاه علاقة الابوة ، ويمكن توسيع هذه المعادلة باضافة متغيرات في الاماكن المناسبة ، وعلى الوجه التالي :

«اب » = (س ، ص) **والد** & (س) **ذكر**

وتعبر هذه المعادلة عن حقيقة ان س هو والد ص وانه (اي س) ذكر ، وهي لا توضح اتجاه العلاقات فحسب ، بل تخبرنا ايضا ان جنس س ، وليس جنس ص هو موضوع البحث

هناك تعقيدات اخرى اهمها ضرورة ادخال بنية هرمية في تمثيل معنى وحدات معجمية معينة ، ويعكس هذا البنية النحوية للجمل ، فعلى سبيل المثال ، يحلل الفعل « يعطي » على نحو مقبول تقريبا على انه ذو موقعين (ص ، ز) **يمتلك** ضمن بنية اخرى (س) **يسبب** ، وعلى الوجه التالي :

(س (ص ، ز) يمتلك) يسبب

وتقرأ هذه المعادلة على انها تعني ما يلي : « س يجعل ص يمتلك ز» ، اذا ما تركنا جانبا موضوع الزمن ، وباتباع الطريقة ذاتها يمكن تحليل الفعل «يقتل» على انه بنية ذات موقع واحد ضمن بنية الموقعين ذاتها وعلى الوجه التالي :

(س ، (ص) يموت) يسبب

وتقرأ هذه المعادلة على انها تعني مايلي : « س يسبب الوفاة لـ ص » . ان حالات تمثيل من هذا النوع تفترض مسبقا وجود نظام شكلي اكثر صراحة من عمليات نظرية

المجاميع وهو كاف للامثلة المستخدمة في هذا القسم سابقا ، ومع ذلك فليس هناك من شك في امكانية اضفاء الشكلية على التكوينية لامثلة اكثر تعقيدا مثل « يعطي » و « يقتل » . لقد قدم علماء اللغة مقترحات عديدة مختلفة نوعها خلال السنوات الاخيرة خاصة علماء اللغة الذين اسهموا في وضع مبادىء علم الدلالة التوليدي .

الاساس التجريبي لتحليل المكونات

ان القول بامكانية اضفاء الصيغة الشكلية على تحليل المكونات مسألة مختلفة تماما عن القول انها مهمة من ناحية نظرية او انها تسير وفقا للحقائق من خلال ظهورها امامنا في الحياة الواقعية ، وبعبارة اخرى ، يثير الحافز النظري واقرار ذلك تجريبيا تساؤلات تختلف عن التساؤلات المتعلقة باضفاء الصفة الشكلية ، ولم يعد علماء اللغة يدافعون عن تحليل المكونات بحماس وعلى اسس نظرية كما كانوا يفعلون قبل سنوات قليلة ، وتُعزى بعض اسباب هذا التغيير في الموقف الى قضايا اكثر شمولية ذات صلة بشمولية تحليل معنى الوحدات المعجمية ، وتعزى اسباب اخرى وعلى نحو ادق الى تحليل المكونات بحد ذاته

ان الحافز النظري لتحليل المكونات واضح تماما ، فهو يهيىء لنا ، من حيث المبدأ ، وسيلة نظامية واقتصادية لتمثيل علاقات المعنى القائمة بين الوحدات المعجمية في لغات معينة ، وعلى افتراض ان هذه المكونات عامة عبر اللغات ، الا ان الجزء الاكبر من هذا الحافز النظري تقل اهميته عندما نتفحص تحاليل معينة بعناية اكثر . كل اولا وقبل شيء هناك مشكلة تحديد اي من معنيي « اساسي » اللذين تمت مناقشتها في الفصل السابق ينبغي ان يحدد اختيارنا للمكونات العامة الذرية المزعومة ، اذ ليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد ان ما هو اساسي بمعنى كونه عاما في الحدود القصوى هو اساس في الوقت ذاته في التفكير اليومي لمعظم مستخدمي

اللغة ، فضلا عن ذلك يمكننا ان نثبت اننا لو استخلصنا دائما تلك المكونات التي يمكن التعرف عليها في اكبر عدد يمكن من الوحدات المعجمية فكثيرا ما تنتهي الى تحليل لوحدات معجمية معينة اقل اقتصادا مما ينبغي ، اذا حللنا كل وحدة معجمية حسب ميزاتها الخاصة .

اما الصلاحية التجريبية لتحليل المكونات فليس من الصعب ان نبين ان هذا الامر ظاهريا اكثر من كونه حقيقيا فعلى سبيل المثال ، يبين لنا تحليل «ولد» و «بنت» و «طفل» الوارد آنفا ان كل الاولاد وكل البنات هم اطفال ، ولكن هذا ليس صحيحا ، اذ لا يمكننا ان نستنتج على نحو مشروع القضية « ان جون وجين طفلان » من القضية « جون ولد وجين بنت » (بموجب المعنى الذي يهمنا لكلمة «طفل») وليست هناك جدوى من القول ان هذه مسألة استعمال وليست مسألة معنى لكلمة «طفل » وليس التعبيران الانكليزيان طفل ـ ذكر و طفل ـ انثى مرادفين لـ ولد وبنت على التوالي ، وعليه ينبغي على الاقل اضافة شيء ما الى هذا التحليل من اجل الالمام بهذه الحقيقة . ماذا عن تحليل معنى «ولد» و«بنت» وعلاقة ذلك بمعنى «رجل» و «امرأة» ؟ وهنا ايضا يسبب لنا ~ **بالغ** مشكلة . اولا وقبل كل شيء لا تبدو اية من القضيتين التاليتين شاذة باية حال من الاحوال : « ان ذلك الولد بالغ الان » و « ان تلك البنت بالغة الان » (خلافا للقضية «ان ذلك الطفل بالغ الان ») . ماهي العلاقة ، في هذه الحالة بين المكون العام **بالغ** وبين بالغ ؟ ثانيا هناك الحقيقة القائلة ان بنت و امرأة لا تستخدمان في معظم السياقات كنقيضتين ، بينما يقف ولد و رجل في تضاد دلالي اكيد فيما بينهما على نحو اقوى من التضاد الدلالي بين بنت و امرأة علما ان ولد و رجل ليسا متناقضين في المعنى الضيق . واخيرا ان تعابير بلوغ سن الرشد الموضوعية نسبيا والاكثر وضوحا كالنضوج الجنسي والرشد القانوني والاستقلال الاقتصادي والاجتماعي وغيرها ليست بذي صلة مباشرة بالاستخدام الوصفي لـ

رجل وليس ولد او لـ امرأة وليس لـ بنت الا في سياقات معينة ولاحاجة للقول ان هذه الصعوبات تتضاعف عندما نبدأ بمقارنة تحليل طفل بتحليل حمل او بتحليل فلو - ناهيك عن مقارنة تحليل ولد و بنت بتحليل ،مهر و مهرة .

يمكننا على نحو مماثل ان نناقش ان **بشري** ليس مكونا جوهريا لـ ولد وربما ليس كذلك لـ بنت على الرغم من انه مكون جوهري بالنسبة لـ رجل و امرأة اذ توصف ذرية الالهة الذكور عادة (مثل كيوبيد) - كاولاد ، (وتوصف ذريتهم من الاناث كعذارى في الظروف المناسبة)، الا انهم لا يكبرون ليصبحوا رجالا ، كما لايقال عنهم انهم بشر . ان هذه ليست نقطة طرافة ، فهناك ميل لدى النظريين المتزمتين ضيقي التفكير للقول ان ولد في حالات كهذه لا تستخدم في معناها الحرفي ، ولكن هذا خطأ بكل تأكيد . علينا ان لا نقحم محاباتنا الميتافيزيقية في تحليل مفردات اللغات الطبيعية ، وعلينا ان نقلل من التمييز بين المعنى الحرفي والمعنى اللا حرفي المعتمد على محاباتنا .

اذا كان هناك خلل في تحليل المكونات من الناحية النظرية والتجريبية فلماذا افردت حيزا واسعا له ؟ احد اسباب ذلك ان هذا التحليل برز بوضوح في المؤلفات الحديثة في علم الدلالة واصبح دليلا معتمدا لقسط كبير من البحث العلمي من ناحية ، ويعود السبب الاخر الى وجود طريقة اخرى لمعالجة تحليل المكونات تعمل على التقليل من هذا الخلل وذلك باعتباره طريقة من طرق اضفاء الصفة الشكلية على ذلك الجزء من المعنى الانموذجي الاصلي او البؤري للوحدات المعجمية والذي تشترك فيه وحدات معجمية اخرى وليس اسلوبا لتمثيل معنى كل الوحدات المعجمية فعلى سبيل المثال ليس هناك من شك في ان ولد يستخدم على نحوإنموذجياصلي للدلالة على الكائنات البشرية ، واكثر من ذلك وبقدر تعلق الامر بالكلمة عندما تستخدم لتصف كيوبيد فاننا نفعل ذلك لاننا نفهم دلالتها اولا وقبل كل شيء بقدر مالها من

علاقة بالكائنات البشرية ، وعليه يعتبر المكون العام بشري معيارا للمعنى البؤري لـ ولد يمكن ان يكون قياسا في استخدمات لا بؤرية ، الا انه ليس جزءا من مفهوم ولد اي انه ليس جزءاً من الصفة المميزة للصنف الذي يدل بشري على اعضائه ، ويقع ضمن هذا النوع معظم المكونات المقترحة التي يفترض انها عامة .

الوقف اللغوي والعوالم المحتملة

يلعب الوقف اللغوي دورا هاما في نظريات المعنى كافة ، كما انه يلعب دورا مركزيا في بعض النظريات اكثر منه في نظريات اخرى ، ولنأخذ القضيتين التاليتين اللتين ارمز لهما بـ p و g (لاسباب ساشرحها مباشرة) :

« اخيل قتل هكتور » (p)

« مات هكتور » (g)

القضية الاولى p تدل ضمنا على القضية الثانية gأو تقفها : اذا كان الامر ان اخيل قتل هكتور فستكون النتيجة بالضرورة ان هكتور مات . ان الوقف يمثل في المصطلح المنطقي العلاقة القائمة بين p و g ـ حيث يمثل pو gمتغيرين يرمزان الى قضيتين ـ بحيث انه اذا ظهر صدق g بالضرورة من صدق p (وظهر خطأ g بالضرورة من خطأ p) فان p يقف g ، والمصطلح الرئيس هنا هو بالضرورة .

ينبغي ان نلاحظ ان الوقف قد عُرف على اساس انه العلاقة القائمة بين قضيتين ، وهذه مسألة مهمة . يتحدث بعض المؤلفين عن حالات الوقف القائمة بين الجمل . وهم بهذا يستخدمون المصطلح جملة على نحو مفكك او بمعنى خاص جدا ، ويعرف الوقف مؤلفون آخرون ، ولاسباب لا حاجة لسردها هنا ، بانه العلاقة بين الجمل الخبرية ، الا ان هذا الاستخدام ايضا يعتمد على تفسير خاص للجملة الخبرية يتعارض في نواح عديدة مع معناه الاعتيادي في الانكليزية ويمكن ان يؤدي الى الارباك . وساناقش العلاقة بين الجمل والقضايا في الجزء الثالث كما سأناقش في الفصل الرابع طبيعة الجمل الخبرية وطبيعة

الاستفهام والامر وغيرها واود في هذه المرحلة ان استرعى انتباه القارىء الى حقيقة اني قد وسعت الان استخدامي لعلامات الاقتباس المضاعفة (« . . . . ») لتشمل القضايا

ليست هناك طريقة قياسية لاعطاء رموز لعلاقات الوقف ، وساستخدم سهما ثنائيا ، وهكذا فان :

$$P \Longrightarrow g$$

تعني ان «p» يقف «g» ويمكن تعريف العلاقة المنطقية التي يرمز لها بهذا الشكل في علم المنطق الشكلي بموجب المضمون والضرورة ، ولا حاجة للخوض في الشكلية الا اننا بحاجة الى مناقشة مفهوم الضرورة نفسه بتفصيل اكثر مما اعتاده المرء في علم اللغة والعلوم الاجتماعية .

ان القضايا يمكن ان تكون صادقة (او خاطئة) بالضرورة او بالاحتمال ، فالقضية الصادقة (او الخاطئة) بالضرورة قضية صادقة (او خاطئة) في الظروف المحتملة كافة ، اي في العوالم المحتملة كافة ، كما عبر عنها لا يبنز Leibniz فعلى سبيل المثال ، قد تكون القضيتان « الثلج ابيض » و « الارانب بشرية » صادقتين بالضرورة و خاطئتين بالضرورة على التوالي ، اما القضية الصادقة (او الخاطئة) بالاحتمال من الناحية الثانية فهي قضية يكون حكم الصدق فيها او ينبغي ان يكون حكم الصدق مختلفا في ظروف اخرى ، فعلى سبيل المثال تعتبر القضية الآتية :

«انهزم نابليون في معركة واترلو »

محتملة في المعنى المطلوب ، ويمكننا ان نتصور عالما محتملا او حالة محتملة في العالم تكون فيها هذه القضية غير صادقة . لقد صيغ هذا المفهوم الشامل حدسيا للعوالم المحتملة صياغة شكلية بطرق متنوعة في علم المنطق الشكلي الحديث (ويلاحظ ان لايبنز قد هجا هذا المفهوم في القضية الفلسفية كاندد candide لفولتير على نحو عرضي

خلال مراحل تطوره اللاهوتي) . ويعتبر العالم المحتمل ، ولا غراض منطقية مطابقا لمجموعة القضايا التي تصفه بصدق ويتحدث المرء ضمن هذا التفسير لـ العالم عن كون القضية صادقة في عالم ما وليس عن عالم ما . ومن الملاحظ اني استخدمت الطريقتين للتحدث عن العوالم في هذه الفقرة .

كل شيء على مايرام حتى الان ، الا ان المشاكل تبدأ حالما نبدأ بدراسة مفهوم الضرورة على نحو ادق . يتعرف الفلاسفة بنوعين ثانويين من الصدق الضروري وهما : التحليلي و المنطقي ، وغالبا ما يخلط بينهما علماء اللغة في المعالجات العامة ، ومن الضروري التمييز بينهما بوضوح. تعتبر القضية صادقة تحليليا ، حسب رأي كانت kant ، اذا تضمن معنى المسند معنى المسند اليه ، وفيما يلي اقدم مثالا معقولا لاجدال فيه ، وله طابع تقليدي في يومنا هذا :

« كل العزاب غير متزوجين » All dachelors are unmarried على اساس ان (اعزب) bachelor يفهم حسب معناه المناسب (وليس بمعنى الشخص الذي نال شهادته الجامعية الاولية ، وما الى ذلك) ولنسم المعنى الذي نحن بصدده بـ « اعزب » ، فاذا سلمنا بان « اعزب » يتضمن «غير متزوج» فانه يمكن اظهار صدق «كل العزاب غير متزوجين» بواسطة تحليل عبارة المسند اليه «كل العزاب» وعلى الاخص تحليل «اعزب» ، ويمكن تحليل معنى اعزب (اي «اعزب») الى «غير متزوج» و «رجل» ، وعلى هذا تكون القضية التي نناقشها معادلة لـ « كل الرجال غير المتزوجين هم غير متزوجين » ، حيث يكون فيها المسند « غير متزوجين » متضمنا بوضوح في المسند اليه ، ويستطيع المرء ان يلاحظ مباشرة كلا من الدافع الاصلي لاستخدام المصطلح «تحليلي» وعلاقة اسلوب تحليل المكونات بهذا الموضوع ، ولقد اصبحت اليوم اعادة صياغة تعريف فكرة التحليلية اكثر شيوعا وذلك باستخدام مصطلحات اكثر عموما . ان القضية الصادقة (او الخاطئة) تحليلياً هي تلك القضية

التي تحدد قيمة صدقها بواسطة معناها فقط ، هذه هي الصياغة التي سنتبناهـا في بحثنا هذا ، وكل قضية ليست تحليلية فهي تركيبية بالتعريف ، وعليه تعتبر القضايا المحتملة كافة تركيبية مثل « انهزم نابليون في معركة واترلو » ولا يترتب على هذا ، على اية حال ، ان القضايا التركيبية كافة هي قضايا محتملة . لن ادخل في تفاصيل هذه النقطة مع انها مهمة ناقشها الفلاسفة كثيرا .

والان نتناول مسألة الصدق المنطقي . ان القضية الصادقة (او الخـاطئة) منطقيا هي تلك التي تحدد قيمة صدقها الصيغة المنطقية فقط لتلك القضية . مثلا « كل الرجال غير المتزوجين هم غير متزوجين » . ان المقصود بالصيغة المنطقية هو مسألة فيها جدل الى حد ما ، وان ما هو موضع جدل اكثر هو العلاقة القائمة بين الصيغة المنطقية للقضايا وبين تركيب جمل اللغات الطبيعية . ولكني ساقتصر على افتراض ان الصيغة المنطقية تعرف على نحو مرضٍ في الانظمة القياسية لعلم المنطق واننا نفهمها بالبداهة في الحالات الاعتيادية في اقل تقدير انني افترض على سبيل المثال ان « كل الرجال غير المتزوجين هم غير متزوجين» وان «كل الكتب الحمـراء هي حمراء » وما الى ذلك ، يمكن ادراكها حدسيا على انها صادقة منطقية ، وهي تصنف هكذا بكل تأكيد بمقتضى صيغتها في كل الانظمة القياسية في علم المنطق ، وكما ذكرت سابقا ، يشكل الصدق المنطقي فرعا من فروع الصدق الضروري ، اضافة الى هذا تعتبر الحقائق المنطقية فرعا من فروع الحقائق التحليلية اذا اعتبرت الصيغة المنطقية جزءاً من معنى القضايا ، ويستنتج كل هذا عن طريق التعريف . ولقد زعم ان الصدق التحليلي انما هو الصدق المنطقي ، الا ان هذا الادعاء قابل لجدل كثير . ولا يمكن ان يعتبر امرا مسلما به ، كما زعم او افترض فقط ودون نقاش . ان الصدق الضروري الوحيد هو الصدق المنطقي ولكنني ارى ان هناك اسبابا وجيهة جدا تدعو الى الاعتراف بانواع مختلفة لا من الضرورة اللامنطقية فحسب . بل كذلك انواع

مختلفة من الضرورة اللا تحليلية .

لقد استخدم علماء اللغة في احيان كثيرة المصطلح بالضرورة وكذلك المصطلح «وقف» على نحو غير دقيق ، وبقدر اهتمامهم بالتركيب الدلالي للغات الطبيعية ، فان القضايا الصادقة بحد ذاتها لا ينبغي لها بالضرورة ان تكون ذات اهمية بالنسبة لهم ، بل ان ما هو مهم بالنسبة لهم هي القضايا الصادقة التحليلية (بما فيها الحقائق المنطقية باعتبارها فرعا منها) وعلى نحو مماثل اذا عرف الوقف على النحو الوارد ذكره آنفا فان ما يحضى او ينبغي ان يحضى باهتمام كبير هو ما يسمى بالوقف الدلالي او الوقف التحليلي وليس الوقف كله ، وبصورة عامة يبدو ان هذا مايدور في اذهان علماء اللغة ، ومن الان فصاعدا ساستخدم المصطلح وقف بمعناه الضيق ، ويمكننا بالطبع ان نبرهن ان الصدق الضروري جميعه انما هو صدق تحليلي ، كما بينت ذلك سابقا ، على ان هذا هو الواقع على مايبدو .

اولا هناك قضايا صادقة ، اذا كانت صادقة بمقتضى الضرورة الطبيعية او الضرورة المادية ، اي بمقتضى قوانين الطبيعة (ان الشرط «اذا كانت صادقة » مهم . وعلينا ان لا نخلط بين الحالة المعرفية للقضية وبين قيمة الصدق) ولنأخذ القضية الاتية كمثال على هذا :

« كل الرجال فانون »

يفترض ان تكون هذه القضية صادقة ان كانت صادقة بمقتضى الضرورة الحياتية (والتي تعتبر نوعا خاصا من انواع الضرورة الطبيعية حسب المفاهيم السائدة) ومع هذا فهي بالتأكيد ليست افتراضا تحليليا ، اذ ان معنى رجل لا يتغير فجأة اذا اكتشفنا ان بعض الرجال خالدون خلافا للمعتقد السائد للفرضيات العلمية الراسخة حتى الان .

اذا لاحظنا الفرق بين الضرورة الطبيعية والضرورة الناتجة بموجب المعنى في

حالة واضحة نوعما كالحالة التي ورد ذكرها اعلاه . فانه يصبح من السهل ان ندرك ان العديد من الامثلة التي تظهرت لها اهمية في المؤلفات عن هذا الموضوع هي امثلة مشكوك في امرها على اقل تقدير ، هذا اذا كان المقصود هو المعنى الضيق لـ « الوقف» ولكن ما المقصود بـ :

« جاكي حامل » ⟸ « جاكي انثى » ؟

ربما نميل لاول وهلة الى القول ان هذا صادق بفضل معنى كل من (حامل) و(انثى) على اننا لو تأملنا الامر لحظة واحدة رأينا ان هذا ليس مثالا صحيحا عن الـوقف الدلالي . لنفترض انه حصل تقدم في تقنيات الجراحة والمناعة واصبح بالامكان زرع رحم قادر على حمل الجنين في جسم رجل (مع توفير كل مستلزمات هذه الفرضية) ، ومن ثم وصلنا الى مرحلة الولادة القيصرية . ويستطيع المرء ان يفكر بحالات عديدة مترابطة ادراكيا لهذه المسألة تشكك في فكرة كون انثى جزء من معنى حامل ونكتفي بالقول اننا يمكننا ان نناقش بتعقل احتمال كون الرجل حامل ، وان نناقش كذلك التبعات الشخصية والاجتماعية المترتبة على ذلك . فاذا فرضنا على العالم المحتمل ذات القيود التي فرضناها على الوقف امكننا القول ان هناك عوالم محتملة يجري فيها وقف « س حامل » لـ « ص انثى » (يمثل الرمزان س و ص اية تعابير مناسبة) ومع ذلك ، على رأي لايبنز كان بامكان الخالق عزّ وجلّ ان يخلق الاشياء على غير ما هي في احسن العوالم المحتملة كافة ، وقد حقق سبحانه وتعـالى هذه الاشيـاء حسب حكمته .

يمكننا ان نميز الضرورة الثقافية الى جانب الضرورة الطبيعية على النحو الذي ميزنا فيه الانواع الثقافية الى الانواع الطبيعية ، فعلى سبيل المثال ، عندما نقول ان الزواج ينبغي ان يعبر عن علاقة منتظمة بين شخصين من الجنسين المختلفين فاننا نقول جدلا انها مسألة ضرورة ثقافية حسب مفاهيم ثقافتنا . فاذا كان الامر هكذا ، واذا استخدمنا اللغة الانكليزية للتحدث عن الثقافة التي تكون فيها الشروط ذاتها

سارية المفعول (بقدر تعلق الامر بالمعايشة الزوجية والادوار الاجتماعية والاقتصادية وما الى ذلك) فسيكون بامكاننا القول ان « س متزوج من ص » يعني بالضرورة ان « ص متـزوج من س » وان اقتـران « س ذكـر » و « س متـزوج من ص » يعني بالضرورة ان « ص انثى » وهلم جرا . من الواضح ان هذه المسألة تختلف عن الضرورة الطبيعية ، ومن السهل اضافة الى ذلك ان ندرك ان الثقافات الاخرى التي تكون فيها العلاقة بين الجنس الواحد (بما فيه المعايشة الزوجية وما الى ذلك) مقبولة ومنظمة بموجب القانون والدين على قدم لمساواة مع الزيجات الاعتيادية بين الجنسين المختلفين ، وبامكان المرء ان يتصور دون صعوبة حالات زواج ثلاثية حيث يوصف بموجبها كل عضو في الزيجة وعلى وجه الدقة بانه زوج لكل من العضوين الاخرين ، وانه زوجة لهما في الوقت ذاته ، بغض النظر عن جنسه البايولوجي ، ويمكننا ايضا ان نتصور بسهولة التعديلات الحاصلة في قوانين الطلاق الخاصة بنا والتي يصبح ممكننا بواسطتها تغيير الحالة الزوجية لاحد الزوجين دونما اية تغييرات تبادلية في حالة الشخص الاخر في ظروف كهذه « س متزوج من ص » لا تعني بالضرورة ابدا ان « ص متزوج من س» ويمكن القول ان معنى « متزوج » لا يتغير .

ان دراسة الاحتمالات كتلك التي ورد ذكرها اعلاه تجعلنا ندرك على اقل تقدير بان الوقف الدلالي ليس واضحا على الاطلاق ، كما هو المعتقد في اغلب الاحيان ، وليس هناك من سبب يدعو الى تأييد كل ما يقوله الفلاسفة مثل كوين quine في نقدهم للتمييز التحليلي/ التركيبي ، الا انه ينبغي علينا ان نؤيد تأكيد كوين في قوله ان التمييز هذا ليس قاطعا بقدر تعلق الامر باللغات الطبيعية ، ولن ادخل في تفاصيل هذه النقطة اكثر من هذا ، ولكنني اشجع القارىء على ان يلقي نظرة تفحصية على حالات وقف مزعومة في المؤلفات الحديثة في علم الدلالة النظري ، فان العديد منها ليست حالات وقف على الاطلاق ، اما الحالات الاخرى فمشكوك

في امرها من وجهة نظر تحليلية .

علاقات المعنى وفرضيات المعنى

لقد قدمت في الفصل الثالث تمييزا بين الدلالة والمعنى وقد عرفت المعنى بموجب علاقات المعنى ، كما ضربت امثلة على بعض هذه العلاقات ، دونما تقديم اية مناقشة لها ، ولم اسم بعد اية من هذه العلاقات او اعرفها ، عدا علاقة الترادف الوصفي ، وبما انني ناقشت بشيء من الاسهاب موضوع المعنى في ابحاثي الاخرى فانني ساقدم هنا اقصر تلخيص ممكن عن الموضوع ، وهدفي الرئيس في السياق الحالي هو ان ابين كيفية اضفاء الصفة الرسمية على الانواع المختلفة لعلاقات المعنى .

تقسم علاقات المعنى الى نوعين : علاقات استبدالية وعلاقات اندماجية (او علاقات بارادكمية وعلاقات سنتاكمية ـ حسب مصطلحات دي سوسير المألوفة كثيرا لدى علماء اللغة) ، فالعلاقات الاستبدالية هي العلاقات القائمة بين اعضاء الفصيلة الواحدة ، اما العلاقات الاندماجية فهي العلاقات القائمة على نحو انموذجي ، وليس بالضرورة ، بين تعابير من فصائل مختلفة (مثلا العلاقة القائمة بين الاسماء والصفات ، والعلاقة القائمة بين الافعال والظروف وما الى ذلك) فعلى سبيل المثال ، هناك علاقة استبدالية (من نوع خاص) قائمة بين الاسمين (اعزب) و (عانس) ، بينما تكون العلاقة القائمة بين الصفة (غير متزوج) و الاسمين (رجل) و(امرأة) اندماجية ، ويعتبر التعبيران المركبان معجميا (رجل غير متزوج) و امرأة غير متزوجة) سليمي التركيب نحويا ومقبولين على نحو سياقي ، وذلك بفضل تطابق معنى الصفة بمعنى كل من الاسمين فيهما ، وهذا يعني انهما يردان في التركيب ذاته ، من الواضح حدسيا ، وعلى ضوء هذه الامثلة وامثلة اخرى ان

يكون تعبير ما اكثر دقة وبساطة من الناحية النحوية والمعجمية معادلا وصفيا لتعبير مركب معجميا فيه تعبيران او عدة تعابير اكثر عموما . فعلى سبيل المثال يمكن اعتبار «فلو» معادلا وصفيا لـ (طفل الحصان)

ليس لدي الكثير لما اقوله بخصوص علاقات المعنى الاندماجية ، طالما انها تقودنا الى موضوع المعنى النحوي وعلم دلالة الجمل ، ومن المهم ان نلاحظ ان هناك وحدات معجمية معينة لها قيود مشددة بخصوص قبولها السياقي من المتعذر التنبؤ عن علاقاتها الاندماجية بالاعتماد على وصف مستقل لمعانيها ، وتعتبر الصفتان الانكليزيتان التقليديتان rancid (زنخ) و addled (فاسد) خير مثالين على ذلك لمعرفة معناهما من الواضح ان نعرف ان (زنخ) يندمج او يرد في سياق مع (الزبدة) وان (فاسد) فيدمج او يرد في سياق مع (البيضة) (ويندمج كذلك او يرد في سياق مع (الدماغ) على نحو مجازي) . والرأي السائد هنا ان معنى اية وحدة معجمية ، سواء كانت عليها قيود مشددة من حيث سياقها ام لا ، يشمل كلا من علاقاتها الاندماجية وعلاقاتها الاستبدالية

تنقسم كذلك علاقات المعنى الاستبدالية الى نوعين ، بقدر تعلق الامر بمناقشتنا لها هنا : علاقات التضمين وعلاقات التنافر ، ويمكن تعريف كل منهما بموجب الوقف .

ان علاقة التضمين يمكن تمثيلها بازواج من التعابير مثل (كلب) و (حيوان) فأولهما يعتبر تضمينيا بالنسبة لثانيهما ، اي ان معنى (كلب) يتضمن معنى (حيوان) والوقف كما مرّ ذكره في القسم السابق يمثل علاقة قائمة بين القضايا واذا ما تذكرنا هذه الحقيقة استطعنا القول وبشكل مختصر نوعها ، ان كلمة ما او عبارة ما تقف كلمة او عبارة اخرى ، واذا تبنينا هذا النوع من الاختصار امكننا القول ان تعبيرا ما مثل F يعتبر تضمينيا بالنسبة لتعبير آخر هو g بشرط ان يقوم F بوقف g ، وهذا يعني :

$F \Longrightarrow g$

فعلى سبيل المثال (كلب) يقف (حيوان) ، واذا اعطينا القضية أ التي تحتوي (كلب) فان استبدال (كلب) بـ (حيوان) في هذه القضية سيؤول الى قضية اخرى هي g والتي يقفها p ، وعليه فان :

«شاهدت كلباً » (p)

يقف « شاهدت حيواناً » (g)

وفي هذه الحالة ليست هناك ضرورة لاجراء اية تعديلات نحوية ، ومع ذلك ينبغي ان نربط القضايا بالوحدات الكلامية (وان نربط ايضا محتوى القضية بالجملة) ، واذا امكن هذا ، فان القول ان (كلب) هو تضمين لـ حيوان يمكن اعطاؤه تفسيرا شكليا دقيقا ، وسيكون هذا موضع اهتمامنا فيما بعد ، ولكن ماهي حالة $g \Longleftarrow f$ من وجهة نظر شكلية ؟

يمكن تفسير هذا على احسن وجه باللجوء الى مايسميه علماء المنطق مثل كارناب carnap بفرضية المعنى ، وينظر علماء اللغة عموما الى استخدام فرضيات المعنى على انها بديل لتحليل المكونات ، وبموجب وجهة النظر هذه يكون تفضيل فرضيات المعنى على تحليل المكونات مبنيا على اساس ان الافتراضات هذه لا تتطلب مسبقا تحليلا شاملا لمعنى الوحدة المعجمية الى عدد تكاملي من مكونات المعنى العامة ، ويمكن تعريف هذه الفرضيات بحد ذاتها بالنسبة للوحدات المعجمية دون تقديم اية افتراضات عن المفاهيم الذرية . كما يمكن استخدامها لاعطاء وصف جزئي لمعنى الوحدة المعجمية دون اية ضرورة لتقديم تحليل كلي وتعتبر هذه فوائد بالغة الاهمية من وجهة نظر تجريبية .

بطبيعة الحال تعتمد صلاحية اية فرضية معنى معين في اللغة الانكليزية مثل :

(كلب) $\Longleftarrow$ (حيوان)

على كون الوقف المفترض تحليليا حقا ، وبهذا الخصوص يجدر بنا ملاحظة امكانية تنسيق فرضيات المعنى المرتبطة بوحدة معجمية على نحو هرمي حسب درجة تحليليتها ، فعلى سبيل المثال :

(اعزب) ← (غير متزوج)

يبدو على جانب اكبر او اوضح من التحليلية من :

(اعزب) ← (بالغ)

وهو كذلك بالنسبة لـ :

(اعزب) ← (رجل)

لنفترض الان ، على سبيل المثال ، انه شُرع قانون لزيجات الاطفال ، واصبح هذا امرا مألوفا يحدث يوميا في مجتمع يتحدث سكانه باللغة الانكليزية . هنا يفترض ان لا يتردد المرء في استخدام كلمة (اعزب) لطفل غير متزوج في ظروف كهذه ، ولايحدث اي تغيير في معنى (اعزب) ، ومن الصعب جدا تصور ظروف مماثلة يبطل فيها مفعول الافتراض اعزب ← غير متزوج دون اجراء اي تغيير مصاحب آخر على معنى سن اعزب او غير متزوج وبغض النظر عن الحالة التجريبية للمثال الخاص هذا ، فان من الواضح على هذا الاساس ان الناطقين باللغة قد يعتبرون بعض حالات الوقف للكلمة على انها اكثر مركزية واكثر حسما من حالات وقف اخرى للكلمة ذاتها ، ويمكن استخدام فرضيات المعنى المنسقة هرميا للتعبير عن عدم حتمية الحد الفاصل بين ما هو تحليلي وما هو اندماجي ، ولقد قدمت هذه النقطة بقدر علاقتها بفكرة التضمين الا انها تنطبق على حالات المعنى كافة والتي يمكن اضفاء الصفة الشكلية عليها بواسطة فرضيات المعنى .

قبل ان نواصل حديثنا يجدر بنا ان نلاحظ انه يمكن تعريف الترادف الوصفي بموجب التضمين المتناسق ، ويستخدم المصطلح التضمين عادة للتعبير عن علاقات

الوقف اللاتناسقية (حيث يكون $g \Rightarrow f$ وليس $f \Rightarrow g$: اي ان (كلب) $\Rightarrow$ (حيوان) صادق ، بينما حيوان $\Rightarrow$ كلب خاطىء ، وعلى الرغم من هذا ، فليس اي شيء في التعريف الرسمي للتضمين ما يجعله جوهريا . واذا استعملنا سهما ذا رأسين وذا فصلين ليرمز الى الوقف المتناسق فانه يمكننا القول ان

$$f \Longleftrightarrow g$$

يكوِّن ترادفا وصفيا لـ f و g (مثلا جرو $\longleftrightarrow$ كلب طفل) ويمكن ان نبرهن وبسهولة على ان تعريف الترادف الوصفي بموجب الوقف المتناسق معادل لما يلي : اذا اشترك تعبيران في حالات وقف واحدة حصرا فانهما مترادفان وصفيا

اما النوع الثاني من علاقات المعنى الاستبدالية فهو **التنافر** الذي يمكن تعريفه بموجب الوقف والنفي ، وعلى النحو التالي :

$$g \rightarrow \sim f \text{ و } f \Rightarrow \sim g$$

فعلى سبيل المثال يُعرف اللونان (الاحمر) و (الارزق) على اساس انهما متنافران على النحو التالي : اذا كان شيء ما احمر فانه بالضرورة ليس ازرق ، والعكس صحيح . وهناك حالة خاصة من التنافر وهي **التكميلية** . فبموجب هذه الحالة يجب توفر الشروط التالية اضافة الى الشروط المذكورة اعلاه :

$$\sim g \Rightarrow f \text{ و } \sim f \Rightarrow g$$

فعلى سبيل المثال ، لايقف (متزوج) نفي (غير متزوج) فحسب (والعكس صحيح) ، بل ان نفي (غير متزوج) يقف (متزوج) ،وغالبا ما تعامل حالة التكميلية هذه على انها نوع من انواع التناقض («تضاد المعنى»)

ولكن **التضاد** في معناه الضيق ـ التضاد المحوري ـ يختلف عن التكميلية بقدر تعلق الامر بالتدرج ، وهذا يعني ان ربط تضادين منفيين احدهما مع الاخر لايعتبر تناقضيا ، فعلى سبيل المثال ، يعتبر كل من (جيد) و (سيء) تضادين محوريين، كما

يعتبر « × ليس جيدا ولا شيئا» مقبولا تمام القبول ، حتى لو اعتبرنا « × ليس جيدا » يتضمن « × سيء » في سياقات عديدة (حسب المعنى الاوسع لـ يتضمن) . واذا ما رتبناهما في تركيب نحوي تفضيلي ظاهري (« × احسن من لا ») فسنحصل على مايلي :

$$f^{+}(x,y) \longleftrightarrow g+(y,x)$$

وهنا ترمز علامة الجمع الصغيرة العليا الى طريقة مناسبة غير قياسية لتمثيل معنى «اكثر» فعلى سبيل المثال ، يمكننا القول اذا كان f جيدا وكان g سيئا ، فان +f و +g يرمزان الى اختيار الصيغتين **احسن** و **أسوأ** (اي «اكثر جودة» و «اكثر سوءاً ») واذا عوضنا عن x و yبتعابير تدل على افراد معينين ، فسنرى مثلا ان « جون احسن من بينز » يقف « بينز اسوأ من جون » والعكس صحيح .

ان التعابير التي تعني «اكثر جودة» و «اكثر سوء» تعابير ثنائية **التعاكس** ، وهي تشبه في هذه الخصوص مثيلاتها من التعابير في حالتي الفعل المبني للمعلوم والفعل المبني للمجهول (قَتَلَ وقُتل) ، كما انها تشبه مثاني من الوحدات المعجمية مثل (زوج) و (زوجة) (مع الاخذ بنظر الاعتبار التعديلات النحوية التي تلازم الحالتين) . يمثل الفعلان (يشتري) و (يبيع) صنفا من صنوف التعاكسات الثلاثية وعلى النحو التالي :

(يشتري) (Z, y, x) ⟵ (يبيع) (x, y, z)

فعلى سبيل المثال «ماري (x) اشترت سيارة (y) من بول (z) » تقف «بول (z) باع السيارة (y) الى ماري (x) » ومن الواضح ان ما سميته بتعديلات نحوية (تجنبا للمضامين الاكثر دقة للمصطلح (تحويلي) المستخدم في علم اللغة) بحاجة الى تحديد دقيق .

فاذا اجرينا هذا التحديد الدقيق وامكننا اعطاء تفسير مقبول للعلاقات القائمة بين الجمل والقضايا والوحدات الكلامية امكننا ان نفسر شكليا مجموعات من الوقف مثل «جون قتل بينز » ⟸ «قتل بينز من قبل جون» و «ماري زوجة جون » ⟸ « جون زوج ماري» و «اشترى جون سيارة في بينز » ⟵ باع بينز سيارة الى جون » وهلم جرا .

هذا شرط على جانب كبير من الاهمية ، فقبل ان نشرع بمناقشته في الفصلين الثالث والرابع ، يجدر بنا ان نؤكد اننا قد حصرنا اهتمامنا في هذا الفصل بالمعنى الوصفي للتعابير . وقد اضطررت لضيق المجال ان اذكر فقط العلاقات ذات الاهمية الكبرى للمعنى القائمة بين مفردات اللغات الطبيعية . وكان اهتمامي الرئيس منصبا على اعطاء القارىء فكرة بسيطة عن محتوى اضفاء الصفة الشكلية على البنية المعجمية وتقديم بديلين طالما تابع علماء اللغة بحثهما خلال السنوات الاخيرة ، وقد لا يكون هناك سبب من حيث المبدأ لعدم اضفاء الصفة الشكلية على المعنى اللا وصفي للوحدات المعجمية . ومع ذلك فان علم الدلالة الشكلي قد اتخذ حتى الان على الاقل نظرة محدودة مماثلة للنظرة التي اتخذتها هنا عن تركيب الوحدة المعجمية .

تلخيص

لقد قدمت في هذا الفصل ملخصا لعدد من علاقات المعنى ذات الاهمية الكبيرة القائمة بين مفردات اللغات الطبيعية ، كما انني قدمت شرحا لمعالجتين طالما حاول علماء اللغة ان يضعوا الصفة الشكلية عليهما خلال السنوات الاخيرة ، ويبدو ان تحليل المكونات اقل فائدة من طرق التحليل المبنية على فكرة فرضيات المعنى .

لقد دفعتنا مناقشاتنا للتركيب المعجمي الى ان نألف بعض المفاهيم المنطقية التي سيجري استخدامها في الجزئين الثالث والرابع في معالجة موضوع معنى الجملة

ومعنى الوحدة الكلامية ، وينبغي ان يتضح لدينا الان ان اضفاء الصفة الشكلية على التركيب المعجمي بموجب الصدق والخطأ للقضايا يتطلب مسبقا اعطاء وصف مقنع للطريقة التي يتم بموجبها التعبير عن اللغات الطبيعية . ولا يمكننا تقـديم وصف كهذا ، ولو بشكل مقتضب ، دون مناقشة محتوى القضية للجمل ، اذ يعتبر محتوى القضية ، كما سنرى في الجزء الثالث جزءً من اجزاء معنى الجملة ، وعليه ينبغي علينا في هذه المرحلة ان ننتقل من موضوع الكلمات الى موضوع الجمل .

الجزء الثالث

الجمل

الفصل الخامس
استنباط معاني الجمل

التمييز بين الجمل ذات المعنى و الجمل التي لا معنى لها

« لقد نظرت الى الحقيقة بارتياب وغرابة »
وليم شكسبير : السونيتات

اننا نطلق عموما وحدات كلامية كالوحدات الكلامية التالية :

ان بيل يحب النرجس الاصفر
هل ترغب في تناول فنجان شاي آخر ؟

ولانطلق مثلا الوحدات الكلامية التالية :

لقد ابتلعت التجريدية اسبوعاً اسوداً شاحباً

فالكل متفق في الرأي على ان الجملة الاخيرة هذه لا معنى لها . ولكن ما هي الاسس للتمييز نظريا بين الجمل ذات المعنى والجمل التي لا معنى لها ؟ ان المشكلة اكثر تعقيدا مما يدركه معظم الناس ، وستتضح هذه النقطة من خلال هذا الفصل . هناك عدد

من علماء اللغة ، كما سنرى ذلك ممن ساروا على نهج الفلاسفة خلال السنوات الاخيرة ، وبنوا وصفهم لمعنى الجمل على اساس ما يسمى بشروط الصدق وسنحاول توضيح كيف ظهرت هذه الطريقة الخاصة ، وهي طريقة اكتسحت كل الطرق الاخرى خلال السنوات الاخيرة .

استقامة النحو واستقامة المعنى

تعرف الجمل على انها سليمة التركيب نحويا ، وعلى هذا الاساس ليس هناك ما يسمى بجملة غير نحوية ، الا ان العديد من الوحدات الكلامية التي نطلقها في الظروف الاعتيادية هي وحدات كلامية غير نحوية في طرق مختلفة . ويمكن تفسير بعض الوحدات الكلامية من خلال السياق الذي تظهر فيه ، وقد يعتبرها في الواقع معظم الناطقين باللغة مقبولة تماما ، وينبغي ان لا تعتبر استقامة النحو ، كما مرّ علينا ذكرها في الفصل الاول ، مطابقة للقبول .

وعلى اية حال ، سنركز اهتمامنا في هذه المرحلة على مايمكن اعتباره جملا بصورة عامة، ونواصل العمل مفترضين انه يمكن لمن لديهم كفاءة لغوية، وعلى وجه الخصوص الناطقين الاصليين باللغة ان يحددوا جمل اللغة بحد ذاتها بكل بساطة ، وينبغي وضع شروط على هذا الافتراض ، كما سنرى ذلك في الوقت المناسب . ان الفرق بين الاستقامة النحوية وبين الاستقامة الدلالية ليس من الدقة على النحو الذي نتوقعه في الوقت الحاضر، ومع ذلك، فالقول ان التمييز بين النحو والدلالة ليس واضحا في كل الاحوال لا يعني انه غير واضح على الاطلاق .

هناك وحدات كلامية عديدة يعتبر عدم قبولها مسألة نحوية وليست مسألة دلالية ، فعلى سبيل المثال :

اريد ان هو سيأتي I want that he will come

هي بلا شك جملة غير نحوية في اللغة الانكليزية، اذا ما قورنت بالجملة التالية :

اريده ان يأتي I want him to come

فاذا نطق اجنبي الجملة الاولى فيتحمل تأويلها وبالتالي فهمها على انها صيغة خاطئة للجملة الثانية وليس هناك ما يجعلها غير نحوية، ضمن ما يبدو انه المعنى المقصود لها .

اذا نطق شخص ما اريد ان هو سيأتي ورفض الصيغة المصححة المقدمة بل اصرّ على انها تعني شيئا يختلف عن الصيغة المصححة ، فما علينا الا انّ نخبره بانه على خطأ بقدر تعلق الامر باللغة الانكليزية الفصيحة ، ونستطيع ان نصنف كلامه بانه غير نحوي دون اي تردد .

هناك جمل اخرى حقيقية كانت ام محتملة ، يمكن تصنيفها دون اي تردد على انها نحوية الا انها لا معنى لها ، ومن بين هذه الجمل يمكننا ان ندرج الامثلة المعروفة التالية :

تنام الافكار الخضراء عديمة اللون بتهيج

ان الرباعية تشرب التسويف

ينام الخميس والجمعة في فراش واحد

بطبيعة الحال ليست اية جملة من هذه الجمل غير قابلة للتفسير اذا ما وضعناها في سياق مناسب ووسعنا معنى واحداً او اكثر من معاني كلماتها لتشمل امورا تتعدى معناها الاعتيادي او الحرفي وذلك عن طريق المبادىء التقليدية المعترف بها كالاستعارة او الكناية او المجاز المرسل . ان تحقيق هذا ، وهو معمول به فعلا في مناسبات عديدة وبتأثير ملحوظ ، يثبت النقطة التي نحن بصددها هنا ليس غير . ولكي نعطي تفسيرا لـ (**تنام الافكار الخضراء عديمة اللون بتهيج**) وما الى ذلك ، فاننا لا نعين ونصحح ضمنا قاعدة عامة او مبدأ عاما لتركيب اللغة الانكليزية كما

فعلنا في حالة اريد ان هو سيأتي ، ونحن انفسنا نحاول ان نستنبط معنى مما يبدو لاول وهلة على انه لا يعني شيئا بحد ذاته من خلال التفسير الحرفي للتعابير التي يتكون منها . وسيضطرنا هذا الى القاء نظرة فيما بعد على موضوع التفسير الحرفي ، وكل ما ينبغي قوله في هذا المجال الان هو أن **تنام الافكار الخضراء عديمة اللون بتهيج** . وما شابهها من الجمل ، هي جمل سليمة التركيب نحويا وانها لا تحمل معنى حرفيا بالرغم من استقامتها النحوية ، وهذا يعني انه لو فسرت الكلمات التي تحتويها هذه الجملة على نحو حرفي ، فان الجمل تحتويها تبقى من غير معنى .

هناك مضمون اكبر استقامة لمعنى الجمل مما هو مشمول في المفهوم اليومي الحدسي لاستنباط المعنى كما سنرى ذلك فيما بعد ، على ان مايهمنا في هذه المرحلة هو ذلك الجزء من معنىٰ الجمل الذي يمكن تفسيره على انه نتاج لمعاني الوحدة المعجمية المكونة للجملة - في معنى الجمل او محتوى القضية لها . ان هذا النوع من استقامة المعنى او التركيب الدلالي السليم يمكن تمييزه بسهولة عن الاستقامة النحوية .

امكانية الاصلاح وامكانية الترجمة

ولكن ما هي المعايير التي يتم بموجبها تقرير ما اذا كانت جملة ما سليمة التركيب دلاليا ام لا ، عدا المفهوم الحدسي لا ستنباط المعنى ؟ لقد استشهدنا بالفعل وعلى نحو ضمني بالمعيار الرئيس الذي نحتاج اليه وذلك في الفقرة السابقة وهو معيار **امكانية الاصلاح** ، ففي الوقت الذي يمكن لبعض المتحدثين ان يصححوا فيه **اريد ان هو سيأتي** لتصبح اريده **ان يأتي** ، وربما يصححها آخرون لتصبح اريد مجيئه دون اجراء اي تغيير في فحوى المعنى المقصود ، فانه لا يمكن اجراء تصحيح كهذا على **تنام الافكار الخضراء عديمة اللون بتهيج** ففي الحالات التي يمكن التمييز فيها بين القبول النحوي وبين عدم القبول الدلالي على نحو واضح ، يمكن اصلاح حالات عدم

القبول النحوي ولا يمكن اصلاح حالات عدم القبول الدلالي .

ثم الانواع الاخرى من عدم القبول بما فيها بعض الحالات التي تبدو لاول وهلة كانها مسألة معنى تقع ضمن مجال مفهوم امكـانية الاصـلاح ، فعلى سبيـل المثال :

my father died last night مات والدي ليلة امس

قد تصحح لتصبح my father passed away lastnight توفي والدي ليلة امس

في مجتمع لغوي (من النوع الذي تخيلناه في الفصل الاول) يمنع فيه استخدام كلمة die (يموت) في التعابير التي تشير الى افراد عائلة ، الا ان عدم قبول **مات والدي ليلة امس** في ظروف كهذه لايقودنا الى القول ان الجملة هذه غير مقبولة ، ويعزى عدم القبول هذا الى المعنى الاجتماعي وليس المعنى الوصفي (هناك اسباب قائمة بحد ذاتها تدعونا الى القول ان هذه الجملة قابلة للاصلاح على الرغم من انها صحيحة تماما نحويا) . اما في حالات اخرى ـ كما سنرى ذلك فيـما بعد ، فـالموقف اقـل وضوحا . الا ان ما يدعو الى الاهتمام ان مبدأ امكانية الاصلاح وعـدم امكانيـة الاصلاح ما زال وثيق الصلة بالموضوع ، حيث انه يُظهر ان الحالات غير المحددة من الناحية التي تسبق النظرية هي حالات غير محددة في حقيقة امرها .

هناك معيار آخر يذكره احيانا علماء اللغة ، وهو **امكانية الترجمة** فبموجب هذا المبدأ يمكن مطابقة التمييز الدلالي ، وليس التمييز النحوي ، عبر اللغات ، الا انه ليس واضحا . كما سنرى فيما بعد ما اذا كان ما نعتبره غير معقول دلاليا في بعض اللغات هو غير معقول في اللغات كافة . ويمكن لمعيار امكانية الترجمة ان يكمل لا ان يحل محل المعيار الرئيس امكانية الاصلاح .

ننتقل الان الى مناقشة معيار فلسفي مؤثر لاستقامة المعنى .

امكانية التحقق ونظرية التحقق

ورد في الفصل الاول ذكر نظرية التحقق للمعنى ـ تختصر الى نظرية التحقق ، وهي نظرية ذات صلة بالصدق كما يستدل من اسمها . وقد ارتبطت في الاصل بالحركة الفلسفية المعروفة بالفلسفة الوضعية المنطقية التي انشأها اعضاء حلقة فينا في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية مباشرة وعلى الرغم من ان الفلسفة الوضعية ميتة تماما الان ، وكذلك هو شأن نظرية التحقق الا انها كانت ذات اهمية بالغة في تطور علم الدلالة الفلسفي الحديث . فقد نشط العديد من المنادين بهذه الفلسفة خاصة كارناب Carnapو رايخنباخReichenbachفي عملية بناء انظمة لتحليل اللغة ادت بشكل مباشر تقريبا الى وضع طرق علم الدلالة الشكلي الحديث . ومن ناحية اخرى ادت المغالاة والعيوب التي عانت منها الفلسفة الوضعية المنطقية الى ارغام اعداء هذه الفلسفة الى توضيح بعض ارائهم حول المعنى ، ومن بين هؤلاء الاعداء وتكنشتاين في كتابه الاخير ، وكذلك اولئك الذين يدعون بفلاسفة اللغة الاعتيادية . وقد تحدث رايل Ryle (١٩٥١ ، ٢٥٠) عن نظرية التحقق فقال « لقد اسهمت هذه النظرية في كشف حقيقة مهمة الا وهي اننا نتكلم شيئا معقولا بطرق مختلفة عديدة ، كما اننا نتكلم هراء بطرق مختلفة متعددة » .

ولن نواصل مناقشة رأي رايل في هذه المرحلة ، وبدلا من هذا ، سنتناول في الفقرات القليلة القادمة صيغة واحدة لمبدأ امكانية التحقق المشهور ، واستخدام ذلك لطرح فكرة شروط الصدق ومفاهيم اخرى تستفيد منها فيما بعد . ويمكن ان نعرض هذا المبدأ اول الامر بشكل يحقق اهدافنا على الوجه التالي : «تعتبر الجملة ذات مغزى حقيقي بالنسبة لشخص معين فقط اذا عرف هذا الشخص كيف يتحقق من القضية التي تهدف هذه الجملة الى التعبير عنها (آير ، ١٩٤٦ : ٣٥) ان صياغة

آير هذه لاتدل ، كما سنلاحظ فيما بعد ، ان معنى الجمل والقضايا انما هو طريقتهما الى التحقق بل انها لنا معيار لنوع معين واحد من المعنى لاغير ، الا وهو المغـزى الحقيقي ، وهي لا تعرف المعنى بحد ذاته .

ومع ذلك فالصياغة هذه تثير عددا من التساؤلات فقد كـان علماء الفلسفة الوضعية المنطقية يميلون الى القول ان التحقق ذاته هو اساسا مسألة مشاهدة ، ومع ذلك فالاقوال الشاملة المماثلة كالاقـوال التي يطلقها العلماء ، كما بيّن بوبر popper ، لايمكن التحقق منها من حيث المبدأ بواسطة المشاهدة ، علما انها يمكن تنفيذها ، فعلى سبيل المثال ، ان القول ان كل الاوزات هي بيضاء اللون يمكن تفنيده وذلك عن طريق مشاهدة حالة واحدة لاوزة سوداء اللون ، الا انه لايمكن ابدا ان نبرهن على صحة هذا القول على اساس الاستقصاء التجريبي . ان رأي بوبر الذي يفيد ان امكانية التفنيد ، وليس امكانية التحقق ، تمثل السمة المميزة للفرضيات العلمية ، هو اليوم الرأي المقبول على نطاق واسع (مع ان له نقاده وهو بحاجة الى صياغة اكثر دقة مما هو عليه الان)

القضايا ومحتوى القضية

تستند صياغة آير الى التميز بين الجمل والقضايا (مع انها لا تقدم شرحا لهذا التمييز) ان طبيعة القضايا مسألة مثيرة للجدل من ناحية فلسفية ، الا ان الفلاسفة الذين يعتقدون ان القضايا تختلف عن الجمل من ناحية ، وتختلف عن الجمل الخبرية والجمل الاستفهامية والجمل الامرية وماشاكلها من ناحية اخرى ، يقولون عادة ان القضايا

١ ـ هي صادقة او خاطئة

٢ ـ يمكن معرفتها او الاعتقاد بها او التشكيك بها

٣ ـ يمكن تأكيدها او انكارها او التساؤل عنها

٤ ـ تبقى ثابتة عند ترجمتها من لغة لاخرى

هناك صعوبات حول التوفيق بين هذه المبادىء الاربعة المختلفة ، كما سنرى ذلك فيما بعد ، اذ يبدو ان المبدأين الثاني والثالث متناقضان بقدر تعلق الامر ببعض اللغات الطبيعية ، اما المبدأ الرابع فهو ينطوي على مزاعم مشكوك في امرها حول امكانية الترجمة بين اللغات .

على اية حال ، لو سلمنا جدلاً ان القضايا تعرف على انها تحمل قيم صدق ثابتة ومحددة فان من الواضح تماما انها ينبغي تمييزها عن الجمل ، اذ يمكن استخدام الجملة ذاتها لتشير الى ما هو صادق في مناسبة ما والى ما هو خاطىء في مناسبة اخرى ، وتجدر الاشارة ، في هذا الخصوص ، الى ان جملا مثل (انهزم نابليون في معركة واترلو في عام ١٨١٥ » يمكن استخدامها لتؤكد عددا مختلفا من القضايا الصادقة او الخاطئة . وهناك لغات طبيعية معينة تستخدم فيها اسماء الاشخاص واسماء الاماكن في توافق متعادل تماما مع اصحاب هذه الاسماء على ان اللغة الانكليزية ليست واحدة من هذه اللغات ، فاذا صادف ان استخدمتُ «نابليون» اسما لكلبي واني اشير الى كلبي عندما انطق الجملة الواردة في اعلاه فان القضية التي اكدتها خاطئة افتراضا (لقد استخدمت المصطلح افتراضا لكي اذكر القارىء باني افترض افتراضات تمهيدية معينة قد لا يؤيدني في الرأي هو ولا غيره بخصوصها ، فلقد استبعدت ضمنا ، على سبيل المثال ، احتمال عودة نابليون بونابرت الى الحياة ليصبح كلبا لي ، مع انه ليس في تركيب اللغة الانكليزية شيء يضطرنا الى انكار احتمالات كهذه ، وغالبا ما يشير الفلاسفة وعلماء اللغة الى ان الجمل التي تحتوي على اوصاف محددة (مثلا «الباب الخشبية»)، او على نحو اوضح ، ضمائر شخصية (مثل «انا» و «انت» الخ)، او ضمائر الاشارة (مثل «هذا» و «ذلك») او ظروف

مكان وزمان (مثل وهناك و «بعدئذ») يمكن استخدامها لنؤكد او ننكر او نتساءل عن قضايا لا حصر لها صادقة كانت ام خاطئة ولكنهم لايذكرون في اغلب الاحيان ان هذا يصح على الجمل التي تحتوي على اسماء علم وتواريخ . فالغالبية العظمى من الجمل في معظم اللغات الاكثر شيوعا ليست لها قيمة صدق محددة وثابتة، ويمكن لكل جملة من هذه الجمل ان ترتبط مع قضية معينة دون سواها في مناسبات معينة للنطق .

ولكن ماهي العلاقة، على وجه الدقة، بين الجمل والقضايا ؟ هذا سؤال صعب، وتعتمد الاجابة عنه من ناحية على نظرية المعنى التي يؤمن بها الشخص، ولتحقيق الاهداف الحالية نكتفي بملاحظة ان على الشخص الذي يقول ان الجمل تعبر عن قضايا ان يفترض افتراضات معينة على نحو ضمني ام ظاهري، ويلاحظ ان آير كثير الحيطة بخصوص الاقتباس الوارد ذكره في اعلاه ، فهو يتحدث عن الجمل على انها تهدف الى التعبير عن قضايا، ومن السهل ان نعرف السبب. ان مضمون وثيقة ما هو المعنى الذي تنقله هذه الوثيقة بمقتضى مظهرها او قيمتها الظاهرية والافتراضات القاسية حول تفسير نيات المؤلف ويمكن التفوه بجمل من اي نوع كان، وفي ظروف مختلفة من غير التأكيد على اية قضية او انكارها فعلى سبيل المثال، لو طلب مني شخص ان اعطيه مثالا عن جملة انكليزية في الزمن الماضي، فربما اجبت لطلبه وانطق الجملة «انهزم نابليون في معركة واترلو عام ١٨١٥»، فمن الواضح تماما في الظروف المرئية، انه لا يمكن تفسير هذه الجملة على انها تخبرنا اي شيء عن نابليون (بغض النظر عن الشخص او الشيء الذي يشير اليه هذا الاسم شرعاً)

لهذا السبب ولاسباب اخرى لايمكننا القول ان الجمل بحد ذاتها تعبر عن قضايا، على ان ما يمكننا فعله هو ان نفسر العبارة«تهدف» الى التعبير عن قضية حسب مفهوم الاستخدام المميز كما تم توضيحه في الفصل الاول. هذا هو ما سافعله في

الفصول الثلاثة القادمة، كما انني سافترض ان الجمل البيانية كافة تقع ضمن صنف الجمل التي تستخدم اجزاؤها على نحو مميز في تراكيب الجمل الخبرية (اي لتأكيد قضية معينه او انكارها)، وان لهذه الجمل امكانية الاستخدام هذه كما هي مرسومة في تركيبها النحوي باعتبارها جزءاً من معناها الضمني او جزءاً من قيمتها الظاهرية، وان الجمل الاستفهامية كافة قدحددت في تركيبها النحوي امكانيتها للاستفسار عن قضايا معينة وهلم جرا. وبموجب هذا التفسير لمفهوم المعنى الضمني او القيمة الظاهـرية يمكننا ان نستبعد عن الحسبان ليس نوعا واحداً من انواع استخدامات ما وراء اللغة للجمل والتعابير فحسب، بل كذلك استخداماتها **الادائية** واستخداماتها **غير المباشرة** والتي سنأتي الى تعريفها في الفصل الرابع

ان معنى الجملة متصل ذاتيا بمعنى الوحدة الكلامية، الا انه يتميز عنه بموجب التمييز بين الاستخدام المميز للجملة (وقد لا يكون اكثر الاستخدام تكرارا او بروزا من ناحية نفسية) وبين استخدام الجملة في مناسبات معينة، ولقد اكدت في هذه المرحلة على مفهوم **استخدام** الجمل لان ما يدعى بنظرية استخدام المعنى التي نادى بها كل من وتكنشتاين واوستن واخرين قد تطورت من خلال نظرية التحقق وكرد فعل لها. ان ما اريد ان افعله في هذا الكتاب هو ان اقيم جسرا بين الصيغة المحددة لنظرية المعنى ـ هو ـ الاستعمال، ونظرية شروط الصدق للمعنى والتي تطورت هي الاخرى تاريخيا من خلال نظرية التحقق، ولاجل تحقيق هذا الهدف لا بد لنا من ان نفهم جيدا كل ما يقال عن مضمون الجملة او قيمتها الظاهرية، كما ينبغي ان نفهم كل ما سيقال في الفصل الرابع عن العلاقة الذاتية بين معنى الجمل ومعنى الوحدات الكلامية.

من المهم ايضا ان نميز بين القضايا التي تعبر عنها الجمل في حالات خاصة من النطق وبين محتوى القضية لها. وساناقش هذه النقطة عما قريب. ونلاحظ على وجه

الدقة ان معظم الجمل لاتهدف الى التعبير عن قضايا، كما سنرى ذلك فيما بعد، بل عن محتوى القضية لها. واذا افترضنا استيعاب هـذه النقطة، اضـافة الى النقـطة الاخرى التي ورد ذكرها قبلا حول الاستخدام الظاهري للجمل او استخدام القيمة الظاهرية لها. لن يحصل اي التباس اذا قلنا وعلى نحو مرضٍ وبغية الايجاز، ان الجمل تعبر عن القضايا، وهذا مايقوله معظم المؤلفين .

دلالة اللا حقيقة والانفعالية

هناك نقطة واحدة اخيرة جديرة بالاهتمام فيما يخص قول آير : تعتبر الجملة ذات دلالة حقيقية بالنسبة لشخصٍ معين اذا عرف هذا الشخص كيف يتحقق من القضية التي تهدف هذه الجملة الى التعبير عنها . ان لهذه المسألة علاقة بـالدلالـة الحقيقية، فلقد رغب فلاسفة النظرية الوضعية المنطقية في ان يصفوا جملا لا هوتية واخرى تجريدية على انها هراء اولا معنى لها وذلك عن طريق استخدام مبدأ امكانية التحقق، فوصفوا كذلك جملا مثل «ينبغي ان يكون لكل شيء سبب «والله كريم»، الا انه سرعان ما اتضح ان هذا المبدأ يستبعد ايضا الجمل ذات الصلة بعلم الاخلاق وعلم الجمال اكثر رصانة من الناحية الفلسفية وكالجملتين :

«ان اكل لحم البشر مذهب سيء» و«ان الرسام الفرنسي مونيت Monet افضل من الرسام الفرنسي مانيت Manet ولمعالجة هذه المشكلة يمكننا القول ان جملا مثل هذه الجمل لها معنى آخر : معنى انفعالي او معبر، مع انها ليست بذات دلالة حقيقية .

ان الانفعالية تمثل مبدأ لايقول المرء بموجبه شيئا صادقا او كاذبا عندما يتحدث عن الجمل التي تبدو حقيقيـة في علم الاخلاق وعلم الجمـال، بل مـا ينفس عن مشاعره. ولقد تخلى عن هذه الفلسفة معظم الذين نادوا بها يوما ما، شأنها في هذا شأن النظرية الوضعية ذاتها. ولقد كانت الفلسفة العاطفية ايام عنفوانها ذات تأثير

نافع في تشجيع الفلاسفة على امعان النظر في الحالة المنطقية للانواع المختلفة في الوحدات الكلامية ذات المعنى والوحدات الكلامية التي لا معنى لها، وهذا هو ما كان يقصده رايل في قوله سالف الذكر، وهو ان مبدأ التحقق ساعد الفلاسفة على ان يدركوا ان هناك طرقا مختلفة يمكن بواسطتها للوحدة الكلامية ان يكون لها معنى واخرى يمكن بواسطتها القول ان الوحدة الكلامية لا معنى لها . وتبدو نظرية اوستن للافعال الكلامية نتاجا مهما من نتاجات هذا المفهوم في تنوع المعنى، كما سنرى ذلك في الفصل الرابع .

شروط الصدق

تعتبر نظرية شروط الصدق للمعنى سابقة تاريخيا لنظرية التحقق، وتتخذ هذه النظرية صيغا متعددة تختلف قليلا عن صيغ نظرية التحقق، وتشترك هاتان النظريتان في تقبلهما للفرضية التالية :ان اعطاء وصف لمعنى الجملة هو بمثابة تحديد الشروط التي يكون بموجبها الموقف او حالة الوجود التي تهدف الجملة الى وصفها صادقة او خاطئة. او يمكننا القول انه لكي نعرف معنى الجملة علينا ان نتعرف على الشروط التي تكون الجملة (او العبارة الناتجة عن النطق بها) صادقة او خاطئة. وليست اية صياغة من هاتين الصياغتين دقيقة تماما في وضعها الحالي، كما انهما ليستا متعادلتين بالضرورة. فعلى سبيل المثال لايمكن لاية منهما ان تطابق معنى الجملة بشروط الصدق الخاصة بها على نحو واقعي اما الصياغة الثانية فلا تحسم مسألة ما المقصود بمعرفة شروط الصدق للجملة على وجه الدقة. وسوف نعود الى دراسة مسائل كهذه في الفصل القادم

نكتفي في الوقت الحاضر بجلب انتباه القارىء الى الفرق بين قيمة الصدق للقضية وبين شروط الصدق للجملة. ولنأخذ المثال البسيط التالي :

«جون سميث غير متزوج»

فهو يهدف الى التعبير عن مجموعة من القضايا، لكل منها قيمة صدق من نوع خاص تعتمد على الشخص او الشيء المشار اليه بـ «جون سميث» هل انه متزوج ام غير متزوج في حالات نطق حقيقية لهذه الجملة، ولا حاجة لمعرفة ما اذا كان اي جون سميث معين غير متزوج لكي نعرف الشروط التي ينبغي للعالم ان يفي بها لكي تكون القضية «جون سميث غير متزوج» صادقة. وفي حالات كهذه على الاقل نعرف كيف ينبغي علينا ان نثبت او ندحض على نحو تجريبي اية قضية تهدف الجملة الى التعبير عنها .

اضافة الى ما ورد اعلاه ، ودون اللجوء الى اجراء اي تحقيق يخص الحالة الزوجية لجون سميث، واستنادا الى معرفتنا باللغة الانكليزية ، يمكننا ان نبين ما اذا كانت :

«جون سميث لم يتزوج»

او حتى «جون سميث اعزب»

لها شروط صدق مماثلة لشروط صدق «جون سميث غير متزوج» ، اذا صح هذا امكننا القول ان لهاتين الجملتين **محتوى** واحد للقضية، ولو تأملنا قليلا فاننا سندرك ان «جون سميث اعزب» تختلف من حيث شروط الصدق عن كل من الجملتين السابقتين، اذ انه لا ينبغي اعتبار اي كيان غير متزوج اعزبا (مثلا ليست النساء غير المتزوجات عزباوات، وليس هناك اي شيء في تركيب اللغة الانكليزية يمنعنا من الاشارة الى امرأة على انها جون سميث، او لنقل مثلا جورج اليوت). ويعتبر الموقف اقل وضوحا بخصوص «جون سميث غير متزوج» و «جون سميث لم يتزوج»، الا ان المبدأ واحد وهو ان **للجمل محتوى قضية واحدة فقط اذا كانت لها شروط صدق واحدة**، وفي هذه المرحلة اترك للقارىء امر التحقق من تفهمه لمبدأ تعادل شروط

الحقيقة، وذلك بان يحاول ان يفند القول ان «جون سميث غير متزوج» و «جون سميث لم يتزوج»، تحملان محتوى قضية واحدة .

لقد اكدت العلاقة التاريخية القائمة بين نظرية التحقق وعلم دلالة شـروط الصدق ولم يفعل هذا العديد من المؤلفين، غير ان النقاط كافة الوارد ذكرها اعلاه عن مذهب التحقق هي ذات صلة مباشرة حسب اعتقادي بالفهم الصائب لعلم دلالة شروط الصدق، وساعتمد على هذه النقاط فيما بعد ولقد كان بالامكان طرح هذه النقاط فيما يتعلق بعلم دلالة شروط الصدق دون ذكر الفلسفة الوضعية المنطقية ولا امكانية التحقق على ان من المهم ان ندرك. اننا عندما نريد تكوين نـظرية شـروط الصدق للمعنى للغات الطبيعية فان امكانية التحقق (اما امكانية التفنيد) ستستمر في احراز المشاكل ولا فائدة من استبعاد هذه المشاكل على اساس ان نظرية التحقق ذاتها قد فشلت في تحقيق اهدافها . وكما مرّ علينا ذكره مرات عديدة، ليس من المعقول ان نتوقع من متحدث كفوء للغة ما ان يكون قادرا على الدوام على ان يقرر ما اذا كان تعبيران صائبين بالضرورة ام لا بالنسبة لصنوف واحدة من صنوف الكيانات. واذا فسرت نظرية شروط الصدق في علم الدلالة بشكل يُستبعد بموجبه كل ما يبدو غير واضح المعالم في التركيب الدلالي للغات الطبيعية فينبغي رفضها في الحال، وحاجة لتفسيرها بهذه الصورة، كما انها لن تفسر هكذا في الجزء التالي .

حالات الحشو والتناقضات

هناك نوعان من القضايا نالا اهتمام علماء المنطق وعلماء الدلالة، هما حالات **الحشو والتناقضات**، فحالات الحشو حسب تعريفها التقليدي هي قضايا صادقة بالضرورة بمقتضى صيغتها المنطقية، كما في :

«اما انها تمطر اولا تمطر»

اما التناقضات من الناحية الاخرى فهي قضايا خاطئة بالضرورة بمقتضى صيغتها المنطقية، مثلا :

«انها تمطر ولا تمطر»

ان المقصود بـ الصيغة المنطقية في هذا السياق يختلف حسب النظام المنطقي الذي نتبعه، الا ان القضايا الوارد ذكرها اعلاه تعتبر حشواً وتناقضاً على التوالي في علم منطق القضايا القياسي حسب تعريف النفي («لا») والعطف («كل من . . . . و») و الفصل («اما . . . . . او . . . . »)

ويلاحظ اني استخدم علامات الاقتباس المضاعفة في هذه المرحلة، لان اهتمامنا ليس منصبا على الجمل الانكليزية بحد ذاتها بل على القضايا التي تهدف الجمل الى التعبير عنها (لقد ثبت استخدام علامات الاقتباس المضاعفة في فصول سابقة، وهو يتماشى مع العرف العام الذي يجري بموجبه التمييز بواسطة الرموز بين التعابير ومعانيها)، ومن المهم التأكيد مرة ثانية على ان القضايا، وليست الجمل، هي التي تحمل الصدق والخطأ .

من الواضح ان تفسيرنا لـ «انها تمطر ولا تمطر» على انها قضية تناقض يحتم علينا ان نفترض افتراضات معينة حول الوقت والمكان المشار اليهما ، وعلى وجه الخصوص علينا ان نفترض اننا لا نشير الى اوقات مختلفة و اماكن مختلفة او اماكن مختلفة في القضيتين البسيطتين المكونتين لهذه القضية فالقضية «انها تمطر في مانجستر ولا تمطر في تمباكتو» ليس تناقضا، وربما قد يعتقد المرء ان المقصود بطرح مسائل كهذه انما هو الحذلقه. الا ان هناك اسبابا نظرية مهمة تكمن على ما يبدو، وراء تعلق نقاط تافهة كهذه في الذهن .

لو فرضنا اننا لا تفوتنا هذه المسألة، واننا ميزنا بين الجمل والقضايا عندما تدعو الحاجة الى ذلك، فسيكون بامكاننا ان نوسع تطبيقنا للمصطلحين «حشو» و

«تناقض» ليشملا الجمل بشكل طبيعي ، عندئذ يمكننا القول ان الجملتين :

«انها اما تمطر او لا (تمطر)»

و «انها تمطر ولا تمطر»

هما حشويتا المعنى وتناقضيتان على التوالي من حيث قيمتها الظاهرية (ان ما اقصده بقيمتها الظاهرية هو تفسيرهما بموجب محتواهما للقضية المقصود ، وعلى افتراض انهما تستخدمان على نحو متميز). ان من بين المهام الرئيسة للنظرية الدلالية اظهار كيف ولماذا يدرك الناطقون الاكفاء باللغة ان بعض الجمل هي حشوية ، بينما تكون جمل اخرى تناقضية (ما لم تتوفر اسباب وجيهة في السياق لتفسيرها على نحو يختلف عن تفسيرها بموجب قيمتها الظاهرية)

تعتبر امثلة الصدق المنطقية او حالات الحشو فرعا من فروع حالات الصدق التحليلية، اي القضايا التي يتقرر صدقها كليا بواسطة معناها (قارن هذا بالفصل الرابع). على ان علماء اللغة يسعون عادة الى توسيع مدى المصطلحين «حشو» و «تناقض» ليشملا لا القضايا (والجمل) التي يتقرر صدقها او خطأها بواسطة الصيغة المنطقيه حسب مفهومها التقليدي، بل لتشمل كذلك كل انواع القضايا (والجمل) الصادقة او الخاطئة تحليليا، وهكذا يقول هؤلاء اللغويون ان :

«هذا الاعزب غير متزوج»

هي جملة حشوية المعنى ، وان :

«هذا الاعزب متزوج»

هي جملة تناقضية، حيث يقصد بالجملة الاولى التعبير عن حشو في المعنى، ويقصد بالثانية التعبير عن تناقض (على افتراض ان «اعزب» مستخدمة حسب المعنى المقصود) ونحن بدورنا سنطبق هذا .

تصنف احيانا حالات الحشو والتناقضات على وجه التحديد على انها شاذة

دلاليا، وهي غير توضيحية من حيث قيمتها الظاهرية. اي انها لا تستخدم لتخبر المرء شيئا عن حقائق كان يجهلها من قبل، اولا يستطيع هو نفسه ان يستنتجها على اساس معرفته باللغة وقابليته على القيام باستنتاجات صحيحة عن معرفته السابقة. ومع ذلك فمهما تعنيه عبارة «شاذة دلاليا» او عبارة «لا معنى لها» بقدر تعلق الامر بالحشو والتناقض، فانها لا يمكن ان تعني انها «خالية من المعنى» (اذا فسرنا «معنى» تقنيا حسب محتوى القضية) اذا ان حالات الحشو والتناقضات، كما شاهدناها توا، هي بالتعريف صادقة بالضرورة وخاطئة بالضرورة على التوالي، وهذا يعني ضمنا انه ينبغي ان تكون هناك شروط صدق يمكن تحديدها للجمل التناقضية وجمل الحشو. فالجمل التناقضية خاطئة و جمل الحشو صادقة في كل العوالم المحتملة حسب رأي لايبنز ويمكننا ان نجادل على اسس نظرية وتجريبية في مدى المعطيات الذي يشمله، او ينبغي ان يشمله، المصطلحان «حشو» و «تناقض» (اي مقدار ما يشمله المصطلح «تحليلي»)، ولكننا لايمكننا ان نتخلى، دون تضارب، عن المبدأ القائل ان الجمل الصادقة تحليليا او الخاطئة تحليليا هي جمل ذات معنى بموجب احتوائها على محتوى القضية.

الجمل التي لا معنى لها

اخيرا يجدر بنا ان نلقي نظرة ثانية وبشكل مقتضب على جمل كالجمل التالية:

«تنام الافكار الخضراء عديمة اللون بتهيج»

«ان الرباعية تشرب التسويف»

«ينام الخميس والجمعة في فراش واحد»

وقد صنفنا هذه الجمل في مستهل هذا الفصل على انها جمل نحوية، الا انها لا معنى

لها، ولقد اجرى علماء اللغة مناقشات مطولة حول حالة جمل كهذه في السنوات الاخيرة، ويقال في الواقع ان بعض هذه الجمل او كلها ليست سليمة التركيب نحويا، ناهيك عما سوى ذلك، (ولهذا فهي ليست جملا انكليزية على الاطلاق)، الا ان هذا الرأي لم يلق قبولا حسنا فبغض النظر عن عدم القبول الظاهري من حيث مبدأي امكانية الاصلاح وامكانية الترجمة آنفي الذكر، فان له تأثيرا في ان يجعل وصف الجمل التالية صعبا نحويا او دلاليا :

«ليس بامكان الافكار الخضراء ان تنام بتهيج»

«من الواضح ان الرباعية لا تشرب التسويف»

«يقال ان الخميس كان في الفراش مع الجمعة»

واهم من ذلك، هل يحق لنا القول ان الجمل تحت الدرس ليس لها معنى .

استنادا الى المبدأ الذي تم اقراره في هذا القسم، فانه لا يمكن اعتبار جمل مثل «تنام الافكار الخضراء عديمة اللون بتهيج» وخالية من المعنى مع انها قد تكون بلا معنى او شاذة دلاليا في نواح اخرى اذا كانت تناقضيه ولكن هل هي فعلا تناقضية ؟

من الواضح انه طالما «س اخضر اللون» يقف «س ذو لون» (بموجب علاقة معنى التضمين : لاحظ الفصل الرابع) فان تنام الافكار الخضراء عديمة اللون بتهيج، تحتوي على تعبير تناقضي واحد على الاقل وليس هناك كيان في اي عالم محتمل يمكنه ان يكون عديم اللون كليا، وفي الوقت ذاته يكون اخضر او احمر او ازرق وما الى ذلك جزئيا ويبدو واضحا كذلك انه يمكن للاشياء المادية فقط ان تكون ذات لون، وان الكائنات الحية فقط يمكنها ان تنام، وعليه تعتبر جملة «تنام الافكار الخضراء عديمة اللون بتهيج» محتوية على تناقضين آخرين، على افتراض ان الافكار بموجب تعريف كلمة «فكرة» ليست اشياء ملموسة فضلا عن انها ليست كائنات

حية .

ولكن هل هذا الافتراض سليم ؟ اغلب الظن ان معظم الناطقين باللغة الانكليزية العقلانيين يعتقدون انه سؤال سليم ، ومع ذلك ، فالعقلانية معروفة بعدم ثباتها وخضوعها للثقافة فيما يخص ما يعتقد انه مادي وغير مادي ، وما هو حي وغير حي . وفي اخر المطاف قد يكون مستحيلا علينا ان نميز بدقة بين التناقضات الاصلية (حسب المعنى الواسع للمصطلح) وبين القضايا التي يتعذر علينا تفسيرها حرفيا لمجرد كوننا مقيدين في محاولاتنا الفاشلة لتفسيرها بمجموعة معينة من الافتراضات المتعلقة بطبيعة العالم ، وعلى الرغم من ان الجمل التي نحن بصدد مناقشتها تخالف بجلاء الافتراضات التي يعمل معظمنا بموجبها فانها تبدو مختلفة فعلا وعلى نحو حدسي على الاقل، وبدرجات متباينة وبطرق مختلفة .

يعتقد العديد من العلماء ان انواع الشذوذ الدلالي ـ اي كل ما يقع ضمن مجال المفهوم قبل النظري لعدم اعطاء معنى ـ يمكن جمعها وتفسيرها نظريا بموجب المفهوم الموسع المناسب للتناقض . وهناك فكرة بديلة لهذه يُزعم انها اكثر تقليدية ، مفادها انه ينبغي التمييز بين التناقضات وما سأسميه بتنافر **الفصيلة** ، اي التمييز بين الجمل التي تهدف الى التعبير بالضرورة او بالتحليل عن قضايا خاطئة وبين الجمل التي لا تحتوي على محتوى القضية على الاطلاق (وسنعود فيما بعد الى دراسة مفهوم تنافر الفصيلة ، وكما سنرى، ان المشكلة التي يواجهها علماء اللغة حول التمييز بين عدم القبول النحوي وعدم القبول الدلالي على نحو دقيق جداً لها علاقة بتنافر **الفصيلة** وفي الوقت ذاته ينبغي ان نلاحظ ان العديد من علماء اللغة العاملين ضمن اطار النحو التوليدي يميلون الى اتخاذ موقف صارم من القبول الدلالي، وقد صنفوا مجموعة كبيرة من الجمل على انها لايمكن تفسيرها حرفيا (او انها خاطئة بالضرورة) علما بانه كان ينبغي ان لاتصنف على هذا النحو .

لقد بينت في القسم الاول من هذا الفصل ان جملة «تنام الافكار الخضراء عديمة اللون بتهيج» وغيرها يمكن اعطاؤها تفسيرات غير حرفية متنوعة، بشرط ان توضع هذه الجمل ضمن سياقات مقبولة، وبشرط ان يوسع معنى كلمة او اكثر من الكلمات المكونة لها خارج نطاق معناها الاساسي او معناها الاعتيادي، ويتضح الان ان جملا عديدة كهذه الجمل والتي لا يمكن تفسيرها حرفيا بموجب افتراضاتنا الاعتيادية عن العالم الذي نعيش فيه، هي جمل يمكن تفسيرها بسهولة حسب معناها الحرفي اذا كان بامكاننا ورغبتنا ان نخفف من حدة هذه الافتراضات او ان نهملها.

فعلى سبيل المثال ان الجمل التالية :

«ستتذكر النجوم الليلة التي قلنا فيها وداعاً»

«رفضت ماكنة قص العشب العائدة لي ان تعمل»

«أعلن رئيس العرفاء الامر بصوت عال»

«ان زوج صديقك ثعبان»

وجمل عديدة جدا مماثلة لها من حيث المعنى الحرفي تخالف الافتراضات الوجودية التي يؤمن بها معظم الناطقين باللغة الانكليزية العقلانيين، ولو ان مخالفتها تعد اقل درجة لكثير من مخالفة الجملة «تنام الافكار الخضراء عديمة اللون بتهيج» وما شاكلها للافتراضات الوجودية، ويمكن تفسير هذه الجمل حرفيا دون اية صعوبة تذكر، وينبغي حتما عدم تصنيفها على انها شاذة دلاليا. ومع ذلك فمخالفتها لافتراضاتنا الاعتيادية حول العالم تعني اننا سنحاول عادة ان نستنبط معناها كما نفعل فيما يخص التناقضات، وذلك بان ننسب اليها شيئا يختلف عن معناها الحرفي المقصود وسنولي اهتماماً خاصا وبشكل مقتضب في الفصل الرابع للمبادىء التي نستنبط بموجبها معنى الجمل التناقضية او الجمل التي تبدو انها لا تعطي معنى في حد ذاتها او حسب تفسيرها الحرفي.

الخلاصة

لقد شرحت في هذا الفصل شيئا عن الخلفية التاريخية لعلم دلالة شروط الصدق الحديث، كما اني اكدت خاصة على حقيقة ان الجمل بحد ذاتها لايمكن تصنيفها الى جمل صادقة او جمل خاطئة بمعزل عن السياق الذي تنطق فيه، وبهذا الخصوص ميزت بين القضايا ومحتوى القضية، وسا ستغل هذا التمييز في ابعد صوره في القسم التالي من هذا الكتاب

لقد كانت مناقشتنا للعلاقة القائمة بين المعنى والصدق منحصرة بين قسمين، يعالج كل منهما الجمل ذات المعنى والجمل التي لا معنى لها. وهذا موضوع سنعود الى بحثه في الفصل السابع، ولكن ينبغي علينا اولا ان نطور بتفصيل اوفر تفهمنا للعلاقة بين معنى الجملة وبين محتوى القضية .

الفصل السادس

الربط المنطقي

معنى الجملة ومحتوى القضية

(واصل تويدلدي حديثه قائلاً : « وعلى العكس ، لو كان الامر هكذا ، فهو اذن هكذا ، ولو كان هكذا؛ فانه سيكون هكذا، وطالما انه ليس هكذا فهو ليس هكذا . هذا هو علم المنطق »)

لويس كارول ، من خلال المرآة

لقد كانت العلاقة قوية بين النظرية النحوية وعلم المنطق لقرون عديدة ، بل ان العديد من المصطلحات الخاصة بالنحو التقليدي مثل «المسند اليه» و «المسند» و «صيغة الفعل» وماشاكلها هي جزء من المصطلحات الضرورية لعالم المنطق ولكن هل يعني استخدام المصطلحات ذاتها اي شيء غير العلاقات التاريخية القائمة بين العلمين؟ وهل هناك توافق مباشر بين التركيب النحوي للجملة وبين الصيغة المنطقية للقضية التي تعبر عنه الجملة ؟ هناك العديد ممن يفترضون ان الامر هكذا دون تفكير. فعلى سبيل المثال، من المألوف اننا نسمع شخصا ما يؤكد بكل ثقة ان جملة «لم افعل لا شيء» ينبغي ان تعني «لقد فعلت شيئا ما» على اساس ان الجملة التي تنفى مرتين تصبح مثبتة، فهل هذا الافتراض صحيح ؟ وعلى نحو اشمل هل هناك شيء

آخر يخص معنى الجملة الى جانب محتوى القضية فيها؟

سيتضح لنا من خلال هذا الفصل ان للجملة نواح معينة من المعنى لا يمكن توضيحها على نحو ملائم بواسطة علم منطق القضية القياسي ، وقد تبدو بعض اجزاء هذا الفصل تقنية نوعما بالنسبة للذين لم يألفوا علم المنطق الشكلي الحديث، الا ان المفاهيم كافة التي سيتم طرحها ليست صعبة الفهم في حد ذاتها، فبمجرد القاء نظرة على بعض النقاط التي يخفق فيها علم منطق القضية في اعطاء شرح كامل لمعنى الجملة يكون بامكاننا ان نثمن كلا من منجزات علم دلالة شروط الصدق الحديث وعجزه أن هذا العلم يمثل طريقة لتحليل معنى الجملة الذي يتبعه حاليا العديد من العلماء البارزين .

معنى الصدارة

ان للجمل نفس محتوى القضية فقط اذا كانت لها شروط صدق واحدة . هذا هو المبدأ الذي اتفقنا عليه في الفصل السابق. وسوف نتمسك به في كل مناقشاتنا القادمة ، كما سنواصل مطابقة محتوى القضية للجملة مع معناها الوصفي من اجل تحقيق اهدافنا الحالية. ان ما يهمنا بالذات في هذا الفصل هو ان نطرح السؤال التالي ونجيب عنه جزئيا : «ما مقدار معنى الجملة الذي يتضمنه محتوى القضية لها ؟»

ان معنى الصدارة جزء من معنى الجملة، وهذا بالتأكيد ليس جزء من محتوى القضية للجملة . فعلى سبيل المثال للجمل التالية كافة شروط صدق واحدة، وعليه فهي تشترك في محتوى قضية واحدة على الرغم من انها تختلف في معنى الصدارة :

«لم اقرأ هذا الكتاب»

«هذا الكتاب لم اقرأه»

«هذا الكتاب الذي لم اقرأه»

«لم يُقرأ هذا الكتاب من قبلي»

وهكذا هو الحال فيما يخص الجملتين التاليتين :

«رجل واقف تحت شجرة التفاح»

«يوجد رجل واقف تحت شجرة التفاح»

يسمى هذا النوع من بمعنى الصدارة لانه يتحدد الى حد بعيد بواسطة الطريقة التي يتبعها المتحدث للتعبير عما يريد التحدث عنه (فكرة الصدارة في كلامه) فيما يخص افتراضات سياقية مسبقة معينة. ان ما يقدمه المتحدث على اساس انه ذو معنى الصدارة هو في الغالب وليس دائما موجود ايضا في مكان آخر من السياق، ويمكن اعتباره معروفا لدى السامع او يمكن للسامع تجريده بكل بساطة

ليس واضحا على الاطلاق ان المجموعتين من الجمل الواردة اعلاه تمثلان جملا مختلفة، ويمكن القول ان الفرق مثلا بين «لم اقرأ هذا الكتاب» و «هذا الكتاب لم اقرأه» لا علاقة له بالتركيب النحوي او التركيب الدلالي للجمل، انما له علاقة بنطق الجملة ذاتها في ترتيب معين من الكلمات يحدده السياق .

هذه المسائل نتناولها في الجزء الرابع وذلك عندما نتناول على نحو ادق موضوع نطق الجملة، اما الان فينبغي ان نلاحظ ان معنى الصدارة هو قبل كل شي مسألة معنى الوحدة الكلامية ان لم نقل انه يشمل معنى الوحدة الكلامية كليا. اما مقدار ما ينبغي اعتباره معنى الجملة على وجه الدقة، ان وجد هذا المعنى فهو أمر مشكوك فيه .

ينبغي ان نلاحظ ان من غير الواقعي نوعما ان نناقش موضوع معنى الصدارة دون الاشارة الى النبر والتنغيم، اذ يمكننا احراز الاثر الكلامي ذاته (في الانكليزية) وذلك بوضع نبر ثقيل على هذا الكتاب عند نطق «لم اقرأ هذا الكتاب» وهذا الاثر مماثل تماما للاثر الذي نحصل عليه من نطق «هذا الكتاب لم اقرأه»، يضاف الى ذلك انه عندما ننطق الجملة الاخيرة نلاحظ انها تحتوي على ترتيب من الكلمات غير محايد

بمقارنتها بالجملة الاولى، فضلا عن ان لها تنغيما غير محايد. وليس هناك اجماع في الرأي بين علماء اللغة حول مقدار هذا التغيير الجوهـري في الصدارة الحـاصل في التركيب العروضي للوحدات الكلامية الذي ينبغي اخـذه بنظر الاعتبـار بموجب تركيب الجملة

هناك نقطة واحدة واضحة على اية حال بخصوص ما ورد اعلاه، وهي ان قدرة المرء على السيطرة على الاختلافات الحاصلة في ترتيب الكلمات وفي التركيب النحوي من النوع الذي تمثله الجمل الـوارد ذكرهـا اعلاه، وكـذلك تفسـير هذه الاختلافات تعتبر جزءً من القدرة اللغوية، كما ان قدرته على السيطرة على اختلافات النبر والتنغيم المتشابهة وظيفيا وتفسيرها تعتبر كذلك جزءً من كفاءته اللغوية، وعليه لا يمكننا التمسك في آن واحد بكل من المبدأين التاليين :

(١) ان القدرة اللغوية مقيدة بمعرفة تركيب الجملة

(٢) ان اوجه معنى الجملة كافة تعتمد على شروط الصدق

فاذا اردنا ان نحافظ على المبدأ الاول علينا ان نتبنى تصورا لبنية الجملة اوسع بكثير من التصور التقليدي، ونكون بذلك قد تخلينا عن المبدأ الثاني، واما اذا رغبنا في ان ندافع عن المبدأ الثاني فعلينا اما ان نرضى بتصور عن بنية الجملة اضيق بكثير من التصور التقليدي، او ان نُعرِّف معنى الصدارة على انه شيء يختلف عن المعنى .

الجمل البسيطة والجمل المؤلفة

الجملة البسيطة في النحو التقليدي هي الجملة التي تحتوي على عبارة واحدة، اما ما اسميه بالجملة المؤلفة فهي على نوعين : الجملة المركبة والجملة المعقدة، وليس هناك مصطلح مقبول عموما للجمل غير البسيطة. يمكن تحليل الجمل المركبة، في اعلى مستويات بنيتها، الى عبارتين متكافئتين او اكثر، اما الجملة المعقـدة فيمكن

تحليلها الى عبارة رئيسة (والتي قد تكون بسيطة او مؤلفة)، وما لا يقل عن عبارة ثانوية واحدة وعلى الرغم مما لهذين التمييزين التقليديين من مشاكل فانه يمكننا استخدامهما على نحوٍ مرض تماما في مناقشاتنا العامة لمحتوى القضية للجمل .

ان التمييز المتبع في علم المنطق بين القضايا البسيطة والقضايا المؤلفة مشابه بصورة عامة للتمييز بين الجمل البسيطة والجمل المؤلفة (وان ما اسميه بالقضايا المؤلفة يشار اليها عادة على انها قضايا معقدة، كما يشار اليها احيانا على انها قضايا مركبة، على اننا نرى من الافضل ان نوحد المصطلحين النحوي والمنطقي ضمن السياق الحالي قدر المستطاع)، الا انه لا يمكن التمييز بين الانواع المختلفة من القضايا المؤلفة التي تعادل على نحو واضح التمييز النحوي بين الجمل المركبة والجمل المعقدة. فعلى سبيل المثال تعتبر الجملة :

«اذا اجتاز (الرجل) اختبار السياقة فاني اعجمي»

جملة معقدة، بينما تعتبر الجملة :

«اما انه (الرجل) فشل في اختبار السياقة او اني اعجمي»

جملة مركبة. ويمكن اضفاء الصفة الرسمية عادة مع القضايا التي تعبر عنها الجمل الوارد ذكرها اعلاه ضمن التفاضل والتكامل للقضايا بواسطة التضمين و الفصل على التوالي : P يتضمن g من ناحية و «اما لا ـ p او g» من ناحية اخرى . ويبدو هذان الافتراضان لاول وهلة على انهما يختلفان عن بعضهما البعض بشكل ملحوظ في الصيغة المنطقية، الا ان الامر ليس هكذا، لان لهما قيمة صدق واحدة واذا سلمنا ان «pيدل ضمنا على g و اما لا ـ p او g يضفيان الصفة الشكلية على نحو صائب على مدى القضايا التي يمكن تأكيدها بواسطة نطق نماذج الجمل المعقدة والجمل المركبة، فسيترتب على هذا ان الجملتين قيد الدرس يجب ان يكون لهما محتوى واحد للقضية ومع ذلك فقد يتردد المرء في القول ان لهما معنى واحدا باعتبارهما جملتين،

والامثلة التالية تبعث على دهشة اكثر من الجمل السابقة :

«كانت فقيرة وكانت صادقة»

«كانت فقيرة الا انها كانت صادقة»

«على الرغم من انها كانت فقيرة فانها كانت صادقة»

ربما يعتقد معظم الناس ان هذه الجمل الثلاث تختلف في المعنى، ولكن الجملة الثانية، وهي جملة مركبة، اقرب في المعنى الى الجملة الثالثة وهي الجملة المعقدة من الجملة الاولى وهي الجملة المركبة الاخرى. ولكن القضايا المؤلفة التي تعبر عنها هذه الجمل متعادلة هذه المرة ايضا وعليه فان اي فرق بينها في معنى الجملة لايمتِ بصلة بمحتوى القضية

ان النقطة التي اود توضيحها هي ان العمليات التي يتم بموجبها تحويل القضايا البسيطة الى قضايا مؤلفة تعتمد بموجب تعريفها على دالة الصدق وهذا يعني ان قيمة الصدق للقضية المؤلفة يتم تحديدها كليا بواسطة قيم الصدق الخاصة بالقضايا المكونة لها، وكذلك بواسطة النتيجة المحددة لكل عملية وهو دالة لها (حسب المعنى الرياضي التخصصي لكلمة (دالة) التي تم شرحها في الفصل الرابع). فعلى سبيل المثال تشكل علامة العطف(&) قضية مؤلفة وهي ("g & p : "g , p) والذي يعتبر صادقا اذا كان كل من g , p صادقا، وعلى نحو مماثل تشكل علامة الفصل (v) الوارد ذكرهما سابقا قضية مؤلفة وهي(:GVP «اما pاو g ») التي تعتبر صادقة فقط اذا كانت اما p صادقة او g صادقة، اما علاقة النفي (~) فهي بدورها تشكل قضية مؤلفة (~ p) مشتقة من قضية بسيطة (p)، وتعرف ~ p على انها صادقة عندما يكون p خاطئة وخاطئة عندما تكون p صادقة ومن المشكوك فيه القول على الاقل ان العمليات المتعلقة بصياغة الجمل المؤلفة في اللغات الطبيعية هي مسألة تعتمد على دالة الصدق فحسب

وحتى العطف التكافؤي للعبارات عن طريق استخدام حرف العطف and (و) يشكل مشكلة من وجهة النظر هذه وهو يعتبر اكثر انواع العطف التكافؤي حيادا في اللغة الانكليزية. واقرب شيئ يعادله في التفاضل والتكامل للقضية خو بلا شك العطف (&) على انه غالبا ما نشعر ان هناك نوعا من العلاقة الزمنية او السببيه القائمة بين الحالات التي تصفها القضايا المكونة بحيث يصبح ترتيب العبارات التي تعبر عن هذه القضايا ذا اهمية دلالية فعلى سبيل المثال تستخدم عادة الجملتان التاليتان :

«وصل جون متأخرا وفاته القطار»

«جون فاته القطار ووصل متأخرا»

في ظروف مختلفة، ولتوضيح هذه النقطة بشكل مقتضب ومبسط نقول ا«(و)هنا تبدو على انها تعني «وبعد ذلك» او «ولهذا» ومن الواضح انه اذا كانت(و) تحمل هذا المعنى فانها ليست معادلة لاداة العطف & المستخدم في عطف القضايا اذ ان p & g لها نفس قيمة الحقيقة التي تحملها g & p

ولكن هل ان و، وعلى وجه الدقة العطف التكافؤي للعبارات المتتالية عن طريق استخدام و، تعني حقاً «وبعد ذلك» او «ولهذا» ؟ هناك رأي آخر وهو ان «بعد ذلك» او «لهذا» ليس جزءً من محتوى القضية، بل انها مجرد شيء متضمن (حسب المفهوم الاوسع لمعنى «يتضمن») في ميلنا العام نحو التمسك بالمعايير الكلامية لوثاقة الصلة و بالترتيب. ويزعم مؤيدو هذا الرأي اننا نستطيع في ظروف اعتيادية وفي حالة عدم وجود المعلومات السياقية بما يفيد العكس، ان نستنتج وعلى نحو معقول من «وصل جون متأخرا وفاته القطار» ان وصول جون المتأخر كان سببا لفوات القطار وان لم يكن في المعنى الحقيقي للجملة شيء ما يشير الى هذه المعلومات، لاننا نفترض ان المتحدث لا يخدعنا وذلك باعطائه قواعد اجرائية غير لائقه لا مبرر لها وعلى نحو متعمد (وليس من الصعب التفكير في ظروف يمكن من خلالها ان ننطق هذه الجملة

للتعبير عن حقيقتين مختلفتين لا علاقة بينهما ولكن ينبغي لهذه الظروف جدلا ان تكون واضحة عن طريق السياق). لقد استغل علماء دلالة شروط الصدق هذه المناقشة وعلى نحو مقنع فيما يخص و وسنعود الى هذه المناقشة في الفصل التاسع.

تعتبر المناقشات الواردة اعلاه اقل اقناعا عند استخدامها في دعم الفرضية القائلة ان الجمل التي تحتوي على but لكن او although على الرغم من لهامعنى الجمل التي تحتوي على و ، كما هو الحال في الجمل الوارد ذكرها سابقا، وهي : «كانت فقيرة ولكنها كانت صادقة» و «على الرغم من انها كانت فقيرة فانها كانت صادقة» . فاذا سلمنا بفكرة دالة الصدق الخاصة بما سبق وان سميته باكثر انواع العطف التكافؤي حيادا الذي يستخدم و ، فينبغي علينا كذلك ان نسمح للمتحدث ان يضع كفافا عروضيا فوق نطقه لجملة مركبة حيادية معجميا ونحويا مثل «كانت فقيرة وكانت صادقه» (وان يتضمن هذا الكفاف العروضي كلا من النبر والتنغيم)، على ان يشير هذا الكفاف العروضي الى مشاعره الخاصة حول القضايا التي يعبر عنها والعلاقة بينها فيمكن للمتحدث مثلا ان ينطق الجملة «كانت فقيرة وكانت صادقة» بشكل يكشف عن استغرابه لكون كل من p و g صادقتين في ذات الوقت الذي يؤكد فيه على عطف القضيتين p & g وفي ظروف كهذه قد ينطق المتحدث على نحو مماثل «كانت فقيرة ولكنها كانت صادقة» مستخدما كفافا عروضيا مناسبا ولن يكون هناك اي اختلاف في القضية المؤلفة التي يؤكدها، كما ولايكون هناك اي اختلاف سهل التحديد في درجة وطبيعة المشاعر التي يكشفها او يشير اليها، ومع ذلك تختلف هاتان الجملتان في المعنى، طالما ان لكن على نقيض و ليست مؤشرا حياديا محضا لعطف القضية على الاطلاق

قد تظهر مشاكل مماثلة في بعض اللغات فيما يخص دلالة الفصل فعلى سبيل المثال هناك طريقتان في اللغة اللاتينية لترجمة جمل (اما ـ او) الانكليزية، اذ يمكن

استخدم الاداتين ..... vel..... vel.... او بدلا منهما الاداتين ...... aut ..... aut....، ولقد اقتراح من حين لاخر ان الفرق بينهما هو ان التركيب الاول يستخدم للفصل الشمولي، بينما يستخدم التركيب الثاني للفصل الاستثنائي فالفصل الشمولي، pvg ، يكون صادقا ليس في حالة كون اما p او g صادقة وكانت الاخرى خاطئة فحسب، بل كذلك اذا كانت كل من p,g صادقة اما الفصل الاستثنائي فيكـــون صادقا فقط اذا كانت اما p صادقة و g خاطئة، او اذا كانت g صادقة و pخاطئة، اي انه يستثني احتمال كون كل من p و g صادقتين ، وعندما يستخدم علماء المنطق المصطلح الفصل دون اي قيد ، فهم يقصدون عادة الفصل الشمولي ونعود الان الى المثال اللاتيني . ان واقع الامر لا يظهر ان vel تستخدم للفصل الشمولي و aut للفصل الاستثنائي ، باستثناء استخدامها المتخصص عند علماء المنطق اذ ان الحقيقة هي ان التركيب -aut اقوى او اكثر تعبيرا من التركيب -vel كما ان but في اللغة الانكليزية ، اقوى واكثر تعبير من العطف and ومن الصعب ان نكون اكثر دقة مما نحن عليه دون ان ننسب معان واضحة عديدة لـ aut على خلاف vel ولعل افضل طريقة لشرح ما هو مقصود بعبارة «اقوى واكثر تعبيرا» في هذا السياق هو ان نقول ان اقرب تركيب معادل للتركيب اللاتيني aut في اللغة الانكليزية هو (اما) . . . . . او . . . . . على ان نضع نبرا ثقيلا على ادوات الفصل، ويمكن احراز الاثر ذاته في اللغة الفرنسية وذلك عن طريق اضافة bien الى ادوات الفصل المحايدة .... ou .... (ou) وكذلك الحال بالنسبة للغة الروسية وذلك باضافة Ze'وفي الواقع يُفهم الفصل الاقوى والاكثر تعبيرا في بعض السياقات على انه استثنائيا، على انه يشير في سياقات اخرى الى ان الخيارين p,g من وجهة نظر المتحدث هما القضيتان الوحيدتان اللتان تستحقان الدرس، كما انه يؤكد او يجسم ضرورة تفضيل احدهما على الاخر، اما التمييز بين الفصل الشمولي والفصل الاستثنائي فيمكن تفسيره عن طريق دالة الصدق، بينما لا يمكن ذلك فيما

يخص التمييز بين الفصل المحايد والفصل الاقوى او الاكثر تعبيرا .

واخيرا ينبغي ان نذكر ما يسمى بالتناقضات الظاهرية للتضمين p → g («p تدل ضمنا على g») . قد تبدو هذه التناقضات شائكة عند تقويمها بالتفصيل وباستخدام وافر للرموز المستخدمة في الكتب المنهجية في علم المنطق ، الا ان النقطة مدار البحث ذات اهمية بالغة ، ولا يصعب فهمها. يُعبر عادة عن التضمين في اللغة الانكليزية بواسطة الجمل الشرطية مثل اذا اجتاز اختبار السياقة اشترى له والداه سيارة بورش، الا ان القضية p تدل ضمنا على g تعتبر صادقة بالتعريف، لا عندما يكون كل من p, g صادقتين فحسب، بل كذلك عندما يكون p خاطئة، وعليه تكون القضية التي تعبر عنها هذه الجملة صادقة حتى وان لم يجتز الشخص الذي تشير اليه كلمة «هو» اختبار السياقة، بشرط ان يكون والداه قد اشتريا له سيارة بورش في آخر الامر (هذا اذا كانت الجملة اعلاه تحمل الصيغة المنطقية p تدل ضمنا على g ويعتقد معظم الناس ، ان هذه حالة تناقض ظاهري ثم ان قيمة الصدق لـ p تدل ضمنا على g كما هو الحال في p و g مستقلة تمام الاستقلال عن اية علاقة سببية بين الحالات التي تصفها كل من القضيتين المكونتين فعلى سبيل المثال تعتبر القضية التي تعبر عنها الجملة اذا كانت عينا ليدي كودفا زرقاوتين فقد اشترى له والداه سيارة بورش صادقة (بغضّ النظر عن لون عيني ليدي كودفا) اذا كان والد الشخص الذي تشير اليه كلمة «هو» في احدى مناسبات النطق بالجملة اعلاه، قد اشتريا له فعلا سيارة بورش. مرة ثانية نقول ان معظم الناس يعتقدون ان هذه الجملة تدل على تناقض ظاهري، ما لم يكونوا قادرين، بطبيعة الحال، على ادراك نوع من العلاقة السياقية القائمة بين محتوى القضية للعبارتين. ويمكننا دائما ان نبتكر علاقة معقولة لاية عبارتين في اية جملة شرطية يمكن بواسطتها التخلص من التناقض الظاهري . وستظهر الاهمية بكاملها لهذه الحقيقة في معالجتنا لمفهوم الصلة في الفصل التاسع .

ولكن ماذا سيحدث لو اننا لم نسع الى التخلص من التناقضات الظاهرية المزعومة لدلالة التضمين على هذا النحو ؟

ان الجملة الشرطية التي ورد ذكرها سابقا اذا اجتاز اختبار السياقة فاني اعجمي ، مهمة جدا (الا انها شاذة) من وجهة النظر هذه وهذا سبب اختياري لها . فهي تستخدم عادة (يستخدمها من هو ليس اعجميا) للتأثير على الاخرين اعتمادا على الخطأ الواضح في g («اني اعجمي ») وعلى فرض عدم وجود اية علاقة سببيه بين المواقف التي تصفها كل من p («اجتاز اختبار السياقة») و g وفي ظروف كهذه ربما نقول ان القضية المؤلفة التي تعبر عنها الجملة ككل معادلة للقضية التي تعبر عنها الجملة (اما انه فشل في اختبار السياقة او اني اعجمي). وهذه القضية صادقة اذا كانت كل من p و g خاطئتين، ويعود السبب في هذا الى ان النطق بهذه الجملة يعتبر معادلا من ناحية بلاغية الى انكار p في سياق يكون فيه اثبات g لا يضيف شيئا من المعلومات وبعبارة اخرى يمكن للمتحدث ان يستغل معرفة السامع التي تفيد ان المتحدث ليس اعجميا، وان يستغل كذلك قابليته المترتبة على ذلك في استنتاج خطأ p (اجتاز اختبار السياقة) من صدق القضية المؤلفة (p تدل ضمنا على g) وهي قضية غنية بالمعلومات. كما يستطيع المتحدث ان يتأكد تمام التأكد من ان السامع سيستنبط الاستنباط الصائب في حالة كهذه لان القضية «اني اعجمي» قد اصبحت عرفا لدى الاوساط الناطقة باللغة لتحقيق هذا الهدف بالذات . على ان اية قضية خاطئة بديهيا او شاذة ما فيها الكفاية تؤدي الغرض البلاغي ذاته («او كانت لديها شهادة جامعية في علم اللغة، فاني ملكة شيبا وهلم جرا). اننا في الواقع نعمد الى استخدام فرع واحد على الاقل من فروع الجمل الشرطية على نحو بلاغي او ذرائعي كما يقول الكثيرون هذه الايام وعلى النحو الذي وضحته توا .

فيما يلي ملخص لما ورد اعلاه: ان صياغة انواع عديدة من الجمل المؤلفة في

اللغة الانكليزية وفي لغات طبيعية اخرى لا تبدو معتمدة كليا على دالة الصدق، ففي بعض الحالات هناك اضافة في العنصر المعبر للاقضية (لاحظ العطف بـ but (لكن) في التركيب اللاتيني -aut) وفي حالات اخرى هناك شيء من الشك في صلاحية اعتبارات دالة الصدق (لاحظ ما يسمى بمتناقضات التضمين الظاهرية) وعليه يبدو ان محتوى القضية للجمل المؤلفة لا يستنفد دائما معنى هذه الجمل وان كان هذا المحتوى للقضية ممكن التحديد .

النفي

يعتبر النفي (يرمز اليه بالعلاقة~) عملية تنتج بموجبها قضية مؤلفة (p~) من قضية بسيطة (p)، كما شاهدنا هذا توا . ويعتبر تعريف النفي المبني على دالة الصدق واضحا بقدر تعلق الامر بمنطق القضايا القياسي الثنائي القيمة وعلى النحو التالي : عندما تكون p صادقة تكون p~ خاطئة، وعندما تكون p خاطئة، تكون p ~ صادقة واضافة الى ذلك يمكن ان يكون النفي متكررا بحيث يؤدي نفي p~ الى p ~ ~وهذا معادل لـ P (اي ان نفيين يفيدان اثباتا)، كما ان نفي P~ ~ مؤدي الى P ~ ~ ~ وهذا معادل لـ P ~، وهلم جرا. ولنسأل الان السؤال التالي: ماهي العلاقة القائمة بين التفسير المنطقي القياسي للنفي وبين معنى الجمل المنفيه واستخدامها في اللغات الطبيعية ؟ وعلى نحو اخص، ما هو مقدار معنى التراكيب المنفيه الذي ينبغي اعتباره جزء من محتوى القضية للجمل ؟

هناك طرق مختلفة لتكوين الجمل المنفية في اللغات الطبيعية ، على اننا قلما نجد سببا يدعو الى القول ان الجملة المنفية هي جملة مؤلفة من ناحية نحوية بمقارنتها بالجملة المثبتة الايجابية المناظرة لها وعلى وجه العموم الجمل المتناظرة ذات الاستقطاب المعاكس لها تركيب واحد للعبارة وان ما يمكننا مطابقته بمنتهى البساطة نفي القضية

يمكن تطبيقه ضمن العبارات، ولايتعدى مفعوله الى جمل كاملة وفي الواقع لا يحدد النفي لعبارة ما في لغات عديدة (مثل صيغة الفعل او زمن الفعل فيها) بواسطة كلمة منفصلة مثل الكلمة الانكليزية not بل بواسطة صيغ خاصة للفعل او المسند ومن هنا جاء القول التقليدي المعروف : نفي المسند يعادل نفي القضية

الا ان هناك نوعا واحدا من انواع نفي المسند ليس معادلا لنفي القضية بكاملها ، ويمكن توضيح هذه النقطة على النحو التالي :

ان الجملة «جون شخص معادٍ »

والتي تختلف عن «جون ليس ودياً»

تعبر عن قضية ليس مناقضة للقضية التي تعبر عنه جملة «ان جون ودي» فحسب بل انها تعبر عن ضدها وبعبارة اخرى ليس « جون شخص معادٍ » مجرد نفي لـ «ان جون ودي»، بل انه يتضمن «ان جون عدائي النزعة» اذ من الممكن تماما ان يكون جون لا وديا ولا معاديا (وبالطبع تستخدم جملة «جون ليس وديا» في اغلب الاحيان في الحديث الاعتيادي كما لو كان لها معنى «جون شخص معاد» ذاته . واهم من هذا كله، هناك ايضا طريقة خاصة للنطق بجملة «جون ليس وديا» يتضح من خلالها ان النفي ينطبق فقط على تعبير المسند «ودي» ولكن هذا لا يهمنا في هذه المرحلة)

هناك ثلاث طرق لمعالجة هذه الحقيقة، الطريقة الاولى التي تستبعدها الصياغة التي استخدمتها توا، هي القول ان هناك جملتين مختلفتين يمكن تمثيلهما في اللغة الانكليزية المستخدمة في الكتابة بـ «جون ليس وديا» ويتم التمييز بينها على نحو اختياري على الاقل في اللغة الانكليزية المنطوقة بواسطة الايقاع والتنغيم، الا ان علماء اللغة يستبعدون عموما الايقاع وفروق التنغيم الدقيقة الحاصلة في حالات كهذه مما يعتبرونه جزءً من البنية العروضية للجمل. اما الطريقة الثانية فهي ان نقول

ان هناك جملة واحدة، الا انها غامضة البنية، والطريقة الثالثة هي ان نميز بين معنى الجملة وبين معنى الوحدة الكلامية وان نقول ان (جون ليس وديا) هي جملة واحدة لا غموض فيها، ويمكن النطق بها بطريقة خاصة، وربما كذلك في سياقات يمكن تحديدها لتعطي تأثيرا كلاميا مشابها نوعها للتأثير الذي نحصل عليه من نطق «ان جون معاد» . ولنختر ببساطة ودون جدل التحليل الثالث من هذه التحاليل الثلاثة الممكنة .

من الممكن ايضا ان تكون لدينا تعابير اسمية منفية مستخدمة كمكونات للعبارات فعلى سبيل المثال:

«يدفع غير الطلاب اجور الدخول كاملة»

تعبر عن قضية يختلف عن القضية التي تعبر عن الجملة التالية ولا تقفها:

«لايدفع الطلاب اجور الدخول كاملة»

ان لنفي الاسم من هذا النوع (غير الطلاب) تأثيرا على محتوى القضية للعبارة التي تظهر فيها، شأنه في هذا شأن نفي المسند (لايدفع)، وهو يعتمد على دالة الصدق من حيث المبدأ على انه لايمكن اضفاء الصفة الشكلية عليه في علم منطق القضايا القياسي .

يختلف نفي الاسم من النوع الممثل بـ «غير الطلاب» في اعلاه باستخدام نفي ضمائر النكرة مثل «ولا احد» او «لا شيء» او باسماء مماثلة دلاليا والتي تبدأ بالصفة «لا» (مثلا «لا رجل» قارن aucun homme الفرنسية و kein mensch الالمانية، وما شاكلها) ، ويتضح لدى التأمل، ان لم نقل مباشرة، ان الجملة التالية :

«لم يتصل احد تلفونيا»

تعبر عن قضية تناقض القضية التي تعبر عنها الجملة

«لم يتصل شخص ما تلفونيا»

والتي تبدو على انها الجملة المنفية المقابلةلـ (اتصل شخص ما تلفونيا) على نحو مباشر تماما، فيمكن ربطها بـ «لم يتصل شخص ما تلفونيا» لتعبر عن الافتراض المؤلف اللاتناقضي التالي:

«اتصل شخص ما تلفونيا ولم يتصل شخص ما تلفونيا»

واعتقد معظم علماء المنطق وعلماء اللغة حتى وقت قريب على الاقل ان القضية التي تعبر عنها الجملة لم يتصل احد تلفونيا تختلف من حيث الصيغة المنطقية عن القضية التي تعبر عنها مثلا الجملة التالية:

«اتصل جون تلفونيا»

ان ابرز فرق بين «لم يتصل احد تلفونيا» وبين «اتصل جون تلفونيا» من وجهة النظر هذه، هو ان الجملة الثانية مرتبطة بنوع خاص من الافتراض الوجودي المسبق (في حالة استخدامها للادلاء ببيان)، اي انها تنقل افتراض المتحدث المسبق من ان هناك كيانا يشار اليه على نحو ملائم بالتعبير «جون» الا انه ليس هناك افتراض وجودي مسبق مشابه لهذا الافتراض له علاقة باستخدام «لا احد» و «لا شيء» وهلم جرا.

ان دراسة جمل كالتي تم ادراجها في اعلاه ضمن مناقشة اكثر شمولا للنفي في اللغة الانكليزية وفي لغات اخرى تظهر مشاكل اخرى ما هي العلاقة النحوية والدلالية بين الجمل المثبتة التي تحتوي على شخص ما وبين الجمل المنفية المقابلة والتي تحتوي على اي شخص؟ (ماهي العلاقة مثلا بين شاهد شخصا ما وبين «لم يشاهد اي شخص ؟»)، وما هي العلاقة بينهما وبين الجمل المنفية المقابلة لها والتي تحتوي على «بعض» ؟ (وهل ان (لم يشاهد احدا) تعني تماما الشيء الذي تعنيه، «لم يشاهد اي شخص؟» ان المشاكل المشابهة لهذه المشاكل والتي تشمل التفاعل المعقد للنفي واستخدام ادوات التعريف وادوات الكم والعدد وضمائر النكرة (والصفات) وماشاكلها، وقد حضيت باهتمام كبير من لدن علماء اللغة خلال السنوات الاخيرة،

وقد اصبحت الحقائق ذاتها موضع جدل في بعض الحالات، وعلى وجه الخصوص عندما يخص الامر فدون المعنى المزعومة التي لايمكن تفسيرها بواسطة دالة الصدق، ولكن من الصعوبة بمكان ان نعالج حتى حالات نفي القضايا المسلم بها ضمن اطار نظري موحد يمكن من خلاله وضع البنية النحوية في توافق مع الصيغة المنطقية بكل بساطة وعلى نحو منسق.

ان النفي عملية تنطبق على تعبير واحد، ولكن التعبير قيد الدرس يمكن ان يكون بسيطا او مؤلفا، ففي حالة p ~ يكون التعبير الذي ينطبق عليه عامل النفي بسيطا - اي التعبير الذي يقع ضمن مجاله - بينما يكون التعبير مؤلفا في حالة (p & g) ~، ويقع ضمن مجال النفي كل شيء ضمن القوسين المتقابلين على اليسار وعلى اليمين اللذين يليان النفي مباشرة، وان اي غياب لهذين القوسين يجعل معامل النفي ينطبق على اصغر تعبير يقع على يمينه، وعليه فهناك فرق بالغ الاهمية بين (p&g)~ وبين p & g ~ ، ويتضح هذا في الفرق بين «لم تكن ماري بصحة جيدة ولم تكن مبتهجة»

mary was not - well — and — cheerful

وبين «لم تكن ماري بصحة جيدة ولكنها كانت مبتجهة»

mary was not- well and cheerful

(اذاجاز لي ان ابين الفرق على نحو رسمي باستخدام علامة الوصل -)

من السهل ان نرى ان هناك فروقا اخرى مماثلة في مدى نفي القضية في اللغات الطبيعية فعلى سبيل المثال يمكن تفسير الجملة التالية بطريقتين :

John did not kiss mary because she was his sister

الاولى هي «لم يقبل جون ماري لانها اخته» ، والثانية «جون قبل ماري لا لانها اخته»، واستنادا الى التفسير الاول تعتبر الجملة مدار البحث جملة ينطبق فيها النفي

فقط على محتوى القضية بالنسبة للعبارة الرئيسة («جون قبل ماري»)، بينما تعتبر الجملة ذاتها حسب التفسير الثاني، جملة ينطبق النفي فيها على محتوى العبارة الثانوية («لانها اخته»)، او لنقل ان النفي ينطبق على القضية المؤلفة «جون قبل ماري لانها اخته»، وبطبيعة الحال لا يمكن اضفاء الصفة الشكلية على نحو صحيح على الفرق بين التفسيرين الاول والثاني بواسطة فرق دالة الصدق بين (p & g) ~ وبين (p & g) ~ وكما شاهدنا سابقا لا يمكن للتفاضل والتكامل للقضايا ان يميز بين العطف والربط الثانوي السببي، ومع ذلك يتضح بديهيا ان الفرق بين التفسيرين لايمكن من حيث المبدأ اضفاء الشكلية عليه حسب مدى نفي القضية، وهناك امثلة عديدة مماثلة.

ان لمجال النفي صلة وثيقة ايضا بعلم المنطق الشرطي الذي يوسع التفاضل والتكامل للقضايا بواسطة عامل الضرورة المنطقية (N) وعامل الاحتمال (M). ان القضية ليس من الضروري ان p (Np ~) يختلق من حيث دالة الصدق عن «من الضروري ان not-p» (N~p)، فعلى سبيل المثال تختلف القضية ليس من الضروري ان تكون السماء زرقاء في قيمة الصدق عن القضية (من الضروري ان لاتكون السماء زرقاء)، وكما سنرى في الفصل الرابع، يمكننا ان ننسب على الاقل جزءً مما يمكن وصفه بانه الشكلية في اللغات الطبيعية الى محتوى القضية للجمل، وفي حالات كهذه غالبا ما نجد توافقا واضحا الى حد ما بين مجال النفي والتركيب النحوي، فعلى سبيل المثال يمكن تفسير الجملة التالية :

He may not come

بطريقتين حسبما اذا كان لـ not مجال اوسع او اضيق من مجال الفعل الشرطي :may الاول هي «من المحتمل انه لن يأتي» (M~p) بمقارنتها بالطريقة الثانية وهي «ليس من المحتمل انه سيأتي» . (~Mp)

ان مالا يمكن اضفاء الصفة الشكلية عليه حتى في المنطق الشرطي، هو الفرق

بين تأكيد قضية نفي («اقول انها لا تمطر») وبين انكار قضية مثبتة («انكر انها تمطر») او الفرق بين تأكيد قضية مثبتة («اقول انها تمطر») وبين انكار قضية منفية («انكر انها لا تمطر»). وهنا ايضا توجد فروق يكن تفسيرها حسب مجال النفي فضلا عن انها فروق تنعكس جزئيا على الاقل على البنية النحوية والعروضية للجمل، الا ان التأكيد والانكار ليسا ولا يمكن ان يكونا جزءً من مكونات القضايا او محتوى القضية انما هما نوعان مختلفان من الافعال الكلامية. فاذا كان الفرق بين التأكيد والانكار والفرق بين انواع اخرى من الافعال الكلامية قد صيغ في رموز على نحو منتظم اشرت اليه سابقا بالقيمة الظاهرية للجمل فان جزءً آخر من معنى الجمل لا يعتبر جزءً من محتوى القضية للجمل

نمط الجملة وصيغتها

ان من الشائع اليوم ان يميز علماء اللغة عن طريق استخدام المصطلحات بين الجمل الخبرية والخبر وبين الجمل الاستفهامية والاسئلة، وبين الجمل الامرية والاوامر، وبين الجمل التعجبية والتعجب وان ما هو اقل شيوعا عموما بالنسبة لهم هو ان يوضحوا ان هناك فروقا بالغة الاهمية في الاستخدام التقليدي بين المصطلحات الخبرية والاستفهامية والتعجبية، من ناحية وبين (الأمرية) من ناحية اخرى. فالمجموعة الاولى من المصطلحات تصنف الجمل الى فروع حسب ما ساسميه بنمط الجملة، اما المصطلح (أمرية) فينسجم جيدا مع المصطلحات الصيغة التقريرية و الصيغة الفرضية و صيغة التمني و الصيغة الشرطية وماشاكلها، وهي لا تصنف الجمل الى فروع بل تصنف العبارات الى فروع حسب صيغتها

هناك علاقة بين نمط الجملة وصيغتها، ولكنهما يعتبران بعدين مستقلين جزئيا للبنية النحوية للجملة ، ومن المهم ان لا نخلط بينهما كما ان من المهم على وجه

الخصوص ان لا نخلط بين الخبرية والتقريرية، وهذا ما يفعله احيانا الفلاسفة بل علماء اللغة، اذ لايمكن ان تكون الجملة استفهامية وخبرية في وقت واحد، الا انها يمكن ان تكون استفهامية وتقريرية اي انها يمكن ان تكون استفهامية من حيث نمط الجملة وان تحتوي على عبارة الصيغة التقريرية باعتبارها العبارة الرئيسة الوحيدة وكذلك يمكن للجملة في بعض اللغات وليس في اللغة الانكليزية ان تكون استفهامية وفي الصيغة الفرضية، وعلى نحو مماثل يمكن للجملة ان تكون خبرية دون ان تكون في الصيغة التقريرية وفي الواقع هناك لغات تحتوي على انواع مختلفة من الجمل الخبرية غير التقريرية، الا انها لا تحتوي على اية جمل تقريرية على الاطلاق .

ان النقطة الوارد ذكرها اعلاه تحمل اكثر من اهمية اصطلاحية محضة فهي تدعم التحليل الثلاثي للتركيب المنطقي لكل من الجمل والوحدات الكلامية وتفضله على التحليل الثنائي الذي يفضله العديد من علماء المنطق وعلماء الدلالة الشكلية، كما سنشاهد ذلك في الجزء الرابع على انه يمكننا في الوقت الحاضر ان نستخدم المصطلح «الجملة الخبرية» لتمثيل الجملة الخبرية التقريرية، وهي تفسر بهذه الصورة عادة في المؤلفات الحديثة في علم الدلالة .

من المسلم به عموما ان الجمل غير الخبرية تثير مشاكل في نظريات معنى الجملة المعتمدة على شروط الصدق فهناك حالات كثيرة يمكن وضع هذه الجمل فيها في توافق مع جمل بيانية معينة على اساس تركيبها النحوي والمعجمي فعلى سبيل المثال تعتبر الجملة التالية :

«هل الباب مفتوح؟»

ذات علاقة منتظمة بالجملة الخبرية التالية :

«الباب مفتوح»

من حيث تركيبها النحوي والمعجمي وهذه العلاقة النحوية والمعجمية المنتظمة بين

الجملتين تعكس على مايبدو علاقة دلالية منتظمة مماثلة، ولكن ماهي طبيعة هذه العلاقة الدلالية؟ يبدو من البديهي ان الجملتين تشتركان في مقدار كبير من محتواهما القضية، ان لم نقل كله، الا انهما تختلفان في المجموع الكلي لمعنى الجملة الخاص بهما.

هناك طرق عديدة لتخصيص شروط الصدق لـ «هل الباب مفتوح؟» بحيث ان التشابه والاختلاف بين معناها ومعنى الباب مفتوح يمكن تفسيرهما على نحو منتظم وبموجب احدى هذه الطرق يمكننا القول ان لهذه الجملة محتوى القضية مماثلاً لمحتوى القضية الذي تحمله الجملة التالية:

«اسأل هل الباب مفتوح»

الا انه سرعان ما يبدو هذا غير مقنع لان معنى «هل الباب مفتوح ؟» مستقل عن استخدامه للاستفسار فعلى سبيل المثال، ليس هناك اي شيء غير منطقي او تناقضي في الوحدة الكلامية التالية:

هل الباب مفتوح؟ ـهذا سؤال لا اريد ان اسأله ومع ذلك ينبغي ان يكون هناك ماهو غير منطقي وتناقضي اذا كانت:

((هل الباب مفتوح ؟))

«اسأل هل الباب مفتوح»

تحملان المعنى ذاته.

هناك طريقة اخرى لتفسير معنى جملة «هل الباب مفتوح ؟» كاملا ضمن اطار علم دلالة شروط الصدق، وذلك باعتبارها معادلة دلاليا لمجموعة الجمل الخبرية، بما فيها «الباب مفتوح» والتي قد تستخدم على نحو صحيح او مقبول للاجابة عن هذا السؤال عندما ينطق به لطرح سؤال. ولقد استخدمت هذه الطريقة للتحليل الدلالي للجمل الاستفهامية وطورت بمهارة فائقة في المؤلفات الاخيرة في علم الدلالة الشكلي. ولهذه الطريقة فوائد من وجهة نظر منطقية بحتة، الا انها لا ترقى لان تكون

الطريقة التي يمكن ان يختارها شخص متردد، لاسباب ما وراء نظرية في اقحام معنى الجملة باكمله في القيود المشددة لشروط الصدق

يعتبر رأي العلامة الالماني (كوتلوب فراغه Gotllob frege) اكثر جاذبية بالنسبة لكل مؤيدي المبدأ العلمي القديم الخاص بالحفاظ على المظاهر، فالعمل الجوهري الذي قام به هذا العلامة في حقل فلسفة اللغة في اواخر القرن التاسع عشر يعتبر ذا اهمية بالغة في عملية اضفاء الصفة الشكلية على علم الدلالة. يرى (فراغه) واتباعه اليوم ان معنى الجملة «هل الباب مفتوح»؟ مؤلف من عنصر القضية واخر غير عنصر القضية فمكون القضية «الباب مفتوح» مشترك مع جملة (الباب مفتوح)، اما المكون الاخر فهو ذلك الجزء من المعنى الذي تستخدم الجملة بموجبه، وعلى نحو متميز، لتكوين اسئلة وليس خبر، الا ان للجملة «الباب مفتوح» كذلك مكون غير مكون القضية الا وهو ذلك الجزء من معناها الذي يجعلها صالحة للنطق بالخبر ان صياغة فراغه تختلف قليلا عن الصياغة التي قدمتها هنا لانها لم تميز من ناحية بين الجمل والوحدات الكلامية ـ او انها في الواقع لا تميز احيانا بين الجمل والعبارات والقضايا (فكلمة satz باللغة الالمانية تشمل الثلاث كافة) ، على ان صياغتي تُبقي على فحوى صياغة (فراغه) وتكيفها من حيث المصطلحات وعلى نحو ادراكي لتشمل مفهوما اوسع للمعنى، وهذا هو المفهوم الذي تبنيته في هذا الكتاب .

لقد قلت ان رأي فراغه يحافظ على المظاهر، ولا يتطلب هذا منا ان نعين شروط الصدق للجمل غير الخبرية. ان المظاهر انموذج واسع من لغات العالم، يظهر لنا بكل تأكيد ان معنى الجمل الخبرية والجمل الاستفهامية المقابلة لها من النوع الذي تم تمثيله بجملة «الباب مفتوح» و «هل الباب مفتوح؟» على التوالي، يمكن تحليله الى جزئين. وعلى وجه العموم تختلف الجمل الاستفهامية عن الجمل الخبرية، في احدى الطرق الثلاث، في اللغات التي يكون فيها التمييز واضحا تمام بين الجمل الخبرية والجمل

الاستفهامية، وهي بواسطة الاختلاف في ترتيب الكلمات، او باستخدام اداة استفهام خاصة او بتغيير الصيغة الصرفية للفعل على انه يقال احيانا ان هناك طريقة اخرى للتمييز بين الجمل الخبرية والجمل الاستفهامية : وهي التنغيم. وكما يقال، على اية حال، ينبغي ان يعزى هذا النوع من الفرق التنغيمي الى عملية النطق ونتائجها وليس الى بنية الجملة في حد ذاته، علما بان العديد من اللغات تميز بين الاسئلة والبيانات بواسطة الفرق في التنغيم. وهو الرأي الذي اتبناه هنا. ويعني هذا الرأي ان هناك لغات لا فرق فيها على مستوى الجملة بين الجمل الخبرية والجمل الاستفهامية من النوع الذي مثلناه بجملة «الباب مفتوح»وجملة «هل الباب مفتوح؟» (قارن اللغة الايطالية واللغة الاسبانية واللغة اليونانية الحديثة، من بين العديد من اللغات الاوربية المعروفة) .

ان الجمل المحايدة نحويا من حيث التمييز بين الجمل الخبرية والجمل الاستفهامية (والتي يمكن استخدامها على نحو صائب في نطق الاسئلة او في نطق الخبر) هي الجمل الوحيدة التي يستنفذ معناها في محتواها للقضية. اما الجمل التي تحددها بنيتها النحوية على انها جمل خبرية او جمل استفهامية فلها الطاقة الكامنة في ان تستخدم على نحو متميز لاداء وظيفة كلامية دون سواها، وتعتبر هذه الطاقة الكامنة مكونا للا قضية لمعناها. ومن الجدير بالذكر ان البنية النحوية لجمل كهذه غالبا ما تكون سهلة التحليل الى جزء للقضية وآخر ليس للقضية، ولقد تبنت هذه الحقيقة صيغ متعددة لنظرية النحو التحويلي، بما فيها الصيغة التي طورها جومسكي chomsky (١٩٥٧)، والتي تبناها فيما بعد (مع شيء من التحوير) كل من كاتز katz وبوستال postal (١٩٦٤) .

تختلف الجمل التعجبية والجمل الامرية عن الجمل الخبرية والجمل الاستفهامية، كما انها تختلف عن بعضها البعض في نواح عديدة؛ ولكن تصح عليها

النقطة العامة المارة الذكر : فاضافة الى محتوى القضية الذي تحمله هذا الجمل التعجبية والجمل الامرية فانها تحمل في بنيتها النحوية نوعا معينا من انواع معنى اللا قضية في اللغات التي تكون فيها التمييزات في البنية ويعتبر هذا المكون للاقضية في معنى الجملة معبرا بكل وضوح بقدر تعلق الامر بالجمل التعجبية، وسنناقش ماهية مكون اللاقضية في معنى الجملة الامرية فيما بعد، كما سنناقش المكون اللاقضية للجمل الاستفهامية. اما الان فنكتفي بالقول ان الجمل الاستفهامية والجمل الامرية تعبر نحويا عن استخدامها المميز في طرح الاسئلة واصدار الاوامر والرجاء والتوسل، وما شاكلها، مثلما تعبر نحويا الجمل الخبرية عن استخدامها المميز في الادلاء بالخبر

هناك تشابه بنيوي في اللغة الانكليزية ولغات عديدة اخرى بين الجمل التعجبية والعبارات الاستفهامية الثانوية فعلى سبيل المثال للجملة التالية :

How tall he is «ما اطوله !»

بنية مماثلة ظاهريا في اقل تقدير، لبنية العبارة الثانوية في الجملة التالية :

Iwonder how tall he is «اتساءل عن طوله»

على ان هناك فرقاً واضحاً، من ناحية وظيفية، بين الجمل التعجبية من قبيل «ما أطوله» وبين الجمل الاستفهامية، ويمكن في الواقع رؤية الجمل التعجبية من هذا النوع على احسن وجه من زاوية دلالية، واعتبارها فرعا من فروع الجمل الخبرية المعبرة حيث يكون فيها الجزء اللاقضية الذي يميز معنى «ما أطوله» عن معنى «هو طويل جدا» قد عبر عنه نحويا نطقا لا تعبيرا، وذلك بواسطة كفاف عروضي خاص. وبما ان هذا الجزء اللا قضية قد عبر عنه نحويا، ولانه ذو صلة متبادلة مع القيود المنتظمة للا ستقطاب ومع استخدام الافعال الشرطية وما الى ذلك، فان النحويين يعتبرون، على صواب «ما اطوله» انموذجا لنوع متميز من الجمل، ومن

المهم بطبيعة الحال ان لا نخلط بين الجمل التعجبية والتعجب، ويمكن نطق الجمل بانواعها كافة بذلك التغيير الصوتي المعبر الخاص الذي يتم التعبير عنه بواسطة النبر والتنغيم في اللغة المحكية، كما يعبر عنه بواسطة علامة التعجب في اللغة المدونة. ان التعجب يختلف كل الاختلاف عن الادلاء بالبيانات او اصدار الاوامر او طرح الاسئلة .

لايمكن وضع الجمل الامرية في توافق مع الجمل الخبرية بالسهولة التي توضع فيها الجمل الاستفهامية من النوع الذي تمثله «هل الباب مفتوح؟»، في توافق مع الجمل الخبرية، والسبب في هذا ان الصيغة ليست مستقلة عن الزمن اللغوي ففي الوقت الذي يمكن فيه ان نقول ان «هل الباب مفتوح؟» لها ذات محتوى القضية الذي تحتويه «الباب مفتوح» فانه ليس واضحا هل لـ «افتح الباب» ذات محتوى القضية الذي تحتويه الجملة الخبرية «انت تفتح الباب» بشرط (أ) ان يعتبر الزمن اللغوي جزءً من محتوى القضية للجملة و(ب) ان يُعطى الزمن اللغوي «انت تفتح الباب» تفسيره الاعتيادي كاملا وبقدر تعلق الامر بالشرط (ب) ينبغي ملاحظة ان الفعل «يفتح» لا يدخل ضمن الافعال التي تستخدم عادة في الزمن المضارع البسيط مع دلالة الزمن الحاضر. وهذا شأن معظم الافعال في اللغة الانكليزية. وفضلا عن ذلك ـ يمكن ان نقول من ناحية دلالية ان الاشارة الزمنية للطلب او الامر الصادر عن نطق «افتح الباب» تقع ضمن فعل الطلب او الامر، بحيث تصبح الجملة نفسها بلا زمن معين. وعلى اية حال، ليس هناك من شك في ان الصيغة والزمن يعتمد كل منهما على الاخر في اللغات كافة التي تحتوي على كليهما. اما الصيغة التي يكون عملها عادة، ان لم نقل دائما، سيتصل بالقضية، فهي اكثر شيوعا بكثير في لغات العالم من الزمن اللغوي، فقلة من اللغات فقط تستخدم الزمن اللغوي. وان العديد من وظائف الزمن اللغوي في تلك اللغات التي يستخدم فيها هذا الزمن هي حتما وظائف

لا تتصل بالقضية، ساعود الى مناقشة هذه النقطة في الفصل الرابع .

يعتبر الشرط (أ) اكثر اهمية وموضع جدل كبير. ان كل ما ينبغي قوله هنا، من وجهة نظر علم المنطق الكلاسيكي، هو ان القضايا اما ان تكون صادقة او ان تكون خاطئة منذ الازل، وعليه فهي لا زمن لها بموجب طبيعتها. وعندما نعتبر القضايا على انها امور تخص افعالا ذهنية او مواقف ذهنية، من ناحية، او عندما نعاملها على انها افعال كلامية مستخدمة للتأكيد او الانكار من ناحية اخرى، فاننا نكون ميالين لادخال الزمن في القضايا نفسها تاركين اياها حتى اللحظة التي ينجز فيها الفعل الذهني او الفعل الكلامي . وليس بامكاننا ان نناقش التقريب بين هاتين الفكرتين المختلفتين عن القضايا في هذا الكتاب، على انه ينبغي ملاحظة ان علماء اللغة، وكذلك علماء المنطق، كثيرا ما يهملون هذه المشكلة في معالجاتهم العامة لموضوع الزمن .

ان علم منطق الزمن اللغوي القياسي، كما يدعى، غير ملائم لتحليل الزمن اللغوي لانه لا ينطبق الا على اللغات الطبيعية التي لها زمن الا ان هذه الحقيقة اخذت تثير الاهتمام في الوقت الحاضر، فأخذ علماء المنطق يطورون انظمة اغنى واقوى لعلم منطق الزمن اللغوي الان، ومما لاشك فيه ان تفهمنا للزمن سيتقدم كثيرا خلال السنوات القليلة القادمة .

ان ما قلناه عن الزمن اللغوي ينطبق على العديد من الظواهر اللغوية للغات الطبيعية، فليس صعبا ان نكشف عن عدم ملاءمة المعالجات الحالية للغات الطبيعية ضمن اطار علم منطق القضايا القياسي، وقد كرست الجزء الاوفر من هذا الفصل لهذا الغرض بالذات، وان كان غرضي دائما وابداً بناءا . اننا نتعلم من نظرية غير ملائمة اثباتا ودقيقة صياغة اكثر مما نتعلمه من نظرية غامضة التعبير لدرجة اننا لا نستطيع كشف عدم ملاءمتها، ولنتذكر هذه النقطة عندما ننتقل الى دراسة بعض

المؤلفات الحديثة في علم الدلالة الشكلي .

الخلاصة

لقد تبين لنا في هذا الفصل ان هناك بضعة نواح في معنى الجملة لا يمكن صياغتها صياغة شكلية مقبولة ضمن اطار علم منطق القضايا القياسي ، منها معنى الصدارة ومساهمة العطف الثانوي والعطف التناسقي او ادوات الربط في تحديد معنى الجمل المعقدة والجمل المركبة ، وانواع النفي المختلفة ، ومعنى الجمل غير الخبرية من حيث نمطها والجمل غير التقريرية من حيث صيغتها . وفي الوقت ذاته لم نجد مبررا لان ننكر ان جزءا مهما من المعنى الوصفي للجمل ـ محتواها الخاص بالقضايا ـ يمكن تحليله عن طريق استخدام وسائل ومفاهيم علم المنطق الحديث .



الجزء الرابع

ما وراء الجمل :

الوحدات الكلامية والنصوص



الفصل السابع
نماذج من صنع الانسان
اضفاء الصفة الشكلية على معنى الجملة

«العالم مجمل حقائق وليس مجمل اشياء»

لودفك وتكنشتاين : تراكتاتس (الرسالة)

لهذا الفصل علاقة وثيقة بالفصل السابق، وهو يلقي النظر على نظريتين في معنى الجملة لهما اهمية بالغة من وجهة نظر علم الدلالة الشكلي .

النظرية الاولى نظرية المعنى لـ كاتز وفودور katz — fodor التي ارتبطت في نشاتها مع نظرية جومسكي chomsky المعروفة بالنحو التحويلي ـ التوليدي . اما النظرية الثانية فهي صورة خاصة من صور علم دلالة العوالم المحتملة التي جاء بها لاول مرة رجارد مونتاك Richard Montague في اواخر الستينات من هذا القرن، وقد حضيت هذه النظرية باعتراف واسع النطاق باعتبارها النظرية الاكثر تفاؤلا بالنسبة للمهمة الشاقة حقا الا وهي مهمة وصف محتوى القضية للجمل باسلوب رياضي محكم وانيق

ان معالجة هاتين النظرتين انتقائيةتماما. وتكاد تخلو تماما من التقنيــة، فلقد انصب جل اهتمامي على شرح بعض المفاهيم الاساسية اكثر من اهتمامي في تقديم اية نظرية شكلية .

علم الدلالة الشكلي

يمكن اعطاء المصطلح «علم الدلالة الشكلي» تفسيرات عديدة، فقد كان يعني اصلا «التحليل الدلالي للانظمة الشكلية» والنظام الشكلي او اللغة الشكلية هي التي انشأها عن قصد علماء المنطق وعلماء العقل الالكتروني وغيرهم من العلماء، لاغراض فلسفية او عملية. وقد إستخدم هذا المصطلح في الفترة الاخيرة لتحليل المعنى في اللغات الطبيعية، وصاحبه عادة عدد من القيود الصريحة او الضمنية وهو يستند الى اصوله الفلسفية والمنطقية.

ان علم الدلالة الشكلي بشكل خاص يرتبط عادة بنظرة ضيقة لمعنى الجملة مفادها ان معنى الجملة ما هو الا محتواها للقضية، وكما شاهدنا في الفصل السادس، هناك انواع مختلفة من المعنى تنسب الى الجمل على نحو معقول، الا انها لايمكن وصفها بسهولة بمقتضى محتواها للقضية. ويواجه عالم الدلالة الشكلي ردَين للفعل في وجه صعوبات كهذه. أولهما القول ان ما حددته على انه جزء من اجزاء معنى الجملة هو في الحقيقة نتاج لشيء اخر؛ كأن يكون افتراضات وتوقعات سياقية معينة، او معرفة غير لغوية او استدلال المحادثة، وماشاكلها. اما رد الفعل الثاني فهو ان نسلم بأنه جزء من اجزاء معنى الجملة وان نحاول ان نهيء وصفا للظواهر مبنيا على شروط الصدق كما فعل بعض علماء المنطق دون تحقيق اي نجاح يذكر حتى الان بقدر تعلق الامر بالزمن اللغوي والصيغة ونمط الجملة .

ينبغي التأكيد ان فشل علم الدلالة الشكلي حتى الوقت الحاضر في وصف ظواهر مثل الزمن اللغوي وصيغته ونمط الجملة على نحو مرضٍ لا يجرد المحاولات المبذولة لمعالجة هذه الظواهر من الفوائد النظرية كافة، وان فشل الوصف الدقيق، وان كان غير ملائم، غالبا ما يؤدي الى بناء النظرية لذات الظواهر دقيقة ومماثلة وأكثر شمولا، وحتى عندما لايحدث هذا، فان الفشل قد يلقي بعض الضوء على نحو مائل

او منعكس على المعطيات التي لا ينيرها كليا، ويمكننا ان نذكر أمثلة عديدة مع هذا، ولنأخذ مثالا واحدا فقط: لم يقُدمَ حتى الان شرح كامل ومرض لمعنى some بعض و any اي (ومشتقاتها: some one شخص ما و anyone اي شخص و some thing شيء ما و anything اي شيء، وغيرها) ضمن اطار علم الدلالةالشكلي، ومع ذلك فان تفهمنا لدى العوامل الكامنة الوثيقة الصلة التي تحدد اختيارنا واحدة منها دون الاخريات قد ازداد على نحو ملحوظ بفضل المحاولات العديدة المبذولة لمعالجة المعطيات حسب شروط الصدق. ان اي شخص يشك في هذا الامر مدعو لان يقارن معالجة some بعض و any اي في كتب القواعد الانكليزية التعليمية القديمة بالمعالجة ذاتها الواردة في كتب القواعد الانكليزية التعليمية الحديثة، ناهيك عن المقالات العلمية عن الموضوع ذاته، فسرعان ما سيكتشف الفرق واضحا.

ان الجزء القادم هو شرح مبسط عن قصد لبعض المفاهيم الرئيسة عن علم الدلالة الشكلي، وهي ذات صلة وثيقة ومثبتة بالنسبة لتحليل محتوى القضية للجمل، ولضيق المجال اجد نفسي مضطرا لان اكون انتقائيا واكثر تلميحا واصدارا احيانا مما ارغب ان اكون عليه، اما التلميحات فهي لفائدة اولئك الذين لديهم بعض المعرفة المسبقة بعلم اللغة أما الأصرار فسيتضح لأولئك الذين يخالفونني في الرأي، ولن آخذ بنظر الاعتبار اي شيء سوى ذلك الجزء من محتوى القضية للجمل الانكليزية الذي لا يثير اي جدل.

التكوينية

مرّ ذكر مبدأ التكوينية في الكلام عن معنى الكلمات ومعنى العبارات، وهي توصف عموما بمبدأ (فراغه) Frege، واكثر ما يرد ذكرها للاشارة الى معنى الجملة. ولهذا السبب اجلت مناقشتها بالتفصيل حتى هذا الفصل. انها تحتل موقعا مركزيا بالنسبة لعلم الدلالة الشكلي في ادوار تطوره كافة، وهي تصاغ عادة على النحو التالي

(بشرط ان تعوض «مؤلف» عن «معقد» او «مركب») : ان معنى اي تعبير مؤلف هو دالة معاني التعابير المكونة له، ويجدر بنا هنا ان نوجه اهتمامنا الى ثلاثة من هـذه المصطلحات وهي : «معنى» و «تعبير» و «وظيفة»، ساتحدث عن كل منها بالتناوب، وبعد ذلك ابين اهمية مبدأ التكوينية

يمكن اعطاء المعنى تفسيرات متنوعة، كما شاهدنا ذلك سابقا، فاذا حددناه بالمعنى الوصفي او محتوى القضية فسيمكننا مع ذلك ان نميز بـين المعنى والدلالـة (راجع الفصل الثالث) ، اما التمييز الخاص الذي جاء به فراغه بين المعنى والاشارة (وعبر عنه اصلا في اللغة الالمانية بواسطة المصطلحين sinnو Bedeutung فهو مشابه تقريبا لهذا التمييز، وهو مقبول بشكل عام، ان لم نقل تفصيلا، لدى معظم علماء الدلالة الشكليين، وساناقش مبدأ التكوينية بقدر مايصح على المعنى قبل كل شيء .

عندما يستخدم علماء اللغة المصطلح «تعبير» فانهم يتركونه دون تعريف، الا انه يعامل عادة على انه يضم الجمل وكل مكوناتها النحوية المحددة. وقد قدمت سابقا بعض الاسباب الموجبة للتمييز بين التعابـير والصيغ بقـدر تعلق الامر بـالكلمات والعبارات . ولاجل تحقيق البساطة في الشرح سأضع الجمل ضمن تعابير اللغة. واهم من هذا سافترض ان هناك جزءا ثانويا محددا لكل جملة يحمل محتوى القضية لتلك الجملة وهذا ايضا تعبير ينطبق عليه مبدأ التكوينية .

يستخدم المصطلح «دالة» في معناه الرياضي للاشارة الى قاعدة او صيغة او عملية يتم بموجبها تخصيص قيمة مفردة لكل عضو في مجموع الكيانات التي تقـع ضمن **نطاقها** (وهكذا فهي تشكل توافقا اما غير متباين او متباين بين اعضاء النطاق D وبين مجموعة القيم V: اي انها تطبق D اما ضمن V او تضيفه اليه) . فمثلا هناك دالة حسابية تكتب عادة ك $Y = X^2$ (س^2 = ص) تنتج بموجبها قيمة عددية معينة واحدة لـ X^2 لكل قيمة عددية X وعلى نحو مماثل في التفاضل والتكامل للقضايا دالة لكل متغير

من تغيرات القضية في كل تعبير صحيح الصياغة تضع ذلك التعبير ضمن نطاق ثنائي العضوية [صادق ـ كاذب] وكما شاهدنا، هذا هو المقصود بالقول ان القضايا المؤلفة هي دالة الصدق، ولقد وضحت هذا بشيء من التفصيل، كما قدمت عن قصد وبشيء من الاسهاب العديد من المصطلحات التقنية التي تستخدم عادة في علم الدلالة الشكلي، إننا نتقدم بخطى مرسومة نحو نقطة لن نحجم عندها اذا ما اخبرنا ان معنى تعبير ما او مفهومه هو دالته من العوالم المحتملة الى المدلولات، ولن نقحم انفسنا في التفاصيل التقنية لعلم الدلالة الشكلي ، الا ان الكمية المحددة من المصطلحات التي قدمناها ستكون ذات فائدة لنا فيما بعد، وستتوفر للقراء الذين لديهم معرفة اولية بنظرية المجموعات بعض الدلالة عن الاطار الرياضي الذي يعمل ضمنه علم الدلالة الشكلي

ولكن، ما العلاقة بين ما ذكر اعلاه وبين التحليل الدلالي لتعابير اللغة الطبيعية ؟

ينبغي اولا وقبل كل شيء ملاحظة ان مستخدمي اللغة الاكفاء يمكنهم ان يفسروا عددا كبيرا جدا من التعابير المؤلفة في تلك اللغة . وطالما يستحيل على المرء ان يكون قد تعلم معنى كل تعبير مؤلف بالطريقة التي يفترض انه يتعلم بواسطتها معنى الوحدات المعجمية فانه ينبغي ان تكون هناك دالة تحدد معنى التعابير المؤلفة على اساس معنى الوحدات المعجمية .

ثانيا، من المعقول ان نفترض ان معنى تعتبر مؤلف هو دالة معنى وحداته المعجمية المكونة فضلا على دالة البنية النحوية . ولقد كان هذا افتراضنا طوال البحث، ويمكن اخضاعه للاختبار التجريبي في عدد ملائم من الامثلة لكي نتقبل صلاحيته. ان ما نصبو اليه لانموذج، نصبو الى ايجاد منهج متقن الصياغة للتركيب النحوي لكل التعابير المؤلفة سليمة التركيب معجميا في اللغة، مصحوب بنهج آخر لتمديد الاثر

الدلالي، ان وجد، لكل عملية او مرحلة من مراحل التكوين النحوي، وهذا ما يصبو علم الدلالة الشكلي الى توفيره.

ان علم الدلالة الشكلي، بحد ذاته، لا يلتزم باية نظرية معينة في النحو، كما انه لا يعطي اي تنبؤ عن تقارب التوافق بين البنية النحوية والدلالية في اللغات الطبيعية، وهناك مدى واسع من الخيارات حوز كل من هذه الموضوعات وسأتناول فقط اثنتين من الطرق المعروفة الخاصة بمعالجة مشكلة تحديد الدالة التكوينية مهما كان مفادها، والتي تخصص معنى للتعابير المؤلفة معجميا في اللغات الطبيعية، كما انني سأفعل هذا على مستوى عام جدا، وسأحدد معالجتي بما يمكن اعتباره مسألة محتوى القضية. وهاتان الطريقتان هما النحو التحويلي لجومسكي من ناحية، ونحو مونتاك من ناحية اخرى.

نظرية كاتز و فودور

ان ما سأشير اليه بنظرية كاتز و فودور في معنى الجملة لا يعتبر عموما نظرية لعلم الدلالة الشكلي - غير اني سأعتبرها كذلك. بدأت هذه النظرية ببحث قدمه جي جي كاتز وجي اي فودور بعنوان «بنية نظرية الدلالة» ونشر لاول مرة في عام **١٩٦٣**، ومنذ ذلك الحين اجريت تعديلات على النظرية نفسها بطرق مختلفة، اهمها التعديل الذي اجراه كاتز والذي ادى الى ظهور عدد من البدائل لن اناقشها، وفي الواقع لن اقوم حتى بمحاولة اعطاء شرح مفصل عن نظرية كاتز و فودور في اي شكل من اشكالها، انما ساركز اهتمامي على شيئين هما **قواعد الاسقاط** **وقيود الاختيار**

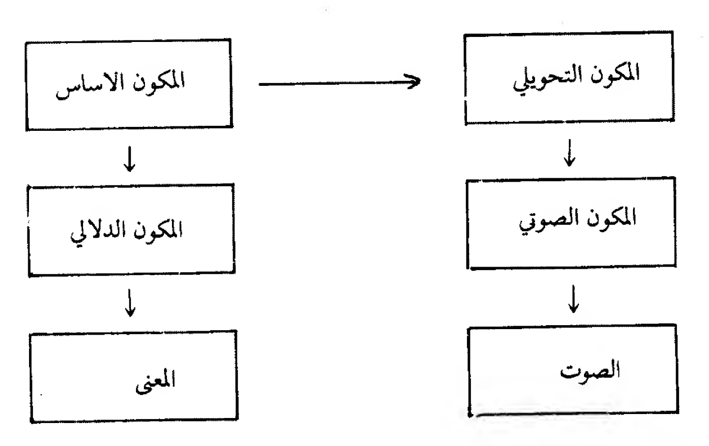
لقد صيغت نظرية كاتز و فودور ضمن اطار النحو التوليدي لجومسكي، وهي تعتبر اول نظرية من هذا النوع تقترح في علم الدلالة، وقد قامت بدور مهم في تطوير ما يسمى **بالنظرية القياسية** للنحو التحويلي التي قدم جومسكي خطوطها العريضه في كتابه **اوجه نظرية النحو** (١٩٦٥)، ولو القينا نظرة اكثر شمولية على نظرية كاتز و

فودور لوجدنا انها اول محاولة لغوية متطورة تقيم وزنا لمبدأ التكوينية . لقد اكد النحويون التقليديون ولقرون عديدة على الاعتماد المتبادل بين النحو والدلالة، واشار العديد منهم الى ان معنى الجملة يتحدد بواسطة معنى الكلمات التي تكونها، من ناحية، وبتركيبها النحوي من ناحية اخرى، الا انهم لم ينشدوا الدقة في توضيح هذه المسألة فيما يتعلق الامر بنظرية توليدية في النحو لسبب بسيط الا وهو ان النحو التوليدي ظهر الى الوجود في وقت متأخر جدا .

من اجل تحقيق البساطة في الشرح، ساناقش نظرية كاتز و فودور في صيغتها التي تعتبر اليوم كلاسيكية، وليس في صيغتها الاصلية، وقد قدمت خلال الفترة التي تلت مباشرة نشر كتاب جومسكي **اوجه نظرية النحو**، والنتيجة الرئيسة بقدر تعلق الامر بالهدف العام من كتابة هذا الكتاب هي اني ساسلم جدلا بمفهوم خاص **للبنية العميقة** التي تخلى عنها الان علماء اللغة كافة تقريبا . بما فيهم جومسكي . ان الجدل الدائر الى جانب المفهوم الكلاسيكي للبنية العميقة او ضده مهم ومفيد، الا انني لن ادخل في نقاش هذا الامر، كما انني، لن ادخل في تفاصيل تقنية لا لزوم لها . ان فائدة العمل وفق المفهوم الكلاسيكي للبنية العميقة في كتاب من هذا النوع ترجع الى ان المفهوم هذا مألوف لدى غير المختصين اكثر من اي بديل من البدائل الاخرى. وكل ما ينبغي قوله عن قواعد الاسقاط وقيود الاختيار لا يتأثر ماديا بتبني نظرة معينة للبنية العميقة دون سواها، او في الواقع بالتخلي التام عن مفهوم البنية العميقة .

لكل جملة وفق النظرية التحويلية القياسية مستويان من البنية النحوية مرتبطان مع بعضها البعض بواسطة قواعد خاصة تسمى بالتحويلات. وهاتان البنيتان هما البنية العميقة والبنية السطحية، وتختلف هاتان البنيتان من حيث الشكل، اذ يتم توليدهما بقواعد مختلفة. ان النقطة الجوهرية بالنسبة لتحقيق اهدافنا هي ان البنية العميقة ذات علاقة اوثق بمعنى الجملة من علاقة البنية السطحية به اما البنية

السطحية فلها علاقة اوثق بالطريقة التي يتم بموجبها نطق الجملة (وسنرى في الفصل التاسع ان عملية نطق الجمل، على نحو مدون او منطوق، اكثر تعقيدا مما قد تفترضه هذه الصيغة اللا تقنية المتعمدة للعلاقة بين البنية السطحية والنطق). واذا اسقطنا كل شيء عدا الامور الجوهرية المحددة امكننا ان نمثل العلاقة القائمة بين النحو والدلالة والنظام الصوتي على نحو تخطيطي على الوجه المبين في الشكل ٣ (قارن لاينز Lyons، ١٩٧٧ : ٧٩) :



الشكل ٣ : النظرية القياسية للنحو التحويلي. ان البنية العميقة للجملة هي نتاج المكون الاساس والمغذي لكل من المكون التحويلي والمكون الدلالي، امام البنية السطحية فهي نتاج المكون التحويلي والمغذي للمكون الصوتي.

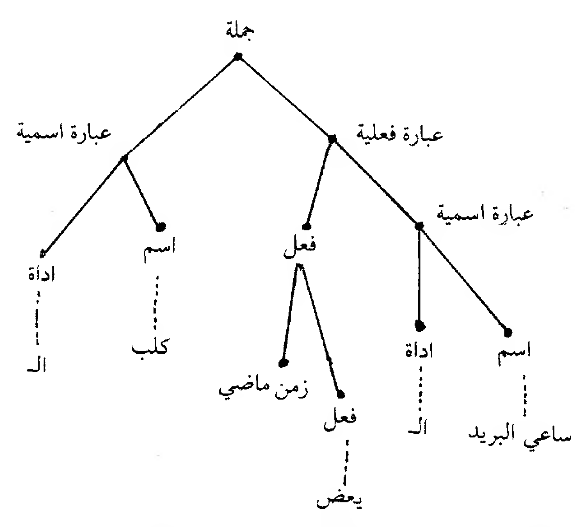
يمكننا ان نرى في هذا المخطط ان النحو (في اوسع معانيه) يتكون من اربع مجموعات من القواعد التي تربط الصوت بالمعنى من خلال عملها كنظام متكامل، فالمكون الاساس، كما ينبغي ملاحظته، يحتوى على القواعد اللاتحويلية لنحو اللغة

المعنية فضلا على انه يحتوي على (لكسيكونها) او معجمها. فأما (اللكسيكون) فهو يوفر لكل وحدة معجمية في اللغة كل المعلومات النحوية والدلالية والصوتية الضرورية لتمييزها عن باقي الوحدات المعجمية، ولشرح استخدامها في جمل سليمة التركيب. وبعدها يولد المكون الاساس مجموعة من البنى العميقة، ويحوك المكون التحويلي كلا من هذه البنى العميقة الى بنية سطحية واحدة او اكثر.

لقد قلت ان البنية العميقة اوثق علاقة بالمعنى، بينما تكون البنية السطحية اوثق علاقة بالتلفظ، ويوضح الشكل ٣ هذه النقطة بواسطة الاسهم التي تربط مكونات النحو المتعددة. ان المكون الاساس يهيىء المعلومات كافة التي يحتاجها المكون الدلالي، وعليه فهي موجودة في البنية العميقة للجمل، اما المعلومات كافة التي يحتاج اليها المكون الصوتي فهي موجودة في البنية السطحية، والناتجة عن تطبيق القواعد النحوية، وبقدر تعلق الامر بالعلاقة القائمة بين النحو الدلالي، يوضح الشكل ٣ المبدأ المشهور القائل ان القواعد التحويلية لا تؤثر في المعنى، ويلاحظ انه ليس هناك سهم خارج من المكون التحويلي باتجاه المكون الدلالي

ان المبدأ الوارد ذكره اعلاه جذاب بديهيا اذا فسرنا «المعنى» على انه «محتوى القضية»، فهو يفيد ان اية جملتين او اكثر مشتركتين في بنية عميقة واحدة سيكون لها معنى واحد بالضرورة فعلى سبيل المثال غالبا ما تحلل جملة المبني للمعلوم «عضَّ الكلبُ ساعي البريد» وجملة المبني للمجهول المقابلة لها «عُضّ ساعي البريد من قبل الكلب» على انهما تحملان ذات البنية العميقة (الصيغة المبسطة في الشكل ٤ توضح هذه النقطة) مثل هذه الجمل اكثرها متكافئة في شروط الصدق، لذا لها محتوى واحد للقضية ولاسباب نحوية ليست بذات اهمية لنا هنا، يصادف ان تعطي البنية العميقة ذاتها حسب النظرية القياسية الى مجموعات من الجمل مثل «لم اقرأ هذا الكتاب» و «هذا الكتاب لم اقرأه» وهلم جرا، بينما لا ينطبق هذا على جمل المبني للمعلوم وجمل

المبني للمجهول المقابلة لها، ولكن هذه الحقيقة ليست ذات صلة في سياق الشرح الحالي. وكذلك هو الحال بخصوص الحقيقة القائلة ان قسطا كبيرا من المناقشة التي يقدمها علماء اللغة بخصوص العلاقة بين علم النحو وعلم الدلالة شوهها، وحتى فترة قصيرة، الاخفاق الحاصل في التمييز بين محتوى القضية وبين الانواع الاخرى من معنى الجملة .



الشكل ٤ : صورة مبسطة للبنية العميقة لـ عض الكلب ساعي البريد » و « عُضّ ساعي البريد من قبل الكلب »

المهم ان لبعض الجمل البنية العميقة ذاتها ، بالرغم من انها قد تختلف بشكل يلفت النظر تماما في بنيتها السطحية . ان الجمل من هذا القبيل كافة ينبغي اظهارها على انها تتضمن محتوى القضية ذاته، ويتحقق هذا كله بكل بساطة واتقان عن طريق وضع نظرية للنحو على نحو تنطبق فيه قواعد الكون الدلالي على البنية العميقة فقط

تسمى قواعد المكون الدلالي في نظرية كاتز و فودور عادة **بقواعد الاسقاط**، ولهذه القواعد هدفان (١) انها تميز بين الجمل ذات المعنى وبين الجمل التي لا معنى لها، (٢) تخصص لكل جملة ذات معنى او لكل جملة سليمة التركيب دلاليا مواصفات شكلية لمعناها او معانيها. وسوف اناقش هاتين الناحيتين كلا على انفراد

لقد شاهدنا قبل الان ان التمييز بين الجمل ذات المعنى وبين الجمل التي لا معنى لها ليس واضحا كما يبدو لاول وهلة (الفصل الرابع)، ولقد بينت ان النحويين التوليديين كانوا يميلون في السابق الى اتخاذ موقف ضيق صارم من القبول الدلالي للجمل. وينصب اهتمامنا في هذا القسم على صياغة عدم القبول الدلالي صياغة شكلية، مفترضين وجود هذه الظاهرة، بالرغم من انها قد لا تكون واسعة الانتشار كما يعتقد انها عادة .

ان الآلية التي يستخدمها كاتز و فودور لمعالجة مفهوم عدم القبول هي آلية **قيود الاختيار**، وهذه القيود مرتبطة بوحدات معجمية معينة، ولهذا فهي تدرج في (أللكسيكون) على هيئة ما يمكن اعتباره قيودا معجمية، وتخبرنا قيود الاختيار هذه في الواقع ايا من مثاني الوحدات المعجمية يمكن ارتباطها مع بعضها البعض في تراكيب نحوية مختلفة، فعلى سبيل المثال، قد تخبرنا هذه القيود ان الصفة buxom في الانكليزية ممتلئة الجسم ، يمكنها ان تصف اسماء مثل «بنت» و «امرأة» و «صبية» وما شابهها، الا ان هذا لا تصف اسماء مثل «ولد» و «رجل» و «صبي» وما شابهها ، و ان الفعل «ينام» فاعله اسم مثل «ولد» و «بنت» و «قطة» وماشابهها، ولا يكون فاعله اسما مثل «فكرة» او «رباعية» وهلم جرا، واذا حصلت مخالفة لقيود الاختيار تعطلت قواعد الاسقاط عن العمل، ونتيجة لذلك سوف تخفق في تخصيص مواصفات المعنى الشكلية للجمل الشاذة دلاليا، وهكذا تجرد الجملة من معناها وتعطي اشارة عن طبيعة الشذوذ (على شرط ان تبقى هذه المعلومات محفوظة في الناتج)

هناك مهمة اخرى لقيود الاختيار عندما تعمل بالاشتراك مع قواعد الاسقاط،

وهي انها تعيق تفسيرات معينة باعتبارها شاذة دلاليا، بينما تأخذ بتفسيرات اخرى للعبارات والجمل ذاتها باعتبارها مقبولة دلاليا، فعلى سبيل المثال تكون housewife، غامضة اي لها اكثر من معنى واحد، فهي تشير بموجب احد معانيها housewife الى امرأة تقوم بالواجبات البيتية (ربة بيت)، بينما تشير بموجب معنى اخرى housewife الى علبة الخياطة الصغيرة، ويكون للعديد من العبارات التي تستخدم فيها housewife موصوفة بصفة (مثلا beautiful housewife good houswife وهلم جرا) اكثر من معنى واحد بالمقابل ، الا ان استخدام buxom ممتلئة الجسم مع housewife - ربة بيت ممتلئة الجسم ، لن تحمل اكثر من معنى واحد افتراضا، لان $housewife_2$ خلافا لـ $housewife_1$ لايمكنها ان ترتبط بـ «ممتلئة الجسم» وعليه تميل قيود الاختيار عموما الى تقليل عدد التفسيرات المنسوبة للتعابير المعجمية المؤلفة. ان الفشل الحاصل في تخصيص اي تفسير للجملة مهما كان نوعه والذي اشرنا اليه في الفقرة السابقة يعتبر في الواقع عائقا لهذه العملية، فالقواعد تختار من بين معاني التعبير فقط تلك المعاني التي تنسجم مع سياق الجملة الداخلي الذي تظهر فيه .

لقد صيغت نظرية كاتز و فودور لمعنى الجملة ضمن اطار تحليل المكونات (راجع الفصل الرابع)، فعلى سبيل المثال، بدلا من ادراج كل الوحدات المعجمية التي يستطيع قيد «ممتلئة الجسم» ان يرتبط بها او تلك الوحدات المعجمية التي لاتستطيع ان يرتبط بها، تقوم النظرية بتجديد تلك الوحدات بواسطة مكون واحد او اكثر من مكونات معناها، وقد تشير النظرية (عن طريق استخدام رموز مناسبة) الى ان «ممتلئة الجسم» لا يمكنها ان ترتبط في تعابير سليمة التركيب دلاليا باي اسم لا يحمل مكوني المعنى **بشري** و **مؤنث** كجزء من معناها. وقد شاهدنا ان تحليل المكونات يواجه عقبات جسيمة جدا اذا ما اريد له ان ينطبق على ماوراء معنى التعابير الانموذجي الاصلي او البؤري، لهذا السبب تعتبر معظم الامثلة التي يستخدمها علماء

اللغة في الكتب المنهجية لتوضيح عمل قيود الاختيار التي جاءت بها نظرية كاتز و فودور مشكوكا في امرها من ناحية تجريبية ، ولكني لست مهتما في هذه المرحلة بصلاحية تحليل المكونات ، كما اني لا ارغب ان اتناول ثانية مشكلة التمييز بين التناقض والشذوذ الدلالي ، بل اريد ان اشرح فقط ما هي قيود الاختيار وكيف تصاغ صياغة شكلية بموجب نظرية كاتز و فودور .

من المناسب ان اذكر هنا شيئا ما عن فكرة تنافر الفصيلة التي ورد ذكرها في نهاية الفصل الخامس ، من غير نقاش . المقصود بالمصطلح **تنافر الفصيلة** (الذي ابتكرته بنفسي لعدم توفر اي بديل معروف مناسب له) الاشارة الى نوع خاص من التعارض الدلالي الذي له صلة وثيقة بعدم القبول النحوي ، خاصة عدم القبول للبنية النحوي و يمكن ان نقدم هذا التعارض عن طريق المثالين التاليين :

«عاش صديقي قرية جديدة بكاملها»

«ارغب صديقي انها كانت تمطر »

يمكننا ان نقول انه على الرغم من انني اعتبرت هذين التعبيرين جملتين الا ان كلا منهما غير مستقيم التركيب نحويا ودلاليا ، ويمكن تفسير عدم استقامته النحوية بسهولة وذلك بالقول ان الفعل «عاش» فعل لازم (وعليه فهو لا يمكنه ان يأخذ معفولا به) ، كما ان الفعل «يرُغِب» خلافا لـ «يفكر» و «يقول» وما شابهها لا يستخدم مع عبارة - ان that claus'e كمفعول به له (لقد تناول جومسكي مثل هذه الامثلة في كتابه **اوجه نظرية النحو** بموجب ما يسميه بالتصنيف الفرعي) ، اما كون الجملتين لا معنى لهما - اي ليس لهما محتوى قضية - فيمكن شرحه بالقول ان هناك شيئا ما ضمن معنى (عاش) يجعله غير قادر على ان يأخذ مفعولا به وان هناك شيئا ما في معنى «يرُغِب» يجعله غير قادر على ان ياخذ مفعولا به على هيئة تعبير يشير الى كيانات مجردة كالحقائق او القضايا . ولكن اي هذين الشرحين صحيح اذا فرضنا ان احدهما صحيح ؟

ان صياغة هذا السؤال غير صحيحة، اذ انه يضع افتراضات لا مبرر لها حول امكان الفصل بين النحو والدلالة، كما انه يميل الى صرف انتباه علماء اللغة عن حقيقة وجود صلة وثيقة بين الفصائل النحوية والفصائل الدلالية، والعلاقة المتبادلة الوثيقة، وان لم تكن كاملة، القائمة بالمقابل بين البنية النحوية والبنية الدلالية للغة. وليس مهما هل نفسر تنافر الفصيلة بالقواعد النحوية للمكون الاساس، او بآلية الاعاقة لقواعد الاسقاط، ومهما كان اسلوب الشرح، المهم هنا ان تميز التفاصيل الشكلية حالات تنافر الفصيلة عن التناقضات من ناحية وعن الامور التي توضح عادة بموجب قيود الاختيار من ناحية اخرى.

فالتناقضات ذات معنى، الا انها خاطئة بالضرورة، اما التعابير ذات الشذوذ المزعوم الناجم عن مخالفة قيود الاختيار فيمكن اعطاؤها في اغلب الاحيان تفسيرا مرضيا تماما، اذا ما كان لدينا استعداد لاجراء بعض التعديلات غير الجذرية تماما على افتراضاتنا حول طبيعة العالم. اما تعابير تنافر الفصيلة فلا معنى لها، ولايمكن تفسيرها بواسطة اجراء تعديلات وجودية طفيفة. وقد يصعب اظهار هذه الحدود فيما يتعلق ببعض امثلة معينة، الا انها واضحة في عدد كبير من الحالات يمكننا معها من اقامة التمييزات نفسها.

ولنعد الان الى قواعد الاسقاط لكاتز وفودور. لقد شاهدنا كيف تميز هذه القواعد الجمل ذات المعنى عن صنف واحد من صنوف الجمل على الاقل التي لا معنى لها، او الجمل التي يعتقد انها لا معنى لها، كما ينبغي لهذه القواعد ان تخصص لكل جملة سليمة التركيب دلاليا مواصفات شكلية لمعناها، او معانيها، وتسمى مواصفات معنى الجملة المماثلة لهذه المواصفات بحالات **التمثيل الدلالي**

استنادا الى ما ذكرناه حتى الان ستكون للجملة حالات تمثيل دلالي متعددة تماما بقدر المعاني التي تحملها الجملة (وننتهي بحالة الجمل التي لا معنى لها، اذ لا

تخصص لها قواعد الاسقاط اي تمثيل دلالي على الاطلاق). ونستنتج ايضا ان الجمل ذات البنية العميقة الواحدة سيكون لها تمثيل دلالي واحد، على ان العكس غير صحيح، اذ بموجب النظرية القياسية للنحو التحويلي التوليدي (بمقارنتها بما يسمى بنظرية علم الدلالة التوليدي، وهي احدى بدائل النظرية القياسية) قد تختلف الجمل في بناها العميقة، ويكون لها مع ذلك، معنى واحد، ويعود السبب في هذا الى وجود تعابير مترادفة بالرغم من تباينها المعجمي (راجع الفصل الثاني)، والى الطريقة التي تعالج فيها مهمة تحديد الوحدات المعجمية بموجب النظرية القياسية. ونكتفي هنا بذكر هذا الامر من غير ان ندخل في تفاصيله .

ولكن ما هي حالات التمثيل الدلالي على وجه الدقة؟ وكيف يتم بناؤها بواسطة قواعد الاسقاط؟ يعتمد هذان السؤالان بطبيعة الحال على بضعهما البعض (بموجب مبدأ التكوينية). فالتمثيل الدلالي عبارة عن مجموعة او مزيج من مكونات المعنى، ولكنه ليس مجرد مجموعة عديمة البنية من هذه المكونات. وكما شاهدنا في الفصل الرابع ليس من الممكن على وجه العموم ان نضفي الصفة الشكلية على معنى وحدات معجمية خاصة باستخدام مصطلحات نظرية المجموعات، كما ان المسألة اكثر وضوحا حيث لا يمكن اضفاء الصفة الشكلية على معنى الجملة بهذه الطريقة. فاذا كان التمثيل الدلالي ليس الا مجموعة من مكونات المعنى (او مؤشرات دلالية، حسب اصطلاح كاتز و فودور) فان اية جملتين تحتويان وحدات معجمية متشابهة تماما سيخصص لهما التمثيل الدلالي ذاته. فعلى سبيل المثال، سيخصص تمثيل دلالي واحد للجملتين «عض الكلب ساعي البريد» و «عض ساعي البريد الكلب» ولعدد غير محدود من مثيلاتها. وهذا خطأ واضح، فالمطلوب اضفاء شيء من الصفة الشكلية على التمثيل الدلالي الذي يحافظ على الفروق النحوية ذات العلاقة الدلالية المباشرة للبنية العميقة .

ولعلنا لا نبتعد عن الصواب اذا قلنا ان السنوات التي اعقبت صدور كتاب «بنية النظرية الدلالية» لكاتز و فودور لم تشهد اي تقدم حقيقي يذكر في هذا المضمار، ولقد تعقدت عملية أضفاء الصفة الشكلية بسبب ادخال وسائل تقنية متنوعة، إلا إنه لم يتم بعد ايجاد حل شامل لمشكلة تحديد العدد الدقيق لقواعد الاسقاط الضرورية وكيفية اختلافها فيما بينها شكليا. ان العملية التي يجري بموجبها دمج معاني الوحدات المعجمية لتكون مركبات نحوية البنية لمكونات المعنى التي تُزعم انها عامة مازالت تقدم في الواقع حسب مصطلحات نظرية المجموعات .

وفي غضون ذلك قام علماء المنطق والفلاسفة بتحدي مفهوم التمثيل الدلالي على اساسين، اولا وقبل كل شيء انهم اشاروا الى ان حالات التمثيل الدلالي حسب رأي كاتز و فودور تستخدم في الواقع لغة شكلية، وان مفردات هذه اللغة (تكتب عادة على شكل حروف كابتل مصغرة كما جاء ذلك في الفصل الرابع) بحاجة الى تفسير، ويمكن الرد على هذا الاعتراض على نحو مقبول نوعما، وذلك بالقول ان اللغة الشكلية هذه هي لغة الفكر العالمية نعرفها جميعا بفضل كوننا كائنات بشرية. اما التحدي الثاني لفكرة التمثيل الدلالي فمصدرها اولئك الذين يدعون ان لا ضرورة لها، اذ يدعون اننا من غيرهم نستطيع ان نقوم بكل ما تقوم به، وذلك عن طريق استخدام قواعد الا ستدلال التي تؤدي عملها بالتعاون مع مصادرات المعنى الدلالي.
قد يكون الوقت مبكرا جدا للتنبؤ بان هذا النهج سيكتب له نجاح اكثر من نجاح نظرية كاتز و فودور مع انه يتحاشى العديد من الصعوبات التجريبية والنظرية المتعلقة بتحليل المكونات. ولقد اعرب العديد من مؤيدي هذا النهج عن انهم يفضلون نحو مونتاك Montague الذي نأتي اليه الان .

نحو مونتاك

ان ما يشار اليه عموما بنحو مونتاك ما هو الا طريقة خاصة لتحليل اللغات

الطبيعية، وقد ابتكرها عالم المنطق الامريكي رجارد مونتاك في اواخر الستينات واوائل السبعينات من هذا القرن وتبناها في السنوات القليلة الماضية عدد متزايد من علماء اللغة، ومعظمهم من المرتدين، ان جاز لنا التعبير، على نظرية النحو التحويلي التوليدي لجومسكي، وهي الان موضع دراسة مكثفة (توفي مونتاك عندما كان في ريعان شبابه عام ١٩٧١)

ان بعض الفروق بين نحو مونتاك ونظرية كاتز وفودور هي مسألة صدفة تاريخية فجذور عمل مونتاك اكثر عمقا وثباتا في علم الدلالة الشكلي من نظرية كاتز و فودور، وان عمله هذا يعبر اهتماما قليلا نسبيا للعديد من المواضيع التي تقف في طليعة اهتمامات عالم اللغة. بل ان النحو حسب رأي مونتاك لا يضم الا جزءً مما تحاول النظرية القياسية للنحو التوليدي تغطيته، فليس هناك اي شيء من عمله ذاته عن التمثيل الصوتي او الصرف. وبصفته عالم منطق فانه قلل من شأن البنية المعقدة لهذين الفرعين من فروع علم اللغة والفائدة النظرية الموجودة منها، اما نظرية كاتز و فودور فهي تثبت مكانها (كما يشير الى ذلك الشكل ٣) ضمن نظرية اكثر شمولا لبنية اللغات، يتساوي فيها علم الدلالة وعلم الصوت في الاهمية ويدرك جيدا علماء اللغة الذين تبنوا نحو مونتاك الحاجة الملحة الى ضم النظام الصوتي وعلم الصرف للنحو و للدلالة على نحو مباشر او غير مباشر.

واهم من ذلك وضع القواعد التحويلية من ناحية، وتحليل المكونات او التحليل المعجمي من ناحية اخرى، اذ لم يستخدم مونتاك نفسه قواعد تحويلية لاسباب ثلاثة وهي اولا تعتبر القواعد النحوية التي استخدمها في ما يمكن اعتباره المكون الاساس لنحوه اكثر قوة من قواعد بنية العبارة لجومسكي، ثانيا، لم يكن مونتاك مهتما بشكل خاص في منع توليد خيوط غير سليمة التركيب من الكلمات طالما يمكن وصفها بانها غير سليمة التركيب بواسطة قواعد التفسير الدلالي. ثالثا، كان

مونتاك يفضل جعل التحليل الدلالي للجمل مقاربا جدا من البنية السطحية، وعليه فلا وجود للبنية العميقة في نظامه الخاص ولو ان هذا ليس متضمنا في نحوه في حد ذاته، ولقد اقترح العديد من علماء اللغة اضافة مكون تحويلي الى نظام مـونتاك. وينبغي في الوقت ذاته ملاحظة ان دور القواعد التحويلية قد انخفض تدريجيا في النحو التحويلي - التوليدي لجومسكي خلال السنوات العشر الماضية او ما يقاربها. فلم يعد موقف مونتاك يبدو غريبا وسيئا بالنسبة لعلماء النحو التوليدي كما كان في وقت من الاوقات.

اما بالنسبة لتحليل المكونات، فيمكن تقديم الملاحظات ذاتها التي ذكرت اعلاه هنا، فنحو مونتاك لا يتعارض من حيث المبدأ مع تحليل المعنى المعجمي الى مكونات المعنى او تحليله الى عـوامله. وفي الواقـع قام بعض علماء اللغـة بتقديم مقترحات لدمج قواعد التحليل المعجمي ضمن الاطار العام لنحو مونتاك، الا انني ذكرت في القسم السابق وفي الفصل الرابع ان تحليل المكونات لايلقي قبولا واسعا لدى علماء اللغة اليوم كما كان عليه الامر في الستينات واوائل السبعينات .

ان النقطة الرئيسة التي اود توضيحها هي ان المقارنة بين النحـو التوليـدي لجومسكي وبين نحو مونتاك معقدة بالنسبة لغير المختص، حيث ان بعض الفروق بينهما تعزى الى ظروف تاريخية محضة ولسوء الحظ فان معظم العروض المقدمة عن مونتاك ذات طبيعة تقنية عالية وان معظم الشروح لنظرية جومسكي التوليدية التقنية منها وغير التقنية لا يمكنها التمييز بين ما هو جوهري بالنسبة لها وبين الفكرة السائدة حاليا او بين الفكرة التي كانت سائدة خلال فترة كتابة هذا الكتاب.

ان نحو مونتاك بطبيعة الحال موضوع ذو تقنية عالية بطبيعته (كما هو الحال بخصوص النحو التوليدي لجومسكي)، ومن الحماقة الاعتقاد انه يمكن احراز اي تفهم حقيقي للتفاصيل مـا لم يكن لدينـا مقدار كبـير من مستلزمات علم منـطق

الرياضي، وعلى اية حال ليست التفاصيل بحد ذاتها ذات اهمية لنا - ولو كان الامر كذلك لاصبحت في حيرة من امري ! ان هدفي هو مجرد تقديم شرح غير تقني لبعض الميزات ذات الاهمية البالغة في نحو مونتاك بقدر علاقتها باضفاء الصفة الشكلية على معنى الجملة .

ان علم دلالة مونتاك - المكون الدلالي لنحو مونتاك - يعتمد كليا على شروط الصدق، وامكانية تطبيقه مقيدة من حيث المبدأ بمحتوى القضية للجمل، ويعتمد حجم هذا القيد، من ناحية عملية، على تقدير المرء للنقاط الوارد ذكرها في الفصل السابق، وقد يلتزم معظم مؤيدي علم دلالة مونتاك بالفكرة التي تفيد ان معنى الجملة باكمله يمكن تفسيره في نهاية الامر حسب محتوى القضية، على ان هناك اقرارا شاملا في ان الجمل غير الخبرية، من ناحية، والجمل غير التقريرية، من ناحية اخرى، هي جمل تحتمل النقاش والجدل من وجهة النظر هذه. ولقد بذلت محاولات لمعالجة هذه الجمل ضمن اطار نحو مونتاك، لن اقول عنها اي شيء هنا، ولا عن ظواهر اخرى ناقشتها في الفصل السابق.

ان علم دلالة مونتاك لايعمل حسب مفهوم الصدق المطلق، خلافا لنظريات معينة اخرى لشروط الصدق، بل حسب مفهوم خاص للصدق النسبي، اي الصدق الذي يخضع لتفسير النظرية الا نموذجية او الصدق الذي يقع ضمن المصطلحات التقنية للنظرية الانموذجية، اي الصدق ضمن انموذج (ولا حاجة لشرحها هنا). وعمل هذه النظرية هو في الواقع اضفاء الصفة الشكلية على التمييز الذي قدمته سابقا بين القضايا ومحتوى القضايا، وهي تفعل هذا عن طريق التمييز بين الما صدق (**المدلول**) و (**المفهوم**) (الوارد ذكرهما في الفصل الثاني) وربط هذا التمييز بالفكرة الخاصة **بالعوالم المحتملة** التي ابتكرها لايبنز (كما شاهدنا ذلك في الفصل الرابع).

لقد استغل التمييز التقليدي بين المدلول والمفهوم بطرق متنوعة في علم المنطق

الحديث وعلم الدلالة الشكلي بحيث اصبح للمصطلح intensional «مفهومي» مدى كبير جدا من الاستعمالات المتداخلة (وينبغي عدم الخلط بينه وبين اللفظة المجانسة له) intentional «متعمد» وساقتصر في حديثي على الاستعمالات التي تهمنا.

تبدأ مناقشتنا بمطابقة تمييز فراغه بين الاشارة Bodeutung والمعنى sinn بالتمييز بين المدلول والمفهوم، ثم نوسع هذا التمييز كما فعل (فراغه)، ليشمل تحليل معنى الجملة، ونستطيع القول ان معنى الجملة او مفهومها يمثل محتوى القضية لها، بينما تمثل اشارتها او مدلولها قيمة صدقها (في مناسبات كلامية خاصة)، ويستغرب معظم الناس في بادىء الامر لأستخدام فراغه للجمل (او القضايا) لتشير الى الصدق او الكذب بدلا من ان تشير الى المواقف التي تصفها، وهذا ما فعله عدد كبير من علماء الدلالة الشكليين، وليس جميعهم، ولهذا الامر فوائد شكلية معينة فيما يخص التكوينية .

اما الخطوة التالية فهي ان نستعين بفكرة العوالم المحتملة يرى لا ينبز، كما شاهدنا ذلك سابقا ان القضايا الصادقة (او الكاذبة) بالضرورة انما هي قضايا صادقة (او كاذبة) في العوالم المحتملة كافة. ولقد استخدم هذه الفكرة على نحو حدسي مقبول في تعريف الترادف الوصفي وعلى النحو التالي: تعتبر التعابير مترادفة وصفيا اذا كان لها المدلول ذاته في العوالم المحتملة كافة. وبما ان التعابير تكون مترادفة وصفيا فقط اذا كان لها ذات المعنى (ولقد اعتبرنا معنى التعابير مطابقا لمفهومها) فانه يترتب على ذلك ان مفهوم تعبير ما يمثل مدلوله في العوالم المحتملة كافة او انه يمثل دالة ما تحدد مدلول في العوالم المحتملة كافة. والبديل الثاني هو البديل المستخدم في نحو مونتاك، اما مفهوم تعبير ما فهو يمثل، على حد قول المؤلف دالة من العوالم المحتملة الى المدلولات، ولكن ماذا يعني هذا ؟

قد يكون من الأسهل ان نتناول المسألة من وجهة نظر نفسية او ادراكية، ولنقل

ان اي عالم هو مجموعة من الكيانات يأتي في مقدمتها ما اسميه بكيانات الدرجة الاولى ـ الكائنات البشرية والحيوانات والاشياء المادية الاخرى؛ الحية منها وغير الحية. وتقع هذه الكيانات في زمان ومكان (اي ان لها مكانا معينا في زمن معين)، كما انها قد ترد في مواقف متنوعة ثابتة او حركية بشكل انفرادي او جماعي. فعلى سبيل المثال قد يقع جون في حب ماري، وقد يعطي بول كتابا الى فيرونيكا، وقد يرعى قطيع في مرعى معين، وما الى ذلك، وبما ان العديد من هذه المواقف حركية، والكيانات اما تختفي عن الوجود او تظهر اليه باستمرار، فان العالم لا يبقى نفسه من لحظةواخرى. ونعبر عن هذه الحقيقة عادة بالقول ان العالم في تحول مستمر من حالة لاخرى، ومن المعقول تماما ان نعتبر هذا التتابع في احوال العالم على انه مجموعة من العوالم التي يحل كل عالم محل الاخر، من خلال مرور الزمن، وان عالما واحدا فقط من هذه العوالم هو العالم الحقيقي في اي وقت من الاوقات، ولكنها كلها عوالم محتملة تحقق بعضها في الماضي، ويتحقق البعض الاخر منها في المستقبل .

توفر كل لغة طبيعية لمن يستخدمها ما يلي : (أ) وسائل لتحديد العالم الواقعي في فترة التحدث وتمييزه عن العوالم الماضية والعوالم المستقبلية، (ب) وسائل الاشارة الى كيانات خاصة ومجموعات من الكيانات في اي عالم تم تشخيصه، والنشر الى اية وسيلة مستخدمة لتحديد العوالم (زمن الفعل، ظروف الزمان، وهلم جرا) **كدليل** للعالم الذي نحن بصدده، وساعود الى هذا الموضوع في الفصل العاشر، اما هنا فاكتفي بان اذكر القارىء بالعلاقة القائمة بين المصطلح «دليل» كما استخدمته توا، وبين المصطلح الدليلية، اما البديل لـ «دليل» في هذا المعنى فهو «نقطة الاشارة» اذ تُحدد العوالم المحتملة من نقطة اشارة معينة.

لو فرضنا انه امكننا تحديد العالم الذي نحن بصدده الان فكيف نعرف ما يشير اليه التعبير المستخدم عن النطق بجملة ما؟ فعلى سبيل المثال، كيف نعرف ما يشير

اليه التعبير، «تلك البقرات» في الجملة «تلك البقرات كورنسية»؟ ان الجواب التقليدي عن هذا السؤال، كما شاهدنا ذلك، هو اننا نعرف فكرة «بقرة» وهي مفهوم «بقرة» الذي يحدد مدلولها. وينبغي ان نكون قاردين على تفسير ضمير الاشارة ذلك، وكذلك تفسير الصنف النحوي الخاص بالجمع، الا انه يمكننا اغفال هذه النقطة الان)، ويتم شرح الافكار في اغلب الاحيان حسب الصور او الانطباعات، كما هو الحال فيما يخص صيغ معينة من النظرية التخيلية للمعنى (راجع الفصل الاول). ولكن يمكننا الان ان نتصور هذه الافكار على نحو اكثر شمولا على انها دوال، اي انها قواعد او عمليات يتم بموجبها تخصيص قيمة فريدة للاعضاء التي تقع ضمن نطاقها. ان الامر يبدو كما لو كان لدينا كتاب للقواعد يتضمن تعابير اللغة كافة (على اساس ان هذه القواعد تمثل مفاهيم التعابير)، اننا حددنا مدلول اي تعبير في اي عالم خاص (نطاق الدالة) وذلك بالبحث عن القاعدة (او الدالة) وتطبيقها على العالم، وعندها تكون هذه القاعدة الدالة من العوالم المحتملة الى مدلول ما، اي انها تختار مجموعة الكيانات المشار اليها من العالم الذي يمثل نطاقها، وتمثل هذه المجموعة قيمة الدالة.

ولكن ليس لدينا ولا يمكن ان يكون لدينا من حيث المبدأ قائمة لقواعد تعابير اللغة كافة محفوظة في اذهاننا، ومما يجعل هذه المسألة غير محتملة، بغض النظر عن اعتبارات نفسية، حقيقة ورد ذكرها في قسم سابق من هذا الفصل تفيد ان اللغات الطبيعية تحتوي اعدادا غير محدودة من التعابير، ويستطيع مستخدمو هذه اللغات الاكفاء بفضل كفاءتهم اللغوية ان يكونوا ويفسروا تعابير مختارة بشكل عشوائي من بين هذه المجموعات من التعابير غير المحدودة. والمطلوب اذن هو ايجاد دالة اخرى (او مجموعة من الدوال) التي تحدد مفهوم التعابير المؤلفة على اساس مفهوم للتعابير الاساس (الوحدات المعجمية) ومفهوم القواعد النحوية (قواعد التكوين) التي تولد هذه التعابير.

ان كل ما فعلته هنا هو بالطبع اعادة صياغة مبدأ فراغه للتكوينية ضمن اطار المفهوم، واني استخدم مبدأ التكوينية كما قلت سابقا، على انه يصح على المعنى بشكل رئيس وعلى الاشارة من حيث الاشتقاق فقط (وتأتي الاشارة عن طريق الدلالة والسياق بطريقة يفسرها جزئيا وقلناه توا، وما نقوله بشكل عام في فصل قادم)

عند هذه المرحلة يظهر نحو مونتاك على حقيقته، فلقد كان مونتاك يهدف الى اقامة توافق بين النحو والدلالة اقوى بكثير من التوافق الذي تقيمه النظرية القياسية للنحو التحويلي التوليدي. ولقد استطاع ان يحقق هذا بقدر ما كان ناجحا، وذلك عن طريق تبني نوع خاص من انواع نحو **الفصيلة** ، ووضع فصائل النحو في توافق تام مع فصائل المفهوم (وتشبه فصائل النحو هذه بصورة عامة الاصناف الرئيسة والفرعية التي جاء بها النحو التقليدي. وتضم هذه مايلي: العبارات الاسمية والاسماء، والمسند والافعال اللازمة والافعال المتعدية والظروف وهلم جرا).

لن ندخل في تفاصيل نحو الفصائل ولا في تفاصيل الآلية التي يتم بموجبها اقامة التوافق بين فصائل النحو وفصائل الدلالة او فصائل المفهوم. ان كل ما ينبغي قوله في هذا المضمار هو ان نحو الفصائل نوع انيق جدا من انواع النحو الذي يمكن بواسطته اشتقاق الفصائل النحوية كافة من الفصيلتين الرئيستين: العبارة الاسمية والجملة. اما المصطلح «فصيلي» فهو يعكس الاصول الفلسفية لهذا النوع من النحو في عمل الفيلسوف الالماني ادموند هسرل Edmund Husserl (١٨٥٩ - ١٩٣٨) - مؤسس علم الظواهر او (الظاهراتية)- ولكن نحو الفصائل بحد ذاته لا يرتبط ارتباطا وثيقا بنوع واحد من انواع علم الوجود (لارسطو او كانت والخاص بالظاهراتية) دون سواه، الا انه يعتمد على اية حال على مبدأ **تطابق الفصيلة** الذي اشرت اليه سابقا (وهذا هو سبب استخدامي للمصطلح «الفصائل» في الخصوص) وهو مبدأ الاعتماد المتبادل بين النحر والدلالة فيما يخص قواعد التكوينية. ان فكرة التوافق هذه فكرة

تقليدية بحته.

لقد حددت مناقشتي حتى الان بالعوالم المحتملة التي تختلف عن العالم الحقيقي فقط في كونها اصبحت حقيقة يوما ما في الماضي او انها ستصبح حقيقة في المستقبل. الا انه ليست هناك ضرورة للابقاء على هذا الشرط، بل ان الفائدة الحقيقية التي نتوخاها من وراء عملية اضفاء الصفة الشكلية على العوالم المحتملة التي جاء بها مونتاك واخرون تأتي من الحقيقة التي تمكننا من ان نعالج البيانات التي تصدر عن العوالم التي نعرف مسبقا انها لن تتحقق مطلقا، وهذه هي عوالم احلامنا وآمالنا ومخاوفنا وعوالم الخيال العلمي والدراما والوهم، وساعود الى مناقشة هذه النقطة عندما اتناول فكرة الشكلية المعرفية في الفصل العاشر، ونكتفي في هذه المرحلة بملاحظة ان نحو مونتاك قد اصبح اكثر نجاحا من الانظمة الشكلية السابقة للتحليل الدلالي للغات الطبيعية التي جاء بها علماء المنطق على الرغم من انه ما زال في مراحله الاولى

ان نحو مونتاك يستطيع بصورة عامة ان يعالج باسلوب حدسي مرض مجموعة من المشاكل المعروفة في علم الدلالة الفلسفي، فهو يعالج حقيقة ابدال تعابير ذات مدلول واحد في سياقات مفهومية معينة ذات تأثير على شروط الصدق (مثلا «اريد ان اقابل اول رئيسة وزراء لبريطانيا» و «اريد ان اقابل مارغريت تاچر» لهما شروط صدق مختلفة من حيث تفسير المفهوم، كما انه يعالج كذلك حقيقة ان التعابير قد تفتقر كليا الى مدلول، ومع ذلك فهي ليست مترادفة (مثلا «وحيد القرن الخرافي» و «قنطور») وهلم جرا، مع ان هذه ليست مشاكل بحد ذاتها تسلب النوم من رجل الشارع او حتى من عالم اللغة، ولكنها كلها مرتبطة بالمشكلة الاكثر عموما، الا وهي مشكلة الصياغة الدقيقة للمبادىء التي يمكن بواسطتها اعطاء تفسيرات للتعابير حسب السياق الذي تستخدم فيه، وتحديد الشيء المقصود بالتعابير المؤشرة .

لقد توخيت البساطة فثبت وجهة نظر فلسفية او ادراكية في كل ما قلته حتى الان في هذا القسم عن العوالم المحتملة، ولقد تحدثت كما لو كان هدف علم الدلالة الشكلي هو تكوين نماذج من التمثيل الذهني تمتلكها الكائنات البشرية عن العالم الخارجي، ولو نظرنا الى الامر من وجهة النظر هذه فان القضية تعتبر صادقة او كاذبة بالنسبة للعالم الحقيقي او العالم غير الحقيقي الذي يصور بناء على **تطابقه** مع العالم ام لا. ان هذه طريقة مشروعة للتحدث عن علم الدلالة الشكلي، وهي الطريقة المفضلة لدى العديد من علماء النفس وعلماء اللغة وعلماء العقل الالكتروني المهتمين بالذكاء الاصطناعي، ولكنها ليست الطريقة التي يتبناها عادة علماء المنطق والفلاسفة، بل هناك بضعة طرق فلسفية مختلفة يمكن بموجبها تفسير المصطلح «العالم المحتمل»

وربما لاحظ القارىء اني لست ثابتا تماما في استخدامي الخاص لهذا المصطلح، فلقد تحدثت توا عن القضايا باعتبارها صادقة او كاذبة **بالنسبة** للعالم الذي تمثله، بينما قلت في مكان اخر ان القضايا صادقة او كاذبة في عالم ما، وان الحشو صادق والتناقضات كاذبة في العوالم المحتملة كافة، اما القول ان القضايا تمثل او تصف عالما ما بدلا من القول انها تكمن فيه بشكل من الاشكال فينسجم تماما على نحو القضية مع المفاهيم الاعتيادية ومع الاستخدام التقليدي للمصطلح «قضية» ولكن عددا كبيرا من الفلاسفة وعلماء المنطق قد تبنوا الطريقة الثانية للتحدث عن الموضوع، ودون الخوض في تفاصيل الموضوع سابين فقط ان بعض علماء الدلالة الشكليين قد عرفوا العالم المحتمل بجلاء على انه مجموعة من القضايا، بينما يقول اخرون ان القضية هي مجموعة من العوالم التي تكون فيها القضية صادقة او تكون القضية التي نتحدث عنها صادقة، ولا غراض منطقية بحتة، لايهم كثيرا اي الوجهتين يتبنى المرء مع ان الخيار قد تقرره إعتبارات فلسفية واسعة

ان من المستحيل ومن غير المناسب ان نخوض في موضوع التفرعات الفلسفية المتعلقة بتبني وجهة نظر معينة من العوالم المحتملة والقضايا دون غيرها في كتاب من هذا النوع، على انني اود ان اوكد في النهاية ان علم دلالة النظرية الانموذجية او علم الدلالي الدليلي يوفر لنا من حيث المبدأ في اقل تقدير وسائل اضفاء الصفة الشكلية على ظواهر عديدة في لغات طبيعية لم تحض باضفاء الصفة الشكلية عليها في الانظمة السابقة لعلم الدلالة الشكلي، فعلى سبيل المثال يمكننا اضفاء الصفة الشكلية على **علاقات امكانية الوصول** القائمة بين العوالم المحتملة المختلفة بواسطة هذا النوع من علم الدلالة. ولنأخذ ناحية واحدة فقط، وهي ان هناك معنى واضح حدسيا يمكننا بواسطته وعن طريق استخدام اللغة الاعتيادية ان نعمل وفق الافتراض الذي مفاده ان الماضي وليس الحاضر يمكن الوصول اليه بالنسبة لنا، وهذا الافتراض يدخل في بنية نظام ازمنة الفعل وحالاته في العديد من اللغات ان لم نقل كلها، ويستطيع علم الدلالة الدليلي ان يعالج ظواهر من هذا النوع، وهو يمكننا على نحو اشمل من اضفاء الصفة الشكلية على حقيقة ان المتكلم مقيد بانواع معينة من امكانية الوصول في اختيار او تكوين العوالم المحتملة التي يشير اليها وبالطريقة التي تشير اليها. وكذلك هو الحال فيما يخص حقيقة ان المتكلم يشير بالضرورة الى العالم الذي يصفه من وجهة نظر العالم الذي يعيش فيه. وتعتبر هاتان الحقيقتان بالغتي الاهمية بالنسبة لاية معالجة صائبة للدليلية والشكلية في اللغات الطبيعية، وسنرى ذلك في الفصل العاشر.

الخلاصة

لقد انصب اهتمامنا في هذا الفصل على اضفاء الصفة الشكلية على معنى الجملة، وقد ركزنا خاصة على نظرية كاتز و فودور التي ظهرت في ضوء النحو التحويلي التوليدي لجومسكي وعلى نظام مونتاك لعلم الدلالة الشكلي الذي يحضى بتأييد عدد متزايد من علماء اللغة، ومن نقاط القوة في نحو مونتاك كما شاهدنا قابليته

على معالجة ظاهرة الدليلية وفكرة العوالم المحتملة ذات الجاذبية الحدسية ، وسنعود الى هذا الموضوع في الفصل العاشر، وفي هذه الاثناء علينا ان نوسع آفاقنا وننظر الى النواحي المختلفة للمعنى التي تنشأ عن سياق النطق ، في اللغات الطبيعية .

الفصل الثامن
الاقوال والافعال
نظرية امثال الكلام

——— ——— ———

«تعتبر الكلمات افعالا ايضا»

رالف والدو إمرسون : الشاعر

لقد ناقشنا حتى الان بشكل رئيس فكرة المعنى في اللغة، وتفترض هذه الفكرة ان اللغات هي مجرد مجموعات من الجمل. كما اننا اعطينا الاولوية للجمل المستخدمة في الخبر الوصفي التي قد تكون صادقة او كاذبة، الا ان هذه الفكرة ضيقة جدا بالنسبة لكل من اللغة والمعنى، وقد تعرضت الى نقد كبير.

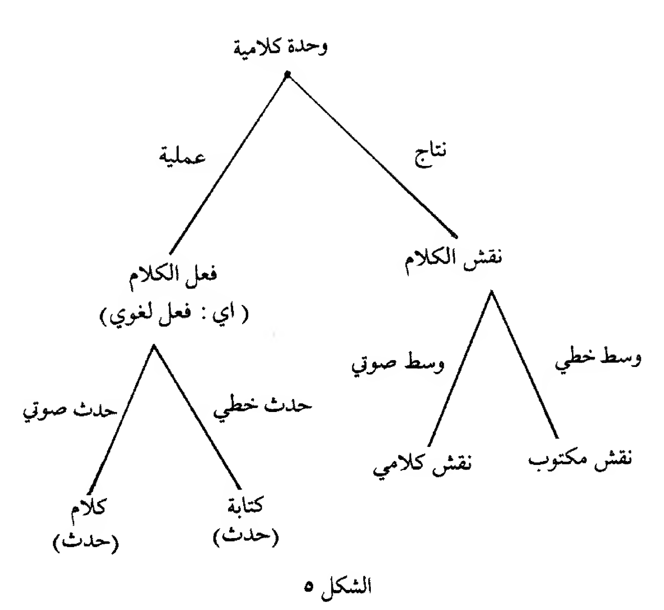
لقد كان جي ال اوستن، فيلسوف جامعة اكسفورد (١٩١١ - ١٩٦٠)، احد النقاد الاكثر نفوذا خلال السنوات الماضية، وقد نوقشت اراؤه باسهاب، ناقشها الفلاسفة فضلا على علماء اللغة وعلماء النفس ونقاد الادب والمختصين بالعلوم العديدة الاخرى. وسنستخدم اراءه في هذا الفصل لننطلق منها في بيان كيف يمكن للمرء ان يتجاوز معالجة اللغة باعتبارها مجرد مجموعة من البيانات الوصفية.

الوحدة الكلامية

ان المصطلح utterance غامض (يحمل اكثر من معنى) كما ذكرت ذلك في

الفصل الاول، اذ يمكن استخدامه للاشارة اما الى عملية النطق او الى نتاجات هذه العملية، وتسمى utterances عموما **افعال الكلام** حسب الرأي الاول، اما بالنسبة للرأي الثاني فيمكن وصفها على انها **نقوش**. ومن الاهداف الرئيسة التي اتوخاها في هذا الفصل توضيح العلاقة القائمة بين الافعال الكلامية والنقوش وبذلك اطور بشيء من التفصيل الفرق بين معنى الجملة ومعنى الوحدة الكلامية. وسأعمل قدر الامكان بموجب مصطلحات اوستن وضمن اطاره الادراكي. ساضطر الى اضافة تمييز واحد او تمييزين خاصين بي من اجل تقديم شرح دقيق للعلاقة المعقدة نوعما القائمة بين الافعال الكلامية والجمل على نحو اشمل مما فعله اوستن واتباعه في هذا الخصوص.

يُعد المصطلح «فعل الكلام» في الواقع مضللا بحد ذاته، فهو يعطي وزنا كبيرا لذلك الجزء من اطلاق الوحدات الكلامية الذي يؤدي الى نقشها في الوسط المادي الصوتي بغض النظر عن الاعتبارات الاخرى. اما المصطلح «فعل لغوي» فيعتبر افضل بكثير من المصطلح «فعل الكلام». وطالما ان المصطلح «فعل الكلام» يستخدم الان على نطاق واسع في معناه التقني الذي اضفاه عليه اوستن فلن احاول استبداله، على انه ينبغي ان لا يغيب عن البال ابدا ان «فعل الكلام» يراد به ان يشمل انتاج كل من لغة الكتابة ولغة الكلام، شأنه في هذا شأن الوحدة الكلامية من ناحية، و «النقش» او «النص» من ناحية اخرى. اما الفروق التي قدمتها توا ملخصة في الشكل ٥ الذي يتضمن كذلك ما يذكرنا بانه ينبغي فهم «فعل الكلام» في هذا الكتاب على انه يعني «الفعل اللغوي».



الشكل ٥

(يقرأ من اليسار الى اليمين)

اوستن

لم يقدم اوستن نفسه اية نظرية متطورة كاملة لافعال الكلام على الاطلاق ، وان اقرب نقطة توصل اليها بهذا الخصوص كانت في محاضرات وليام جيمس التي القاها (اوستن) في جامعة هارفرد عام ١٩٥٥ والتي نشرت بعد وفاته بعنوان **كيف نفعل الاشياء بالكلمات** (١٩٦٢) . وكان اوستن قد القى محاضرات حول الموضوع ذاته لبضع سنوات خلت في جامعة اكسفورد. كما كان قد القى بحوثا لها صلة بالموضوع ذاته منذ عام ١٩٤٠، ولكنه لم يترك مخطوطة منقحة يمكن نشرها

للمحاضرات التي القاها في هارفرد، وعليه فلا غرابة في ان لا نجد صيغة محددة متفق عليها لنظرية افعال الكلام، بل ليس واضحا هل كان اوستن يحاول فعلا ان يكون نظرية لافعال الكلام حسب مفهوم المصطلح «نظرية» كما يفسره العديد من الذي تبنوا اراءه. ويعتبر اوستن من اتباع مدرسة فلسفية كان يميل اعضاؤها الى التشكيك بعملية اضفاء الصفة الشكلية وبوضع التمييزات الدقيقة .

لقد كان هدف اوستن في البداية على الاقل ان يتحدى ما كان يعتبره مغالطة وصفية، وهي فكرة ان الوظيفة الوصفية الفلسفية المهمة الوحيدة للغة هي انتاج عبارات خبرية صادقة او كاذبة، وعلى نحو ادق، كان اوستن يتهجم على رأي عالم التحقق المرتبط بالفلسفة الوضعية المنطقية التي تفيد ان الجمل تكون ذات معنى فقط اذا كانت تعبر عن قضايا يمكن التحقق منها او تفنيدها، وقد سبق لنا ان اطلقنا على فكرة التحقق وعلاقتها بمفهوم شروط الصدق (الفصل الخامس)، وينبغي ان نتذكر انه عندما وجه اوستن اهتمامه في بادىء الامر الى دراسة هذه المسألة كان علماء التحقق يواجهون اعتراضا على مبدئهم مفاده ان فكرة دلالة المعنى التي نادوا بها قد تستبعد ليس العبارات الخبرية الكاذبة في علم اللاهوت فحسب، بل كذلك العبارات الخبرية الكاذبة في علم الاخلاق وعلم الجمال . ومن بين ردودنا على هذا الاعتراض كما شاهدنا ذلك هو ان نسلم بان جملا مثل الجملة التالية :

«اكل لحوم البشر خطأ»

«مونيت افضل من مانيت»

لايمكن استخدامها لانتاج العبارات الخبرية الوصفية، بل انها للتعبير عن مشاعر المرء وعلى الرغم من انه يمكن استخدامها لاصدار بيانات صادقة او كاذبة، فهناك رد آخر، وهو ان ما يصفه المتحدث عند انتاج عبارات خبرية كهذه هو مواقفه الخاصة او مواقف شخص آخر، وليس وصفا لواقع موضوعي. ان ما فعله اوستن في بحوثه

الاولى نسبيا هو انه انتقد البديل الثاني، فقد اشار بعد ذلك الى ان عددا كبيرا من الوحدات الكلامية ذات التداول اليومي ليست عبارات خبرية كما يعتقد علماء التحقق و خصومهم، فعلى سبيل المثال لو تفوهت حسب رأي اوستن بالجملة التالية :

«اعد ان ادفع لك خمسة باوندات»

بهدف اعطاء وعد (ونقل حقيقة للمخاطب مفادها اني اعطيته وعدا) فاني بهذا لا اقول شيئا صادقا او كاذبا عن حالتي الذهنية، بل انما الزم نفسي بمجرى عمل معين.

هذا باختصار السياق الفلسفي الذي قدمها أوستن لاول مرة لتمييزه المعروف بين الوحدات الكلامية البيانية والوحدات الكلامية الادائية، فالوحدة الكلامية البيانية حسب تعريفها تستخدم لاصدار العبارات الخبرية (بفضل اوستن «بيانية» على «وصفية» لانه «ليست كل البيانات الصادقة او الكاذبة اوصافا»، ولتحقيق اهدافنا يمكن اعتبار المصطلحين متعادلين) اما الوحدات الكلامية الادائية بالمقارنة فهي وحدات يؤدي المتحدث او الكاتب بها عملا او فعلا وليس مجرد الكلام.

ان هذا التمييز بين القول والفعل (الذي نجده في عنوان محاضرات اوستن في اكسفورد «الاقوال والافعال» والذي استعرته كعنوان عام لهذا الفصل) قد تخلى عنه اوستن في آخر الامر الا انه لم يتخل عن التمييز بين الوحدات الكلامية البيانية والوحدات الكلامية غير البيانية، بل اعتبر الوحدات الكلامية البيانية صنفا من صنوف الوحدات الكلامية الادائية، في آخر نسخة منقحة متوفرة لدينا لكتاب اوستن، وعلى نحو مماثل، يعتبر القول نوعا خاصا من انواع الفعل حسب المعنى الخاص للقول ان شيئا ما هو المقصود او غير المقصود، ويدخل اوستن في تفاصيل كثيرة عن موضوع القول والفعل كما سنرى ذلك فيما بعد. وهذا هو كل المقصود بنظرية اوستن لافعال الكلام بقدر كونها نظرية، فهي نظرية للذرائعية (حسب المعنى

الاصلي للذرائعية) : «دراسة الفعل او دراسة القيام بعمل» كما انها نظرية للذرائعية الاجتماعية : نظرية القول باعتباره فعلا ضمن اطار القوانين والاعراف الاجتماعية . ان هذا الجانب من نظرية اوستن لم يلق دائما الاهتمام الذي يستحقه .

التمييز الثاني الذي يقدمه اوستن هو التمييز بين الادائيات **الواضحة** والادائيات **الاولية**، وينطبق هذا التمييز من حيث المبدأ على كل من الوحدات الكلامية البيانية والوحدات الكلامية غير البيانية . وسوف نعود الى هذا الموضوع فيما بعد . اما الان فيمكننا القول ان الادائية الواضحة هي ادائية يحتوي النقش فيها تعبير يوضح نوع الفعل الذي يجري اداؤه، ويحتاج هذا التعريف الى تعديل في نواح عديدة، فقد يبدو في وضعه الحالي على انه اوسع مما كان يقصده اوستن، ومع ذلك فهو اضيق مما ينبغي ان يكون عليه، الا انه يشمل بالتأكيد الامثلة كافة التي استخدمها اوستن واتباعه لبيان نوع الادائيات الواضحة، فهو يشمل بشكل خاص جملا غير بيانية مثل الجملة التالية :

«اعد ان ادفع لك خمسة باوندات»

مثل هذه الجمل تحتوي على مايسمى بفعل ادائي، وهو الفعل «يعد» اضافة الى حقيقة استخدامه مع فاعل هو الشخص الاول المفرد وانه في صيغة الفعل المضارع البسيط، ويوضح هذا طبيعة فعل الكلام الذي يجري اداؤه عند النطق بالجملة لأعطاء وعد .

يمكن للمرء بطبيعة الحال ان يعطي وعدا دون اللجوء الى هذه الادائية الواضحة، فعلى سبيل المثال يمكنه ان يعطي وعدا بالنطق بالجملة التالية :

«سادفع لك خمسة باوندات»

يكون المرء قد تفوه في هذه الحالة بما يسميه اوستن بالادائية الاولية (اي الادائية غير الواضحة) فهذه ادائية غير واضحة حسب التعريف الوارد اعلاه اذ انه ليس هناك اي

تعبير في نقش الكلام نفسه (سأدفع خمسة باوندات) يوضح حقيقة اعتباره وعداً وليس تنبوءً او بيانا .

هذا وصف واف، وان كان غير دقيق بعض الشيء، لما كان يجول في خاطر اوستن عندما ميز بين الادائيات الواضحة والادائيات الاولية، وينبغي ملاحظة ان الوحدات الكلامية وليس الجمل، هي التي تصف الى بيانية او غير بيانية، والى ادائية واضحة او ادائية غير واضحة. وعندما يستخدم علماء اللغة المصطلح جملة ادائية فهم يشيرون عادة الى جمل مثل اعد ان ادفع لك خمسة پاوندات والتي تحتوي ما يسمى بفعل ادائي، ينطق بها عادة على اساس انها وحدات كلامية غير بيانية واضحة .

ساستخدم في القسم التالي عددا من المصطلحات التي جاء بها اوستن، الا انني لم اعطيها التعبير الذي اعطاه اياها اوستن بالضبط، ففي بعض الحالات نجد ان تفسيره غير واضح على الاطلاق، وفي حالات اخرى يكون تفسيره من الوضوح ما فيه الكفاية، الا انه مثير للجدل. وهنـاك مشكلة اخرى وهي ان رأي اوستن في التمييز بين الجمل والوحدات الكلامية يختلف تماما عن الرأي الذي اتبناه في هذا الكتاب، وعليه سوف اعيد تفسير ما قاله اوستن عن **العمل الكلامي** ـ نوع خاص من انواع فعل الكلام ـ في ضوء هذا التمييز .

وهنا اود ان اذكر القارىء باني اميز تمييزا رمـزيا منتـظما بين نقـوش الكلام والجمل مستخدما الحروف المائلة لنقش الكلام و فارزتي الاقتباس المفردة للجمل، ومن المهم الابقاء على هذا التمييز من ناحية ادراكية ان لم تكن رمزية، ونطبق هذا حتى على نقوش الكـلام التي تعتبر عـادة جملا، وعليـه تعتبر «سـادفع لـك خمسة باوندات» جملة يمكن التعبير عنها نطقا او كتابة بالصورة التالية : I will pay you . . £5 او بالصورة البديلة التالية (I will يتقلص) I will pay you . . £5 ويصنف علماء اللغة كلتـا الصورتين عادة على انهما جملتان .

ان اداء العمل الكلامي هو انتاج نقش كلام ذي صيغة معينة ومعنى محدد نوعها. ومعظم نقوش الكلام التي نطلقها في حديثنا اليومي، اي معظم نتاجنا من الاعمال الكلامية ليست جملا. فبعضها ليس نحويا، وبعضها الاخر نحويا الا انه قد حدث فيه حذف (مثلا: **هنا لفترة طويلة؟ و جو جميل في مثل هذا الوقت من السنة**، وهلم جرا)، كما ان البعض الاخر ليس نحويا ولا غير نحوي، ومع ذلك فهناك بطبيعة الحال نوع اخر غير نحوي وغير مقبول بسبب شرود الذهن او النسيان غير المتعمد او عجز من نوع ما في الاخراج الحقيقي للعلامات اللغوية.

وطالما اننا نعتمد في تحديد اهتمامنا، في الوقت الحاضر بنقوش الكلام التي يمكن تصنيفها نحويا كجمل، فان بامكاننا ان نتحاشى مؤقتا الكثير من التعقيد الذي يرافق عادة النقاش المسهب للاعمال الكلامية، ويمكننا بشكل خاص ان نفترض موقتا ان اداء عمل كلامي انما هو في الواقع النطق بجملة على ان من المهم ان نلاحظ في هذه المرحلة انه يمكن لشخصين ان ينطقا الجملة ذاتها دون ان يقولا الشيء ذاته بالضرورة كما يمكنهما ان يقولا الشيء ذاته دون ان ينطقا الجملة ذاتها بالضرورة.

هناك في الواقع طرق مختلفة يمكن للمرء بواسطتها التعبير الاعتيادي «يقول الشيء ذاته» وهنا يجدر بنا ان نلاحظ ان نظرية اوستن لافعال الكلام يمكن اعتبارها على انها تهتم بشكل خاص بهذا الموضوع، وانها تعطي توضيحا للمعاني المتعددة التي يحملها الفعل say يقول او التي يعتبر القول بموجبها فعلا. ولنلاحظ اولا ان الجملة التالية غامضة (تحمل اكثر من معنى واحد) طبقالما اذا كان الفعل يعني «يؤكد» او «ينطق»:

«اكد / نطق جون وماري الشيء ذاته» john and Mary said the same thing فالتفسير الاول لهذه الجملة هو انها تحمل شروط الصدق ذاتها، اي انها تحمل محتوى القضايا

ذاته ، الذي تحمله الجملة التالية :

«اكد جون وماري القضية ذاتها»

اما التفسير الثاني للجملة فيمكن التعبير عنه بما وراء اللغة تقنيا كما يلي :

«نطق جون وماري نفس الكلام ذاته»

وتجدر الاشارة هنا ايضا الى انه على الرغم من ان الكلمة «شيء» ليست غامضة على نحو لغموض «يقول»، فان هناك فرقا نظريا مهما وكبيرا بين صنف معين من الاشياء وبين الصنوف الاخرى. وتعتبر القضايا، كما شاهدنا سابقا، كيانات مجردة من نوع معين، اما نقوش الكلام فلها كيانات مادية يمكن تحديدها بواسطة حاسة واحدة من الحواس او اكثر، مثل حاسة السمع او حاسة البصر او حاسة اللمس وغيرها

يتضح مما قيل في الفصول السابقة انه يمكن تأكيد القضية ذاتها وذلك بنطق جمل مختلفة، وقد تكون هذه الجمل من لغات مختلفة، فعلى سبيل المثال، نقول في اللغة الانكليزية It is raining انها تمطر، وفي اللغة الفرنسية jl pleut وفي اللغة الالمانية Es rognet ، كما يمكن ان تكون هذه الجمل من لغة واحدة مثل جملة المبني للمعلوم وجملة المبني للمجهول المقابلة لها، مثلا «عض الكلب ساعي البريد» و «عض ساعي البريد من قبل الكلب» وعلى عكس هذا وكما شاهدنا في الفصل السابع، يستطيع المرء ان يؤكد افتراضات مختلفة بنطق جملة واحدة في سياقات مختلفة واعطاء قيم مختلفة للتعابير المؤشرة التي تشملها الجملة (مثلا تعبر الجملة «صديقي ينتظرني» عن عدد غير محدد من القضايا حسب القيمة المخصصة لـ «صديقي» و «انا» و «زمن الفعل»)

لقد لاحظنا مما تقدم ان هناك تمييزا مهما ينبغي اقامته بين نطق الجملة وتأكيد القضايا، كما ينبغي اقامة تمييز بين نطق الجملة وانتاج نقوش الكلام، ويمكن بيان هذا بامثلة بسيطة. ولنفرض ان جون يقول :

I'LL meef you at the bank ساقابلك عند المصرف

وان ماري تقول :

I'LL meet you at the bank ساقابلك عند شاطىء النهر

وان كلا منهما يقول مرة اخرى :

flying planes can be dangerous ن الطائرات الطائرة يمكن ان تكون خطرة او ان عملية تطيير الطائرات يمكن ان تكون خطرة

عندئذ يمكننا على الفور ان نجمع على انه طبقا لاحد معاني الفعل «يقول» في كل من الامثلة الواردة اعلاه يكون جون وماري قد قالا الشيء ذاته ، اي انهما اطلقا نقش الكلام ذاته (وعلى نحو ادق انهما اطلقا إمارات ذات نمط كلامي واحد) ، ولنتفق ايضا على ان ما تفوها به في كل حالة هو جملة ، ولكن هل انهما تفوها بالجملة ذاتها؟ من المهم ان ندرك انه لا يمكننا الاجابة عن هذا السؤال دون معرفة اية صيغة استخدمت فضلا عن معرفة التعابير التي تمثلها هذه الصيغ ، فاذا كانت bank المستخدمة في نقش الكلام لجون هي صيغة لـ $bank_1$ (اي مؤسسة مالية ـ مصرف) وكانت bank المستخدمة في نقش الكلام لماري هي صيغة لـ $bank_2$ (اي شاطىء النهر ، وماشاكلها) ، فعند ئذ يكونا قد تفوها بجملتين مختلفتين ، وعلى نحو مماثل ، اذا كانت flying المستخدمة في نقش الكلام لجون هي صيغة للفعل اللازم fly يطير (بحيث تعني flying planes بصورة عامة «الطائرات التي تطير» ، وكانت flying المستخدمة في الرمز الكلامي لماري هي صيغة للفعل المتعدي fly يطير المقابل للفعل اللازم fly يطير (بحيث تعني flying planes بصورة عامة «يطير الطائرات» فعندئذ سيكونا قد تفوها بجملتين مختلفتين .

ان امكانية المرء على التفوه بنقش الكلام ذاته دون النطق بالجملة ذاتها مسألة لم توضح في عدد كبير من المؤلفات الحديثة في علم الدلالة والذرائعية بسبب عدم الدقة التي يستخدم بموجبها المصطلحان «جملة» و «وحدة كلامية» ، ويمكن القول ان اوستن

نفسه اخفق ايضا في اقامة تمييز دقيق جدا بين الجمل والوحدات الكلامية، الا انه كان بكل تأكيد على علم بالنقطة التي تم توضيحها توا، كما كان لديه تفهم عميق واضح عن التعقيد في العلاقة بين الجمل ونقوش الكلام اكثر دقة من تفهم العديد من اتباعه لهذه العلاقة على ما يبدو، لان التحليل الذي قدمه بنفسه للاعمال الكلامية، ولو انه غير واضح في بعض النواحي وناقص تقنيا في نواح اخرى، يعتمد بالتأكيد على ادراكه لحقيقة ان نقوش الكلام المتطابقة صوتيا يمكن ان تختلف فيما بينها بموجب تعابيرها المكونة وتركيبها النحوي

هذه النقطة تقودنا الى نقطة اخرى ، وهي ان التطابق الصوتي ليس شرطا ضروريا لتطابق نقوش الكلام، فاذا طلبنا من ماري ان تكرر نطق جون **انها تمطر** او **ساقابلك عند المصرف**، فاننا لا ننتظر منها ان تقلد نوعية صوته او ان تولد ميزات شبه لغوية كالايقاع وسرعة النطق، كما اننا لا ننتظر منها ان تقلد لهجة جون، مع انها قد تختلف عن لهجتها على نحو ملحوظ، فعلى سبيل المثال لو كان جون من اهالي لندن ومن الطبقة العاملة ويتكلم اللهجة اللندنية، وماري سيدة من اهالي نيو انكلند ومن الطبقة الراقية من المجتمع، فانهما سيلفظان عبارة **انها تمطر** او أي نقش كلام انكليزي محتمل آخر بطريقتين مختلفتين متميزتين، ومع ذلك وفي حالات عديدة، ان لم نقل في كلها، يستطيع الناطقون الاصليون باللغة ان يحددوا ازواج نقوش الكلام المختلفة صوتيا على انها امارات من نمط واحد .

يتبين لنا مما تقدم ان التطابق الصوتي ليس شرطا ضروريا لتطابق الامارة والنمط لنقوش الكلام، كما يبين لنا ان تطابق الامارة والنمط للوحدات الكلامية لا يخضع الى حد ما لاية نظرية ، اي انه يمكن تحديد هذا التطابق في حالات معينة دون الرجوع الى نظرية معينة لبنية اللغة دون سواها. الا ان عدم الخضوع لنظرية، في هذا المعنى، ينهار ازاء الكفاف التنغيمي للوحدات الكلامية، وليس

واضحا في حياتنا اليومية ما اذا كـان نطقـان مختلفان تنغيميـا للعبارة **انها تمـطر** او **ساقابلك عند المصرف** يعتبران امارتين لنمط واحد، ففي كلتا الحالتين هناك مجال للجدل حول ما اذا كان للتنغيم والنبر صلة وثيقة بالموضوع ام لا ، وتوخيا للبساطة في التوضيح ، فاني ارتأي انه لكي ينتج شخصان نقش الكلام ذاته يكفي ان ينطقا ما يدركانه، كما يدركه اخرون، انه سلسلة من الصيـغ الواحـدة، بغض النظر عن الكفاف التنغيمي ونمط النبر اللذين يصاحبان هذه الصيغ ، كما انني ساتبنى، الرأي ذاته فيما يخص الجمل .

فعلى سبيل المثال اذا قال جون **انها تمطر** بتنغيم نازل ونمط نبر محايد، وقالت ماري **انها تمطر** بنبر توكيدي وتنغيم صاعد على الصيغة **تمطر** ، فساقول انهما قد اخرجا نقش الكلام ذاته فضلا عن انهما نطقا كذلـك الجملة ذاتها، وهي انها تمـطر (من الملاحظ اني اعتبر تقليص الكلمتين it is الى it's وكل الظواهر المماثلة ليست له علاقة مباشرة تطابق الامارة والنمط لنقش الكلام) . ان هذه ليست حقيقة بقدر ما هي مسألة قرار نظري ومنهجي ، ويخالفني في هذا الرأي العديد من علماء اللغة لاعتبارات نظرية، على ان عددا قليلا منهم قد اعار حتى الان اهتماما جديا لهذا الامر، وان الجزء الاكبر مما يبدو انه خلاف اصلي قد يظهر في الواقع انـه مسألـة مصطلحات فحسب

والان يمكننا ان نقسم اداء العمل الكلامي الى جزئين مستقلين منطقيا (١) انتاج نقش في وسط مادي مناسب و(٢) تكوين جملة كذا وكذا، وكلاهما مستقـل منطقيا، لانه يمكن ارتباط نقش واحد بجملتين او اكثر مختلفتين تماما، وعلى العكس ذلـك يمكن ارتباط الجملة ذاتهـا بنقشين او اكـثر مختلفين تمـاما. واذا استخـدمنـا مصطلحات اوستن، فانه يمكننا القول ان العمل الكلامي هو نتاج (١) لعمل صوتي ينتج نقشا (في الحيز الصوتي للصوت) و(٢) عمل **كلام اعتيادي** لتكوين جملة معينة في

لغة معينة . ويعتمد الفعل الصوتي بطبيعة الحال مع استخدام وسط مادون غيره . اما انتاج نقوش الكلام في وسط غير صوتي ـ خصوصا عندما نكتب ولا نتكلم ـ فيشمل افعالا غير صوتية من نوع او اخر، وكما ذكرت سابقا، يجب ان لا يفسر المصطلح «فعل الكلام» على انه ينحصر في اخراج الوحدات الكلامية، وينطبق هذا كذلك على المصطلح والعمل الكلامي

لم ننته بعد من تحليل الاعمال الكلامية، ومازال يتوجب علينـا ان نحسب حسابا لحقيقة ان الجمل تنطق ضمن سياقات معينة، وان جزءً من محصلة معنى نقش الكلام يستمد من السياق الذي ينتج فيه ويتضح هذا تماما في حالة اشارة التعابير المؤشرة التي يشملها السياق؛ وان الاشارة كما لاحظنا في الجزء الثالث هي جزء من معنى الوحدة الكلامية وليس جـزء من معنى الجملة ـ اما المكـون الثالث للعمـل الكلامي فهو ما يسميه اوستن بالعمل البلاغي، ويتضمن هذا تخصيص الاشارة التي يمكن وصفها على نحو اشمل بالتحديد بالسياق .

ان استخدام مصطلحات اوستن «صوتي» و «اعتيـادي» و «بلاغي»، فهي ليست واسعة الاستخدام فيما كتب عن الموضوع، ولقد اعطيتها على اية حال تفسيرا يختلف نوعما عن تفسير اوستن، فالمهم هو التحليل الثلاثي ذاته الذي يعتمد، كما شاهدنا ذلك سابقا، على التمييز بين اللغة والوسط من ناحية، وعلى التمييـز بين الجمل ونقوش الكلام من ناحية اخرى .

يجدر بنا ان نضيف في ضوء الغموض العام نوعما وسوء الفهم الحاصل في هذا المضمار ان التمييز بين الجمل ونقوش الكلام، ليس مجرد تمييز بين الامارات والانماط ويعود السبب في هذا الى ان نقشين كلاميين صادرين في ظروف مختلفة يمكن تحديدها على انهما امارتان من نمط واحد دون معرفة اية جمل يتم نطقها، ويضاف الى هذا، وكما اكدت في هذا القسم، انه يمكن لامارات نقش الكلام الواحد ان تنشأ عن النطق

بجمل مختلفة، وعلى عكس ذلك، يمكن انتاج امارات نقوش كلام مختلفة عن طريق نطق الجملة ذاتها وفي مناسبات مختلفة .

تعتبر هذه النقطة بالغة الاهمية بالنسبة لاية نظرية في بنية اللغة التي تعمل ضمن اطار مفهوم تقليدي نوعما للجملة. فعلى سبيل المثال نريد ان نكون ;قادرين على القول ان امارات نقوش الكلام التالية محكية كانت ام مدونة :

I have

تنشأ عن نطق عدد غير محدود فالجمل بما فيها الجمل التالية :

لقد غسلت الاطباق I have done the washing up

لقد زرت كاليفورنيا I have been to california

لدي آلة طباعة كهربائية I have (got) an electric typewriter

وعلى عكس هذا نريد ان نكون قادرين على القول ان جملا مثل الجملة التالية :

I have done the washing up

يمكن نطقها لا بالصيغة التالية فحسب :

I have done the washing up

بل كذلك بالصيغ التالية :

Me , I have , I have done it

(على ان نستخدم لهذه الصيغ كفافا تنغيميا مناسبا اذا نقشت في وسط صوتي) . ان تحليل الاعمال الكلامية التي ناقشناها في هذا الفصل، وكما سنرى في الفصل التاسع، يساعدنا على تكوين جمل خبرية مماثلة للجمل الخبرية الواردة اعلاه بطريقة

مقبولة من الناحيتين النظرية والعملية. ولكن قبل كل شيء، وبعد ان قدمنا شرحا مفصلا نوعما لما يتضمنه اداء عمل كلامي، ينبغي ان نلقي نظرة على ما يعتبر عادة مساهمة اصلية لـ (اوستن) في دراسة المعنى، وهي تطويره لفكرة القوة اللا كلامية

القوة اللا كلامية

ان القول فعل. الا ان للفعل say يقول معاني يمكن تمييزها. فهو يعني من ناحية «ينطق» بصورة عامة او «يؤدي عملا كلاميا» على نحو اكثر تقنية. فالقـول حسب هذا المعنى للفعل say يقول يتضمن ثلاثة انواع مختلفة من العمل:

(١) فعل انتاج النقش

(٢) فعل تكوين الجملة

(٣) فعل وضع تلك الجملة في سياق معين

فالنطق بجملة في جميع الظروف الاعتيادية يعني اداء فعل معقد تمتزج فيه هذه الانواع الثلاثة من العمل، حيث يكون نتاجها اشارة لغـوية ذات معنى واضحـة المعالم: نقش كلام للفعل say يقول معنى آخر، يمكن بموجبه، كما اشرت الى ذلك سابقا، لشخصين ان يقولا الشيء ذاته دون اداء العمل الكلامي ذاته ودون النطق بجملة واحدة، كما يمكنهما القول ان شيئا ما يكون او لا يكون: اي يمكنهما ان يؤكدا القضية ذاتها. ولنفترض على سبيل المثال ان جون قال (او كتب):

peter is mad بيتر مجنون

وان ماري قالت (او كتبت) في مناسبة اخرى:

your brother is mad اخوك غضبان

ولنفترض ايضا ان (بيتر) و (أخوك) يشيران الى الشخص ذاته وان mad مستخدمة بذات المعنى (بدلا من ان تعني «مجنون» في مناسبة و«غضبان» في مناسبة اخرى) واذا

افترضنا انهما اكدا في الحقيقة قضية معينة يكونان قد اكدا القضية ذاتها، وعليه يكونان قد قالا الشيء ذاته حسب هذا المعنى الثاني للفعل «يقول» say، الا انهما قد لا يكونان قد اكدا على اي شيء بالضرورة.

ان القيام بتأكيد او تقرير جملة خبرية لا يعني اداء عمل كلامي من نوع معين دون سواه، انما يعني اداء ذلك العمل بواسطة نوع معين من القوة اللا كلامية دون سواه وبموجب رأي اوستن كما شاهدناه تعتبر الوظيفة البيانية او الوظيفة الوصفية للغة مجرد وظيفة من وظائفها، كما اننا نستخدم اللغة لطرح الاسئلة واصدار الاوامر، واعطاء الوعود والتهديد والاهانة والتملق، وبطبيعة الحال تستخدم اللغة كذلك للقيام بكل الافعال التي استخدم لها اوستن المصطلح «ادائي» - مثل تعميد الطفل في العقيدة المسيحية، واعطاء تعهد بالزواج، واصدار حكم على مجرم مدان، وغيرها وبالاختصار هناك وظائف لغوية مختلفة ومتعددة، كما ان هناك ما يقابلها من الانواع المختلفة المتعددة من القوة اللاكلامية.

ولكن ما عددها؟ ان احدى الطرق المستخدمة للاجابة على هذا السؤال هي ان نسأل عن عدد الافعال في لغة معينة التي يمكن استخدامها في وحدات كلامية ادائية صريحة، كما يستخدم مثلا الفعل promise «يعد» في نطق الجملة التالية على نحو غير بياني:

«اعد ان ادفع لك خمسة باوندات»

وهناك المئات، ان لم نقل الآلاف، من هذه الافعال في اللغة الانكليزية، بعضها مترادفة نوعيا مثل implore يتضرع الى و beseeck يلتمس وبعضها الآخر يمكن ادراكها حدسيا على انها تقع ضمن اصناف ذات ميزات مشتركة ولو انها ليست مترادفة على نحو جلي فعلى سبيل المثال يرتبط الفعلان «يعد» و «يتعهد» بعلاقة دلالية حيث ان استخدامهما في وحدات كلامية ادائية واضحة يلزم المتحدث بعمل معين وينبغي

وضع الافعال هذه كافة في مجموعة واحدة باعتبارها اعضاء صنف واحد، وينبغي كذلك فعل الشيء ذاته بالنسبة للانواع الخاصة من القوة اللا كلامية التي تستخدم هذه الافعال لتوضيحها، وعلى نحو مماثل ينطبق الشيء ذاته على مجموعات اخرى من الافعال الادائية المرتبطة مع بعضها البعض دلاليا، مثل «يأمر» و «يصدر الاوامر» و «يرجو» وهلم جرا. وتشترك هذه الافعال كافة في ميزة واحدة عند استخدامها في وحدات كلامية ادائية واضحة، وهي ان استخدامها يعبر عن رغبة لدى المتحدث وهي ان شخصا ما وهو عادة المخاطب ينبغي ان يؤدي عملا معينا.

لقد وضع اوستن بنفسه الخطوط العريضة لوضع خطة تصنيف من هذا النوع في كتابه الموسوم **كيف نفعل الاشياء بالكلمات**، كما قدم اتباعه منذ ذلك الوقت خططا مماثلة مع شيء من الاختلاف. ان حقيقة امكانية تقديم تصنيفات بديلة مقبولة نوعما تسبب مشكلة بحد ذاتها. اذ كيف يتم اختيار تصنيف معين دون سواه؟ وليس هناك ما يدعو الى الافتراض ان مجموعة الافعال الادائية في اللغة الانكليزية او في اية لغة اخرى يمكنها ان تميز الانواع المختلفة كافة من القوة اللا كلامية وليس من سبب لافتراض ضرورة وجود تحليل صحيح فريد من نوعه لهذه الافعال يمكن تطبيقه على جميع الثقافات وجميع اللغات، بل ان الاغلبية الساحقة من الافعال الادائية في اللغة الانكليزية وفي اللغات الاخرى معتمدة على الثقافة على نحو جلي. فعلى سبيل المثال يعتمد معنى واستخدام الفعل «يُقسِم» على العرف الثابت حضاريا الخاص باداء القسم، بقدر اختلافه عن معنى واستخدام الفعلين «يعد» و «يتعهد» من ناحية، او اختلافه عن معنى واستخدام الافعال «يعاهد» و «يعقد» و «يكفل» من ناحية اخرى.

يضاف الى ما تقدم انه اصبح اليوم واضحا لدينا ان من الخطأ ان نولي اهتماما خاصا بالافعال الادائية. نعم ان لهذه الافعال مكانة خاصة في صياغة اوستن

الاصلية للتمييز بين الوحدات الكلامية البيانية والوحدات الكلامية الادائية، وربما كان سبب ذلك اهتمام اوستن في ذلك الوقت بشكل خاص بالاكذوبة الوصفية.

واذا نظرنا لى الجمل من وجهة النظر هذه، فسنجد ان جملا مثل الجملة التالية :

«أعد أنْ ادفع لك خمسة باوندات»

تحظى باهمية نظرية اعظم من الاهمية النظرية التي تحظى بها جمل مثل الجملة التالية :

«سادفع لك خمسة باوندات»

وليس لدينا اي مبرر لتحديد اهتمامنا بالجمل الخبرية ذات الافعال الادائية حسب المفهوم الاخير والاعم للقوة اللا كلامية .

يجدر بنا ايضا ان نلاحظ في هذه المرحلة ان تعريف «الادائي الصريح» الذي سبق ان قدمته في هذا الفصل («الادائي الذي يتضمن نقش الكلام بموجبه تعبيرا يوضح نوع الفعل الذي يجري اداؤه») لايشير الى الافعال الادائية بحد ذاتها، فعلى سبيل المثال قد يستخدم التعبير «وحق السماء» افراد مجموعة معينة من الناطقين باللغة الانكليزية بديلا صريحا معادلا لاستخدام الفعل «يقسم» ليشير الى ان هؤلاء الناطقين يريدون ان يؤدوا قسما. ففي هذه الحالة وفي ظروف مناسبة تعتبر الجملة التالية :

وحق السماء ، سادفع لك خمسة باوندات

جملة ادائية صريحة وما هي الا خطوة قصيرة نحو الاعتراف بالاحتمال الاخر، وهو انه يجب على المتحدث ان يكون قادرا على التعبير صراحة عن القوة اللا كلامية لهذه الوحدة الكلامية، وذلك باستخدام اداة شكلية خاصة او صيغة فعل خاصة او انموذج تنغيم خاص ايضا، وليس باستخدام تعبير خاص، وساعود الى هذه النقطة فيما بعد .

ومما تقدم ولاسباب مختلفة يبدو انه ليست هناك جدوى كبيرة في رسم خطط شاملة وعامة مزعومة لتحليل القوة اللا كلامية مبني على وجود مجموعة معينة من

الافعال الادائية في لغات معينة، وربما كانت الجدوى اقل في محاولة ايجاد تصنيف محكم لافعال الكلام الممكنة كافة بموجب الشروط اللازمة والكافية التي ينبغي توفرها لكي يمكن اعتبار هذه الافعال امثلة من صنف معين دون سواه. ان الغالبية العظمى من افعال الكلام، كما قلت سابقا، محددة ثقافيا، اي انها تعتمد على التقاليد الشرعية او الدينية او الخلقية وعلى الممارسات العرفية السائدة في مجتمعات معينة. فاذا كان المجتمع مجتمعا مشابها لمجتمعنا تسوده مباديء راسخة لاتخاذ قرار شرعي بخصوص ما اذا كان ينبغي اعتبار شيء معين مثلا نقضا لعقد ام لا، فسيكون من السهل نسبيا ان نفترض شروطا لازمة وكافية لتكوين افعال الكلام لهذا النوع بالذات. ولكننا نخدع انفسنا اذا اعتقدنا ان افعال الكلام كافة منظمة على هذا النحو في المجتمعات التي تستخدم فيها. وحتى عملية اعطاء الوعد التي تبدو سهلة التحديد حسب ظروف تنظيمها تبدو على انها مشكوك في امرها من وجهة النظر هذه. ومما لاشك فيه ان امكانية اعطاء وعد في ضوء المعنى الذي نفهمه للفعل «يَعد» في اللغات والثقافات كافة زعم فيه جدل، ومع ذلك فان مزاعم من هذا النوع نجدها عموما في المؤلفات ذات التخصص الواسع في نظرية افعال الكلام.

مع ان معظم افعال الكلام محددة ثقافيا، فان هناك افعال كلام اخرى يفترض ان تكون واسعة الانتشار وربما عامة، وتتضمن هـذه افعالا تستخـدم للتعبير عن الجمل الخبرية وطرح الاسئلة واصدار الاوامر، ولقد جرت مناقشات على اسس فلسفية مفادها ان هذه الاصناف الثلاثة من الأعمال اللا كلامية ليست عامة حسب بل انها اساس حسب معنيين من معاني كلمة «اساس» اولهـما انه لايمكن لمجتمـع بشري ان يقوم من غير ان يكون لافعال من هذا النوع دور، وثانيهما هو ان العديد من الاعمال اللا كلامية المحددة ثقافيا ان لم نقل بكلها يمكن اعتبارها تخص فرعا اكثر تخصصا من فروع هذه الاصناف الاساسية الثلاثة، فعلى سبيل المثال، وكما ذكرت

سابقا، ان القَسَم بان شيئا ما هو هكذا يعتبر بوضوح فعلا محددا ثقافيا، ولكن القَسَم بان شيئا ما هو هكذا يعتبر كذلك طريقة تقرير خبرية قوية، وان التقرير الخبري هذا اساسي وعام كما يعتقد .

لن ادخل في بحث موضوع العلاقة بين افعال الكلام الاساس وغير الأساس على اني سأؤكد على نقطة واحدة بالذات وهي انه حتى لو كانت الافعال الاساس المزعومة المستخدمة لتقرير الجملة الخبرية وطرح الاسئلة واصدار الاوامر افعالا عالمية، فانها تنظم كذلك في المجتمعات كافة بواسطة مؤسسات وممارسات ومعتقدات محددة ثقافيا تقريبا . وفي هذا الخصوص يعتبر الاسلوب المهذب احد الابعاد الملموسة للاختلاف في الثقافات، فاقحام المرء نفسه في الحديث امر غير مهذب في المجتمعات كافة، اي ان يتكلم المرء عندما لايخوله دوره الاجتماعي اية سلطة او اسبقية ، او بعبارة اخرى عندما لا تمنح القواعد التي تتحكم في اخذ الدور في ذلك المجتمع السلطة للفرد في ان يتحدث في تلك المرحلة . وكذلك تعتبر المبالغة في ممارسة المرء لسلطته الكلامية وسلطته اللا كلامية دليلا على سوء التهذيب في بعض المجتمعات، فعلى سبيل المثال قد يعتبر التأكيد المفرط الصريح او أصدار امر صارم مفرط عملا غير مهذب في ظروف معينة . ويمكن شرح اصل الانواع المختلفة لافعال الكلام غير المباشرة و الاستخدام التقليدي نوعيا لها وذلك باستخدام مصطلحات مماثلة لهذه المصطلحات، فعلى سبيل المثال يفضل في اللغة الانكليزية استخدام could you pass the sugar? هل باستطاعتك ان تناولني السكر ؟ (وهو سؤال في الاصل ويحمل عموما علامات تنقيط السؤال في صيغته المدونة) على استخدام pass the sugar ناولني السكر (امر مباشر)

وعلى اية حال ليس الاسلوب المهذب الابعدأ من ابعاد التغيير الثقافي التي تنظم استخدام افعال الكلام الاساسية المزعومة، وهو فضلا عن ذلك لايستخدم

على نمط واحد في المجتمعات كافة على الرغم من ان له اثرا معينا عبر الثقافات وعلى انه يعتبر عاما حسب تفسير هذه الصفة في «الاسلوب المهذب»، وعليه ينبغي على المرء ان يكون حذرا وان لايفترض ان التعاليم المبنية على خبرته لنوع معين من انواع المجتمعات ينبغي ان تكون صحيحة في المجتمعات البشرية كافة. ولن ادخل في تفاصيل هذه النقطة اكثر من هذا، الا انني ساطلب من القارىء ان يتذكر هذه المسألة في الحديث الذي سياتي فيما بعد؛ كما انني سأشير الى المؤلفات الحديثة في علم اللغة الاجتماعي وفي الذرائعية، وذلك في نطاق مناقشة الدور الذي يقوم به الاسلوب المهذب والعوامل الاخرى التي تؤثر في تنظيم السلوك اللغوي في الثقافات المختلفة، وساعطي امثلة على ذلك.

الخبر و السؤال و الامر

اننا نفترض ان اللغات تهيىء لمستخدميها وسائل للادلاء بالخبر وطرح الاسئلة واصدار الاوامر، على ان هذا الافتراض لايعني ان اللغات كافة تصوغ هذه الفروق في القوة اللا كلامية صياغة نحوية. وكما شاهدنا سابقا في الفصل السادس انه من الممكن تماما ان تكون الجمل حيادية من حيث نوعها وصيغة فعلها، وهذه هي الجمل التي ليست خبرية ولا استفهامية من ناحية، ولا هي تقريرية ولا شرطية ولا امرية من الناحية الاخرى. ومع ذلك فلابد ان يكون واضحا اننا نعرف العمل اللا كلامي الذي يجري انجازه عند نطق احدى هذه الجمل، ويتضح هذا لا عن طريق السياق الذي تظهر فيه الجملة حسب، بل كذلك عن طريق التركيب العروضي المضاف الى محصلة الرمز الكلامي. فعلى سبيل المثال، لو افترضنا انه ليست هناك جمل استفهامية في اللغة الانكليزية بحيث تكون الجملة التالية:

«الباب مفتوح»

غير خبرية، انما محايدة من حيث نوع الجملة، فعندئذ سيكون بالامكان نطق هذه

الجملة (الباب مفتوح) مثلا بتنغيم نازل عند الادلاء بخبر، وبتنغيم صاعد عند طرح سؤال. لقد وضحت هذه النقطة سابقا ويمكن الان تعميمها في ضوء الوصف الاكثر تعقيدا لعملية نطق الجمل الذي وضعت خطوطه العريضة في هذا الفصل .

ولكننا اكدنا سابقا ايضا ان لغات عديدة بما فيها اللغة الانكليزية، تصيغ الفوارق في نوع الجملة والصيغة صياغة نحوية، كما اننا اكدنا على ان هناك علاقة جوهرية بين نوع الجملة والصيغة من ناحية، وبين ما نسميه الان بالقوة اللا كلامية من الناحية الاخرى، ولكن ماهي طبيعة هذه العلاقة؟ وكيف يختلف الخبر والسؤال والامر فيما بينها دلاليا؟ ساختصر في هذا الخصوص بتقديم جواب جزئي من وجهة نظر معينة .

والادلاء بخبر هو التعبير عن قضية وعن موقف معين تجاه هذه القضية في الوقت ذاته، وساسمي هذا الموقف **التزاما معرفيا** لا سباب سيتم توضيحها على نحو اوفر عند ما نلقي نظرة على فكرة الهيئة (إن المصطلح «معرفي» مشتق في الأصل من كلمة يونانية تعني «المعرفة» ويستخدم علماء المنطق هذا المصطلح عند الاشارة الى فرع من فروع علم المنطق الشكلي الذي يبحث في المعرفة والامور المتعلقة بها) . وعندما يعبر المرء عن قضية معينة يصبح ملزما بها، ولا يعني هذا ان عليه معرفة صدق هذه القضية او يعتقد بصدقها، بل يعني ان الجملة الخبرية اللاحقة يجب ان تكون متوافقة مع الاعتقاد بصدق هذه القضية. وكذلك هو الحال فيما يخص اي شيء يمكن استنتاجه على نحو مشروع من سلوكه اللاحق والملازم. وعلى هذا الاساس يظهر عدم قبول الجملة التالية :

انها تمطر ولكني لا اعتقد بهذا

(باعتبارها جملة خبرية). وعند الادلاء بجمل خبرية مماثلة يشعر المتحدث انه مذنب بنقص الالتزام المعرفي .

وعندما يسأل المرء سؤالا فهو يعبر عن قضية معينة، كما ان يعبر عن موقفه من

عدم الالتزام فيما يخص قيمة الصدق لهذه القضية في الوقت ذاته، ولكن الامر اوسع من هذا، فكما شاهدنا في الفصل السادس ، تعتبر الجملة التالية :

هل الباب مفتوح ؟ هذا سؤال لا اريد ان اسأله

جملة مقبولة تماما، نفي هذه الحالة يطرح سؤال ولا يسأل. ليس اذن طرح السؤال مجرد التعبير عن موقف عدم الالتزام بقضية ما، اي طرح قضية على هيئة سؤال، انما الغاية من طرحه ايضا ان يوضح المرء للشخص المشترك معه في الحديث على نحو عروضي او شبه لغوي او غيره من انه يتوخى فيه ان يحل له حيرته، وذلك بتخصيص قيمة صدق للقضية التي تهمه، وعلى هذا الاساس ولا سباب اخرى لا تعتبر الاسئلة بطبيعتها فرعا من فروع الامر او الطلب. ويمكن طرحها دون الاستفسار بها، وهي بحد ذاتها لاتحتاج او لا تدعو الى الاجابة عنها .

وماذا عن الامر والطلب؟ انهما يختلفان عن الخبر والسؤال في انهما ينطويان على نوع مختلف من انواع الالتزام من جانب المتحدث وهو الالتزام الخلقي (ان المصطلح «خلقي» مشتق في الاصل من كلمة يونانية ذات صلة بفرض الالتـزامات، وهـو مستعار من علم المنطق الشكلي، شأنه في هذا شأن المصطلح «معرفي») . وعندما يصدر المتحدث امرا فهو يلزم نفسه لا بصدق قضية من القضايا او حقيقتها، وانما يلزم نفسـه بضرورة القيـام بفعـل مـا، ويمكن التعبـير عن المسـألـة ذاتهـا حسب المصطلحات التقليدية وذلك بالقول ان المتحدث يعبر لا عن شعوره با[illegible] في حالة معينة، انما يعبر عن رغبته في ان يكون الامر بتلك الحالة .

ويعبر المتحدث في الطلب عن رغبته في ان يكون شيء في حالة معينة، الا انه يسلم للمخاطب بوضوح حق عدم الالتزام . ويعتبر الطلب من هذه الناحية مماثلا لما يدعى بالاسئلة المستميلة، وهي اسئلة مماثلة للسؤال التالي :

الباب مفتوح، اليس كذلك ؟

اذ يعبر المتحدث من خلاله عن التزامه الخاص بقيمة الصدق لقضية «الباب مفتوح»، ولكنه في الوقت ذاته يسلم للمخاطب حق رفضه. هناك طريقة اخرى للتعبير عن هذه المسألة ان نقول ان المتحدث يعبر عن التزامه من خلال الاسئلة المستميله للاجابة ومن خلال الطلب بمكون الجملة «ان الامر هكذا» او «هكذا هو الامر»، وانه يدعو المخاطب لان يفعل الشيء ذاته .

قدمت تحليل الخبر والسؤال والطلب هنا بايجاز مما يوحي ان القوة اللا كلامية لكل من هذه المحاور يمكن تحليلها الى عاملين مكونين : مكون الالتزام (اقول هكذا) او مكون عدم الالتزام من ناحية، وما يمكن الاشارة اليه بالمكون الشكلي للحقيقة (ان الامر هكذا) مقابل الرغبة (ليكن الامر هكذا) من الناحية الاخرى. ولقد استخدمت المصطلح (شكلي) في هذا الخصوص بدلا من تقديم مصطلح اكثر تخصصا) لسببين : اولهما هو ان التمييز بين الحقيقة والانواع المختلفة من اللاحقيقة يقع ضمن مجال ما يشير اليه علماء المنطق بالشكلية، ولقد مهدت الطريق لمعالجتنا للشكلية وذلك بتقديم للمصطلحين «معرفي» و «خلقي» على نحو متعمد، ثانيا تصاغ هذه التمييزات نحويا بشكل عام في اللغات ضمن باب صيغة الفعل، ومن المهم ان ندرك، على اية حال، ان صيغة الفعل في اللغات الطبيعية يمكنها ايضا ان تضفي الصفة النحوية على الانواع المختلفة من درجات الالتزام، وهنا يجب ان لا نخلط بين باب صيغة الفعل وبين ما يشير اليه بعض علماء المنطق بصيغة فعل القضية، وكما سنرى فيما بعد ان صياغة الشكلية صوريا وصيغة الفعل والتي نادى بها علماء المنطق ترتكز على جعل مكون الالتزام الذاتي الجوهري موضوعيا .

اذا كان للغة ما صيغة نحوية مستخدمة على نحو واضح ومتميز لغرض التعبير عن الالتزام المعرفي التام للمتحدث فان تلك الصيغة توصف تقليديا بانها صيغة تقريرية وعلى نحو مماثل، اذا كان للغة ما صيغة نحوية مستخدمة بوضوح وبتميز

لغرض فرض ارادة الفرد على الاخرين، فان تلك الصيغة توصف تقليديا بانها صيغة الامر، وسنرى في الفصل العاشر، هناك طرق مختلفة يمكن للمتحدث بموجبها ان يصف التزامه المعرفي والخلقي. ان كل اللغات الطبيعية المستخدمة نطقا توفر لمستخدميها الوسائل العروضية وشبه اللغوية التي تمكنهم من القيام بهذا العمل، وان بعض اللغات، وليس كلها تضفي الصفة النحوية على الانواع المختلفة من الالتزام وعلى درجاته المختلفة ضمن باب صيغة الفعل، كما ان البعض الاخر من اللغات تحدد وحدات معجمية او شبه معجمية لهذه الانواع المختلفة من الالتزام وللدرجات المختلفة له وذلك بواسطة الظروف الشكلية والادوات الشكلية . وسنعود الى مناقشة هذه المسائل فيما بعد، وذلك عندما نتناول موضوع مفهوم الذاتية، ولقد ذكرتها هنا دون متابعة مفصله ودون اعطاء امثلة، وكان هدفي في ذلك ان ابين كيف يمكن اعادة صياغة نظرة تقليدية نوعما لصيغة الفعل ضمن اطار نظرية افعال الكلام وكما شاهدنا في هذا الفصل ، بدأ اوستن مناقشته بتحديد الاوليات الصريحة باعتبارها نوعا خاصا نوعما من انواع الوحدات الكلامية التي يقوم المتحدث بفعل ما من خلال النطق بها بدلا من قول شيء ما بواسطة اللغة، ثم ادرك اوستن فيما بعد ان الاقوال كافة هي افعال، وان انواع القول كافة ـ بما فيها تقديم الخبر والسؤال والامر والطلب ـ يجري تنظيمها بواسطة المفاهيم الاساسية للسلطة والالتزام .

لقد اكد اوستن القاعدة الاجتماعية لهذه المفاهيم، وهو يؤيد من ناحية رأي وتكنشتاين ولو ضمنا، ومن الناحية الاخرى فهو يؤيد رأي كرايس، كماسنرى ذلك في الفصل القادم، وكان باستطاعة اوستن ان يؤكد على الحالة الشخصية او المعبرة لمفاهيم السلطة والالتزام . وهذا هو المعمول به في المعالجات التقليدية لصيغة الفعل التي يتم التعبير عنها حسب رأي المتحدث وارادته. وهنا وكما هو الحال دائما تندمج الحالة المعبرة مع الحالة الاجتماعية، ولا يمكن باية حال من الاحوال التمييز بينهما،

وينطبق هذا لا على استخدام اللغة فحسب بل انواع سلوك الاتصال كافة .

والان ينبغي توضيح نقطة ختامية. ان نظرية افعال الكلام يتم تبنيها او انتقادها احيانا كما لو كانت البديل لعلم دلالة شروط الصدق، وينبغي ان يكون واضحا من خلال الفصول السابقة من هذا الكتاب ان هاتين النظريتين متممتان احداهما للاخرى من حيث المبدأ، فعلم دلالة شروط الصدق يمثل نظرية المحتوى لقضايا الجمل بينما تعالج نظرية افعال الكلام، ان صح اعتبارها نظرية او ان كانت ترقى الى مستوى النظرية، القوة اللا كلامية للوحدات الكلامية. لقد كتب مؤخرا علماء اللغة والفلاسفة الكثير عن صواب او خطأ ادعاء اوستن في ان جملا مثل

(اعد ان ادفع لك خمسة باوندات)

في حالة اعطاء وعد هي جمل ليست صادقة ولا كاذبة، بل هي اما جمل فعالة او غير فعالة. ولم اذكر شيئا عن هذا الجدل هنا، لانه حسب اعتقادي ليست هناك جدوى من وضع حل للمشكلة بشكل او اخر، فالقوة اللا كلامية للجمل الخبرية الوصفية الاعتيادية مثل انها تمطر لا يمكن شرحها على نحو مرض ضمن اطار علم دلالة شروط الصدق، ويتفق اوستن في الرأي مع (فراغه) فيما يخص هذه النقطة، واعتقد ان هذه مسألة لا تقبل الجدل

الخلاصة

تحدثت في هذا الفصل بشيء من التفصيل نظرية افعال الكلام لاوستن، وبينت كيفية استخدامها في التمييزين معنى الجملة ومعنى الوحدات الكلامية، ولقد انصب اهتمامي على تحليل الاعمال الكلامية باعتبارها تختلف عن الاعمال اللاكلامية اكثر من الاهتمام الذي يوليه عادة الفلاسفة وعلماء اللغة لهذا الموضوع، ووضحت بشكل خاص انه لا يمكن اعتبار الجمل انواعا من نقوش الكلام، ومن خلال معالجتي للقوة اللاكلامية ولما يسمى بافعال الكلام غير المباشرة اكدت على

العوامل الاجتماعية والثقافية المؤثرة على المعنى (كما فعل اوستن)، و قدمت فكرة الالتزام المعرفي وفكرة الالتزام الخلقي اللتين ستكون لهما اهمية جوهرية في الفصل الاخير من هذا الكتاب .

الفصل التاسع
كيف نفهم الوحدات الكلامية
النص و السياق

———

«ان الافتراض الأساس . . . ان كل نص يعتبر مكونا من مكـونات سيـاق ظرف معين»

جي آر فِرث : نبذة عن النظرية اللغوية

انا ما زلنا نعمل ضمن الافتراض القائل ان معنى الوحدة الكلامية يعتمد بشكل جوهري على السياق على انني لم احاول حتى الان ان احدد ما هو السياق ولا كيف يحدد معنى الوحدات الكلامية ويسيطر على فهمنا لها، كما انني لم اتطرق الى النص المنطوق والنص المدون، ومع ذلك يتضح لنا انه حتى الوحدات الكلامية التي يبلغ حجمها حجم الجملة من النوع الذي ناقشناه في الفصل السابق يمكن تفسيرها على اساس مقدار كبير من المعلومات السياقية المفهومة ضمنا في غالبيتها .

ساناقش في هذا الفصل كلا من النص والسياق، فكل منهما متمم للاخر، وكما سنرى ذلك لاحقـا يفترض مسبقـا كل منهـما الاخر، وتعتبـر النصوص مكـونات للسياقات التي تظهر فيها اما السياقات فيتم تكوينها وتحويلها وتعديلها بشكل دائم بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدثون والكتاب في مواقف معينة

قبل ان نستطيع التحدث على نحو معقول عن العلاقة بين النص والسياق ينبغي علينا ان نلقي نظرة ثانية على حالة الجمل .

لقد بينا في الفصل السابق ان معظم نقوش الكلام اليومية عندنا ليست جملا، فبعضها تعابير جاهزة ذات صيغة ثابتة مثل : **ياللسماء ! و كلما قل الكلام سهلت اعادة اللام**، وهلم جرا، ولن اتحدث عنها اكثر من هذا، انما اوردتها هنا لمجرد الاشارة الى ان هناك تعابير مماثلة في اللغات كافة محدودة العدد وذات تركيب نحوي محدد نوعما في بعض الحالات، ولكن يمكن تفسير صيغتها ومعانيها على نحو تزامني بموجب النطق بالجمل. وينبغي بطبيعة الحال تفسيرها في وصف التركيب النحوي والدلالي للغات معينة، الا انها لا تثير مشاكل تختلف في نوعها عن المشاكل التي تحصل عن تحليل المجموعة اللا متناهية التي تظهر نتيجة للنطق بالجمل، وتحتل هذه المجموعة اللا متناهية من نقوش الكلام جُل اهتمامنا هنا. ان نتاج النطق بجملة ما ليس جملة بالضرورة مع ما يبدو في هذا الامر من تناقض.

ولكن التناقض الظاهري سرعان ما يزول اذا ما ميزنا بين مفهوم تجريدي وآخر محسوس للفظة «جملة»، فالجمل حسب المفهوم الاول تعتبر تراكيب نظرية يقترحها عالم اللغة ليفسر بواسطتها الحالة النحوية المقبولة لوحدات كلامية محتملة معينة، وكذلك ليفسر حالة عدم الاستقامة النحوية لوحدات كلامية اخرى . وقد يكون لهذه التراكيب نوع معين من انواع الاثر النفسي في انتاج وتفسير الوحدات الكلامية اللغوية، او قد لا يكون لها هذا الاثر، الا انها لا تظهر بكل تأكيد كنتاجات منقوشة يمكن تدوينها للوحدات الكلامية، وساشير الى هذه الجمل حسب هذا المفهوم الاكثر تجريدا للمصطلح «جملة» **بجمل النظام** ، وهذه هي جمل يتم توليدها بواسطة القواعد النحوية لنظام **لغوي معين** (وتطبق هذه القواعد على المفردات الخاصة

بالنظام اللغوي ذاته)

نأتي الان بالمصطلح جملة النص للمعنى المحسوس «للجملة» وهو المعنى الذي تعتبر الجمل بموجبه فرعا من فروع نقوش الكلام، وقد تظهر هذه الجمل (في بعض اللغات على الاقل) على شكل نصوص كاملة او على شكل اجزاء نصوص. ان هذا يمكننا من القول ان نطق جملة نظام معينة كالجملة التالية :

« لم ارَ ماري » I have not seen Mary

يؤدي في بعض السياقات الى نتاج جملة نص كالجملة التالية :

لم ارَ ماري Ihave not seen Mary (يمكن دمج have , not في صيغة haven't، او ان يتركا بلا دمج، كما يمكن اضافة تركيب عروضي مناسب سياقيا) . قد تبدو هذه العملية مشابهة لعملية مضاعفة الكيانات النظرية دون مبرر. على ان في هذا نفعا كبيرا.

لقد قلت ان نطق جملة ما لا يؤدي بالضرورة الى جملة، ويمكن توضيح هذا بسهولة وذلك بالاشارة الى الوحدة الكلامية I have not seen Mary؛ ولنفترض اننا صادفنا النص التالي مدونا او محكيا :

Have you seen Mary? I haven't . peter hasn't either . she is never here when she should be

هل شاهدت ماري ؟ لا . ولا بيتر انها لا تأتي الى هنا مطلقا عندما يجب

يتبين لنا ان هذا النص يتكون من وحدات نص اربع ، ويمكن عادة وصف اولاها فقط على انها جملة تامة، اما الوحدات الثلاث الاخرى بما فيها Ihaven't فهي بقايا من جمل حصل فيها حذف، ومع ذلك تعتبر Ihaven't في هذا السياق نتاجا للوحدة الكلامية I have not seen mary « لم ار ماري »

تماما مثلما تكون جملة النص I have not seen mary لم ار ماري نتاجا للوحدة الكلامية ذاتها في سياقات اخرى . ولا يمكننا تحديد محتوى القضية لها مالم نكن قادرين على تحديد الجملة التي تم نطقها عند اداء العمل الكلامي الذي تكون

Peter hasn't نتاجا له في هذا السياق . وينطبق الشيء ذاته بطبيعة الحال على Ihaven't either ولابيتر بقدر علاقتها بـ petr has not seen mary بيتر لم يشاهد ماري وينطبق الشيء ذاته كذلك على she is never here when she should be **انها لا تأتي الى هنا مطلقا عندما يجب** بقدر علاقتها بـ Mary is never here when she should be ماري لا تاتي الى هنا مطلقا عندما يجب

من المهم انه ندرك انه على الرغم من انني ادخلت عددا من المصطلحات التقنية لمعالجة الفروق النظرية الضرورية، فان الفروق نفسها حقيقية في خبرتنا اليومية لاستخدام اللغة. ولا نلاقي صعوبة في البت في ان I haven't «لا» لها محتوى القضية الذي تحمله I have not been to switzerland لم اقم بزيارة لسويسرا في سياق اخر ، كما ان لها المحتوي الافتراضي الذي تحمله I have not got any money ليست لدي اية نقود في سياق ثالث وهلم جرا، وفي الواقع يمكن لـ I haven't «لا» ان تحمل غموضا لا حصر له عندما تكون خارج السياق، اما اذا استخدمت في سياق معين فانها تفقد غموضها، حيث يمكن تحديد الجملة التي نطق بها من بين الجمل الانكليزية اللا متناهية العدد ذات التركيب النحوي السليم، وساستمر في استخدام المصطلح «جملة» حسب المعنيين، معتمدا في ذلك على التمييز في الرموز بين علامات الاقتباس المفردة وبين الحروف المائلة لتوضيح نوع الوحدات التي اشير اليها .

ما هو النص ؟

لنتفق في الرأي على ان النص والسياق يكمل احدهما الاخر، وسأناقش السياق عما قريب. ولكن ما هو النص ؟ من الاجوبة الشائعة القول ان النص عبارة عن جمل متتابعة. ان هذا الجواب في وصفه الحالي جواب غير مرض، اذا كانت «الجملة» تعني «جملة ـ نص»، كما ينبغي لها ان تعني في هذا السياق حقا ان هناك بعض النصوص التي ينطبق عليها هذا التعريف، خاصة النصوص ذات السمة

الاكثر رسمية ، الا ان اغلبية النصوص المستخدمة في اللغة الدارجة اليومية تتكون من خليط من الجمل واجزاء الجمل وتعابير كلامية جاهزة ، على ان هذا النقص في التعريف الذي قدمته توا يعتبر مجرد وجه واحد من اوجه عجز اكثر خطورة الا وهو اخفاق هذا التعريف في توضيح حقيقة ان الوحدات التي يتكون منها النص ، جملا كانت ام غير جمل ليست مجرد وحدات متصلة مع بعضها البعض في سلسلة ، انما ينبغي ربطها بطريقة مناسبة من حيث السياق ، وعلى النص في مجمله ان يتسم بسمات **التماسك و الترابط**

اننا لا نستطيع ان ندخل في تفاصيل التمييز بين التماسك والترابط كما طرحه مؤخرا العاملون في حقل علم لغة النص وتحليل الحديث . . فلهذا التمييز بصورة عامة علاقة بالفرق بين الشكل والمحتوى ، ويعتبر التمييز من هذا النوع جذابا حدسيا ويمكن تبريره نظريا . ولنعد الان الى نصنا الانموذجي : لقد نتج عن الوحدة الكلامية I have not seen mary لم ار ماري ؟

الصيغة I haven't وليس I have not seen mary وهذه مسألة التماسك ، وكذلك هو الحال فيما يخص استخدام either في peter hasn't ether ، وينطبق الشيء ذاته كذلك على استخدام الضمير she بدلا من mary في العبارة الاولى من الجملة المعقدة she is never here when she wanted واذا غيرنا نسق وحدات النص الثلاث الاولى ووضعناها في الترتيب التالي :

peter hasn't either I haven't . Have you seen mary? فسد التماسك ، ويفسد التماسك ايضا اذا عوضنا عن كل من وحدات النص بما يماثها من جمل النص الكاملة وعلى النحو التالي :

Have you seen mary? Ihaven't seen mary . peter hasn't seen mary (either). mary is never here when sheShouldbe here.

هل شاهدت ماري ؟ أنا لم اشاهد ماري . بيتر لم يشاهد ماري ايضا . ان ماري لم تأت الى هنا مطلقا عندما يجب ان تأتي الى هنا .

من الواضح ان هذه السلسلة من الوحدات ليس لها الربط ذاته الذي كانت تحمله السلسلة الاصلية من الوحدات، ولهذا السبب يصعب اعتبارها نصا ولو ان هذا ليس مستحيلا بدلا من اعتبارها صفا من الوحدات الكلامية استخدام غير المترابطة مع بعضها البعض، وان الحذف واستخدام الضمائر وكذلك استخدام ادوات الربط الخاصة وادوات العطف (مثل **لهذا** و **وهكذا** وهلم جرا)كلها تساعد على تكوين وادامة ذلك النوع من الربط الذي ينطبق عليه مضمون المصطلح «التماسك الشكلي» وتختلف اللغات بشكل ملحوظ في درجة السماح لمستخدميها او حملهم على ربط وحدات النص مع بعضها البعض في سلسلة وذلك باستخدام المؤشرات الواضحة للتماسك .

اما النوع الاخر من الربط ـ الترابط ـ فهو يخص المحتوى ولا يخص الشكل، فان ما يجري قوله في وحدة نص يفترض ان يكون **وثيق الصلة** بما قد قيل توا في وحدات النص التي تسبقه مباشرة، وذلك في حالة عدم وجود اي مؤشر سياقي يفيد عكس ذلك ، فعلى سبيل المثال، نرى في نصنا الانموذجي ان محتوى القضية لوحدة النص الرابعة انها **لا تأتي الى هنا مطلقا عندما يجب ان تأتي الى هنا** يعتبر عادة وثيق الصلة بمحتوى القضية لوحدات النص الثلاث التي تسبقه. وعلى وجه الخصوص سنفهم ان she تشير الى ماري (بموجب التماسك)، كما سنفهم ان الخبر العام الذي يصدره المتحدث عن ماري هو تعقيب على غيابهافي ذلك الوقت، وليس تعبيرا عن فكرة عابره لا صلة لها بذلك. وعلى نحو مماثل لو سمعنا او قرأنا السلسلة التالية المؤلفة من جملتي النص :

ذهب افراد العائلة كافة الى المدينة يوم السبت الماضي . واشترت فيرونيكا بدلة بينما

قام جون بإشغال الاطفال في مخزن اللعب

فاننا سنفترض عادة ان فيرونيكا هي احدى افراد العائلة؛ وانها الام افتراضا، وانها اشترت البدلة من المدينة، وان مخزن اللعب كان ايضا في المدينة. ومع ذلك لم تتم صياغة اي افتراض من هذه الافتراضات على نحو واضح. كما ان الافتراضات هذه اقل تأكيدا، وقد يتناقض احد هذه الافتراضات في سياقات محددة من النطق مع افتراضات اخرى هي جزء من المعرفة الخلفية للمتحدث او السامع.

سنعود الى موضوع الترابط وموضوع الصلة في وقت لاحق في هذا الفصل. وفي هذه الاثناء سأوكد على نقاط ثلاث، اولها السؤال «ماذا يعني النص؟» وهو سؤال اشمل بكثير من السؤال «ماهو تعريف نص ما؟» فالنصوص مدونة كانت ام محكية، يتم تركيبها عن قصد من قبل مؤلفيها على هيئة وحدات كاملة متميزة ذات بدايات ونهايات محددة، وان معظم النصوص التي نطلقها في استخدامنا اليومي للغة ليست منظمة في نصوص متكاملة حسب هذه الطريقة.

اما النقطة الثانية التي ينبغي ملاحظتها فهي حسب ما استخدمنا المصطلح «نص» فان جمل النص القائمة بذاتها وبقايا الجمل وتعابير كلامية ثابتة كلها تعتبر نصا بالنسبة لسياق وحداتها الكلامية بغض النظر عن استخدمها ضمن امتدادات اوسع من النص ام لا.

واخيرا يجب التأكيد ان الوصف الذي قدمته عن افعال الكلام. في الفصل السابق يقصد من ورائه من حيث المبدأ شمول نواحي انتاج النص كافة. ولم يهتم اصحاب نظرية افعال الكلام كثيرا حتى الان الا بانتاج جمل النص، الا ان نطق الجملة يشمل من ناحية عملية وعلى الدوام وضع هذه الجملة في سياق معين، وهذا يعني عملية جعل نتاج النطق متماسكا ومترابطا بالنسبة للسياق الذي يظهر فيه، وكما قلت سابقا، ان النص والسياق يتمم احدهما الاخر. فما هو السياق؟ وما علاقته

معنى الوحدة الكلامية والسياق

يحدد السياق معنى الوحدة الكلامية على مستويات ثلاثة متميزة في تحليل النص ، فهو يحدد اولا اية جملة تم نطقها ـ ان تم فعلا النطق بجملة . ثانيا انه يخبرنا عادة اية قضية تم التعبير عنها ـ ان تم التعبير عن قضية، ثالثا انه يساعدنا على القول ان القضية تحت الدرس قد تم التعبير عنها بموجب نوع معين من القوة اللا كلامية دون غيره . ويكون السياق في الحالات الثلاث هذه ذا علاقة مباشرة بتحديد مايقال حسب المعاني المتعددة التي يحملها الفعل «يقول» والتي تم تحديدها في الفصل السابق .

ولكن معنى الوحدة الكلامية يتجاوز ما يقال فعلا، اذ انه يتضمن ايضا ما هو مقصود ضمنا (او ما يفترض مسبقا)، وللسياق صلة وثيقة بهذا الجزء من معنى الوحدات الكلامية، وسنركز اهتمامنا في هذا القسم على مايقال، اي على ناحيتين من نواحي معنى الوحدة الكلامية : الناحية الكلامية والناحية اللا كلامية، وسنعتمد في بادىء الامر على المفهوم الاعتيادي الادراكي لما يعنيه السياق، ومن خلال مناقشتنا للاعمال الكلامية يتضح لنا ان السياق قد يحدد لنا الجملة التي تم نطقها، وكما شاهدنا سابقا يمكن لامارات نقش الكلام ذاته ان تظهر نتيجة لنطق جمل مختلفة في مناسبات مختلفة، وفي حالات كهذه سيكون نقش الكلام ذاته غامضا عادة نحويا او معجميا. فعلى سبيل المثال تعتبر الجملة التالية :

they passed the port at midnight

لقد مروا بالميناء عند منتصف الليل او لقد ناولوا الخمر المعتق عند منتصف الليل

غامضة معجميا (وربما نحويا) في الانكليزية، على انه سيتضح عادة من خلال السياق

اي من اللفظتين المتجانستين port («ميناء») او Port («نوع من انواع الخمر المعتق») هي المستخدمة، كما سيتضح ايضا ان معنى واحدا من المعاني المتعددة للفعل pass هو المقصود، وعلى الرغم من ان تعدد المعنى، خلافا للجناس، لا يمكننا من التمييز بين جملة واخرى فقد يترتب على هذا ان تكون لجملة واحدة معاني متعددة واضحة نسبيا، ففي حالة مصاحبة الفعل pass لـ نوع من انواع الخمر المعتق خارج السياق سيكون ابرز معنى لهذا الفعل بلا شك هو معنى «مناولة شيء ما بين شخصين»، على انه من السهل ملاحظة ان السياق المناسب يفسح المجال امام الفعل pass بمعناه «يمر» لأن يصاحب «نوع من انواع الخمر المعتق» بنفس السهولة التي يصاحب فيها «ميناء» في سياقات اخرى .

لا نعرف اي محتوى للقضية يجري التعبير عنه مالم نعرف اية جملة من الجمل يجري نطقها، واضافة الى ذلك اذا تضمنت الجملة تعبيرا واحدا او اكثر من التعابير متعددة المعنى فاننا لا نستطيع ان نعرف حسب اي معنى من تلك المعاني استخدمت تلك التعابير، وعليه فان السياق يعتبر عاملا مهما في تحديد محتوى القضية لامارات معينة من نقوش الكلام في مناسبات مختلفة من النطق .

اننا نستخدم عادة معلومات سياقية دون مستوى اليقظة في تفسيرنا للوحدات الكلامية اليومية. ولهذا فان معظم حالات الغموض، نحوية كانت ام معجمية تمر من غير ان نعي بها، فعلى سبيل المثال، تفسر the vintage port «خمر العنب المعتق» على انها تشير الى الخمر، بينما تفسر the busy port «الميناء المزدحم» على انها تشير الى الميناء على اننا ندرك بين فترة واخرى حالات غموض كهذه، والسبب الاكيد لهذه الظاهرة هو ان معلوماتنا السياقية تختلف من حيث المحتوى او الوضوح عن المعلومات السياقية لدى الشخص الذي يشترك معنا في الحديث، وعندما سنفشل في فهم ما يقوله، مترددين بين خيارات من التفسيرات، او اننا نسيء فهم ما نطقه وذلك

بتفسيره على نحو خاطىء، وغالبا ما يستغل كتاب الفكاهة والهزليون الاحتمال الثاني هذا، اذ انهم يهيئون السياق بشكل يدعو المشاهدين الى اعتماد تفسير معين لنقش كلام معين على نحو عفوي، وبعدها مباشـرة وفي ذروة الضحك، يكشفـون لهم بشكل غير مباشر تقريبا بانهم قد خدعوهم .

ليست هناك ضورة في بعض الحالات لتهيأة السياق بشكل خاص لاجل تحقيق الهدف المنشود. حيث ان الوضوح خارج السياق لما سينكشف لاحقا على انه تفسير خادع سيكون كافيا لتحقيق الهدف ولنضرب مثالا اعتياديا فنقول لو ان العبارة :

three strong girls went for a tramp

(خرجت ثلاث بنات قويات في جولة سيرا على الاقدام)

اتبعت بعد توقف قصير بالعبارة :

the tramp died

مات المتسول

فمن المحتمل ان يضمن الهزلي الوقع الذي ينشده وذلك بفضل وضوح معنى went for a tramp خارج السياق الذي يتوافق دلاليا ونحويـا مع معنى «يـذهب للركوب» و «يذهب للسباحة» وهلم جرا .

ولكن حـالات الوضـوح المحددة بـالسياق وحـالات خارج السيـاق يجري استغلالها بطبيعة الحال لاغراض اكثر اهمية في الادب. حيث يتوقع ان يحمل القارىء في ذهنه تفسيرين او اكثر في وقت واحد، وهو اما يتردد بين هذه التفسيرات او يجمع بينها بطريقة ما ليكون تفسيرا مركبا غنيا، ويصف الفلاسفة وعلماء اللغة الغموض عموما كما لو كان حالة اضطراب عقلي بطبيعته، ويمثل حجر عثرة في طريق الوضوح والدقة. وهذه نظرة متحيزة الى حد بعيد وغير متزنة، وهي ترتبط غالبا وعلى نحو خاطىء بفكرة ان للجمل كافة معاني محددة ودقيقة فضلا عن انها مبنية على افتراض خاطىء على حد سواء مفاده ان الوضوح وتجنب الغموض والمواربة مرغوب فيها على

الدوام بغض النظر عن اللعبة اللغوية التي نلعبها، وينبغي ان لا يفسر ما يقال عن الغموض في هذا القسم او في اي قسم اخر من هذا الكتاب على انه يعني ضمنا اننا نتجنب الغموض او ينبغي ان نتجنبه في السياقات كافة .

ولنوجه اهتمامنا الان الى المستوى الثاني الذي يحدد السياق فيه معنى الوحدة الكلامية، حيث يستطيع السياق ان يوضح لنا القضية التي تم التعبير عنها. لقد ميزت في الجزء الثالث بين القضية ومحتوى القضية كما ميزت على نحو مماثل بين (الاشارة) (ومدى الاشارة) واوضحت انه في الوقت الذي يمكننا فيه اقامة محتوى القضية لجملة ما ومدى اشارة التعابير المكونة لها دون اللجوء الى سياق النطق، فانه ليس بامكاننا عموما ان نقيم الاشارة الحقيقية للتعابير المؤشرة، وهكذا لايمكننا ان نحدد اي قضية يجري التعبير عنها دون معرفة السياق الذي تنطق فيه الجملة ويمكننا الان ان نربط هذه النقطة بالمناقشة التي قدمناها توا عن النطق والسياق .

وكما لاحظنا، يمكن وضع I haven't (لا) في توافق مع اية جملة في مجموعة الجمل اللامتناهية العدد وذلك عن طريق مفهوم تحديد السياق ففي نصنا الانموذجي يمكن تحديد هذا التعبير على انه نتاج لنطق الجملة I haven't seen Mary (لم أرَ ماري) التي تتضمن تعبيرين مؤشرين هما «انا» و «ماري». ماذا يشير اليه هذان التعبيران ؟ ليست هناك طريقة لمعرفة الجواب. فاذا وصفنا افتراضات معينة عن انتاج النص هذا، فانه يمكننا القول ان المتحدث او الكاتب، او القائم بعملية الكلام على نحو اعم، يشير الى نفسه باستخدام «انا» وانه يستخدم «ماري» ليشير لا الى نفسه ولا الى المخاطب. على اية حال يجدر بنا ان نذكر هنا انه ليس بامكاننا ان نتحقق حتى من هذا الامر بمجرد الاعتماد على معرفتنا للغة الانكليزية، فهناك ظروف قد يشير المتحدث فيها الى شخص غير نفسه وذلك باستخدام «انا» خصوصا عندما يقوم بدور الناطق بلسان جماعة او هيئة، او عندما يقوم بدور المترجم ، وهناك ظروف اخرى قد

يشير فيها الشخص الى المخاطب باستخدام اسمه . وعلى اية حال، لو فرضنا ان الشخص القائم بالكلام (المتحدث) يشير الى نفسه باستخدام «انا» وانه يشير الى شخص آخر باستخدام «ماري» (وانه يعبر عن قضية ما) فاننا لا نستطيع ان نحدد اية قضية يجري التعبير عنها، كما اننا لا نستطيع ان نقيم هذه القضية من حيث الصدق او الكذب دون معرفة من هو المتحدث ومن هي ماري .

ينبغي علينا ايضا ان نعرف زمن نطق الوحدة الكلامية، وان المتحدث قال haven't وليس didn't او hadn't او don't او can't وهذه حقيقة لها علاقة مباشرة بقيمة الصدق للقضية التي يعبر عنها (وبهذه المناسبة ينطبق هذا ايضا على حقيقة ان هناك اشارة مفهومة ضمنا في معظم السياقات الى الفترة الزمنية التي يكون فيها التعبير الاسنادي have been صادقا او غير صادق، فعلى سبيل المثال، ربما يكون المتحدث قد شاهد ماري في اليوم السابق او قبل فترة قصيرة جدا، ومع ذلك فهو يكون قد عبر عن خبر صادق عندما يقول I haven't وفي حالة وحدات كلامية اخرى علينا ان نعرف لا زمن النطق فحسب، بل كذلك مكانه لكي نحدد القضية التي تم التعبير عنها. وينطبق هذا مثلا على الجملة :

انها لا تأتي الى هنا مطلقا عندما يجب ، اذ ان «هنا» تشير عادة الى مكان النطق بحيث تكون «ماري هنا» صادقة فيما يخص مكان ما في اوقات معينة، وتكون كاذبة بخصوص ذلك المكان في اوقات اخرى. وسنهتم بمثل هذه المسائل في الفصل العاشر. اما الان فنكتفي بملاحظة ان الغالبية الساحقة من نقوش الكلام في غالبية اللغات هي دليلية او تشخيصية على نحو ضمني ان لم يكن على نحو صريح، حيث انها تعبر عن قضايا مختلفة طبقا للسياق الذي تستخدم فيه. وقد ذكرت هذه النقطة عند الكلام عن معنى الجملة في علم دلالة مونتاك في الفصل السابع .

واخيرا نأتي الى التحديد السياقي للقوة اللا كلامية، فكما شاهدنا في الفصل

السابق، يمكن للجملة ذاتها ان تنطق باشكال مختلفة من القوة اللا كلامية في مناسبات مختلفة . فعلى سبيل المثال قد تنطق الجملة التالية :

«ساعطيك خمسة باوندات»

على شكل وعد او تنبؤ، وكذلك قد تنطق الجملة :

«اجلس»

على شكل طلب او امر وهو يعتبر عادة الاستخدام المميز لها ، وقد تستخدم ايضا لتمنح المخاطب اذنا بالجلوس، وغالبا وليس دائما، يبين الكفاف العروضي للمخاطب ان للوحدة الكلامية نوعا معينا من القوة اللا كلامية دون غيره اما ما اذا كان هذا سيبين ايضا عروضيا ام لا (في حالة الوحدات الكلامية المنطوقة) فسيتضح عادة في السياق اي نوع من العمل اللا كلامي قد تم اداؤه. فمثلا يتضح عادة ما اذا كانت لدى المتحدث السلطة لان يأمر المخاطب بالجلوس ام يمنحه اذنا بالجلوس .

ان مقدارا كبيرا من سلوكنا اللغوي يرتبط في الواقع بشكل وثيق بانواع اخرى من السلوك الاجتماعي حيث يمكن التنبؤ في اغلب الاحيان عن ظهور وحدة كلامية ذات قوة لا كلامية معينة وذلك عن طريق الموقف المحدد اجتماعيا الذي تعتبر الوحدة الكلامية جزءً منه، فنحن لا نجلس في دار شخص ما او في مكتبه دون ان ندعى الى دلك. ومن ناحية اخرى وفي اغلب المواقف ـ مثل زيارة لجار جديد او الذهاب الى المصرف لمقابلة مديره حول طلب قرض اعلى من الرصيد، وماشاكلها ـ يتضح لنا وللشخص المشترك معنا في الحديث انه ينبغي تقديم دعوة من هذا القبيل في مرحلة معينة من المحاورة، واذا قمنا بهذا العمل، فانه لا يتوجب على المخاطب ان يحصي القوة اللا كلامية لـ sit down من حيث المبادىء الاولية، بمقتضى معنى الجملة sit down وبمقتضى تقييمه للدافع الذي حدى بالمتحدث ان يقول ماقاله . ان الموقف نفسه يستميله لان يتوقع اما نقش الكلام هذا، او نقشا كلاميا اخرى له القوة اللا

كلامية ذاتها (مثل ?Went you sit down هلا جلست ؟ و ?why don't you take aseat تفضل بالجلوس وهلم جرا). ويمكن القول انه يمكن استخدام هذه الطريقة لتفسير معظم ما يسمى بافعال الكلام غير المباشرة التي ورد ذكرها في الفصل السابق. وعلى اية حال ليس هناك من شك في ان القوة اللا كلامية للوحدة المعجمية يجري تحديدها بواسطة السياق الذي ترد فيه .

اذن يحدد السياق معنى الوحدة الكلامية على ثلاثة مستويات متميزة في تحليل النص ولن احاول في الوقت الحاضر ان احدد ما هو السياق او كيف يمكن تناوله نظريا ويتضح مما قيل في هذا القسم ان سياق الوحدة الكلامية يشمل لا النص المشارك المجاور فحسب (ان وجد هذا)، بل يشمل كذلك الميزات ذات العلاقة المباشرة بظرف النطق، وسنرى فيما بعد ان ما يشار اليه احيانا بسياق الظرف يمكن تعريفه، بل يجب تعريفه بشكل يجعله شاملا لكل شيء في النص المشارك له علاقة بموضوع الترابط، ولهذا السبب اخترت اقتباسا من فيرث firth لمقدمة هذا الفصل .

الاستدلال والتضمين

هناك معنى اعتيادي للفعل imply يعني ضمنا، حيث يمكننا ان نعني ضمنا، بل اننا نعني ضمنا عادة، شيئا ما بواسطة وحداتنا الكلامية يختلف عما نقوله فعلا، فمثلا لو طلب مني ان اعطي رأيي في شخصية شخص ما، فربما ساقول

انه يقاسمك كسرة خبزة

ومن الواضح اني لم اقل ان هذا الشخص شفوق وكريم، الا انه يُفهم ضمنا وبشكل معقول اني قصدت هذا .

ان الكثير من المعلومات التي تنتقل من المتكلم الى السامع في الحديث اليومي مفهوم ضمنا وليس مؤكدا وليس واضحا في بعض الحالات طبعا ما اذا كان المتكلم يريد السامع ان يتوصل الى استنتاج معين ام لا، وهذا يفسح المجال امام سوء الفهم

والتحريف من ناحية والاستغلال الحاذق لفكرة السامع من الناحية الاخرى، على ان السامع لايقوم فقط با ستنتاجات يريد المتكلم ان يتوصل اليها ضمن ما يعتقده المرء انه النوع القياسي للموقف، بل ان الاستنتاجات ذاتها في وضع يجعل المتكلم نفسه يسهم في التوصل اليها ان طلب منه ذلك ولقد افترضت ان الامر هكذا فيما يخص المثال الوارد في الفقرة السابقة، فمن السهولة بمكان ابتكار موقف لا يستنتج فيه السامع ان الشخص المشار اليه شفوق وكريم ومن السهل ايضا ان نفكر بظروف قد يريد المتحدث فيها السامع ان يصل بشكل خادع وغير مخلص الى هذا الاستنتاج.

لقد ادخل مفهوم (التضمين) خلال السنوات الاخيرة في فلسفة اللغة، وبالتالي في علم اللغة، وذلك لملئ بعض الفراغ الحاصل بين المفاهيم المنطقية للاستدلال والوقف اللغوي من ناحية، وبين المفهوم الاعتيادي الاوسع للاستدلال من ناحية اخرى. هناك نوعان من التضمين وفقا لرأي كرايس في محاضراته عن وليم جيمس لعام ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ (راجع كرايس، ١٩٧٥)، وهما : التضمين التقليدي وتضمين الحوار، اما الفرق بينهما فهو ان التضمين التقليدي يعتمد على شيء يختلف عن شروط الصدق في الاستخدام التقليدي او في المعنى التقليدي لصيغ وتعابير معينة، بينما ينشأ تضمين الحوار عن مجموعة من المبادىء الاكثر عموما تقوم بتنظيم المسار الصحيح للمحاورة.

لقد قيل على سبيل المثال ان الفرق بين but لكن و)and(«و» في اللغة الانكليزية يمكن تفسيره بموجب مفهوم التضمين التقليدي، ويدعي مؤيدو هذا الرأي بما فيهم كرايس نفسه ان الجملتين التاليتين لهما محتوى للقضية واحد :

«انها مسكينة وانها نبيلة»

«انها مسكينة ولكنها نبيلة»

واذا ما عتبروا ايضا معنى الجملة مماثلا لمحتواها للقضية فانهم سيقولون ان لهاتين

الجملتين معنى واحد، ولقد بنيت رأيي في الفصل السادس وقلت ان معظم الناس ربما يؤ يدون هذا الرأي، ويمكن لمؤيدي علم الدلالة شروط الصدق ان يواجهوا هذا التحدي اذا تقبلوا فكرة وجود ما يسمى بالتضمين التقليدي. وذلك بان يعزوا الفرق الظاهري في المعنى الى التضمين المتعلق بـ (لكن) ويمكنهم القول إن استخدام (لكن) بمقارنتها بـ (و) يدل على ان المتكلم يشعر ان هناك نوعا من التباين بين القضايا التي تربطها (لكن)

ولو افترضنا على سبيل المثال ان الجملتين المذكورتين اعلاه تستخدمان للتأكيد وان she (هي) تشير الى الشخص ذاته في كل من العبارتين المربوطتين بـ لكن عندما نقول :

انها مسكينة ولكنها نبيلة

فان المتكلم قد يعني ضمنا (ولو انه لم يؤكد) انه من المستبعد ان يكـون الشخص مسكينا ونبيلا في وقت واحد، ولكن هل سيكون الاستدلال او التضمين حاسما بهذا الشكل؟ وليست هناك طريقة خارج السياق لمعرفة اية قضية من القضايا العديدة يعنيها المتكلم ضمنا، فقد يكون مستغربا لا لان شخصا ما يكون مسكينا ونبيلا، ولكن الغرابة هي ان امرأة تكون هكذا؛ او ان يكون هكذا اي امرىء ضمن ظروف هذا الشخص او ان يكون الشخص هكذا في اية ظروف كانت. وفي الواقع لا يظهر المتكلم استغرابه على الاطلاق، انما يظهر فقط توقعه من ان الشخص المشترك معه في الحديث سيكون مستغربا. وفي الحقيقة هناك مدى واسع من الاحتمالات الاخرى يمكن وضع بعضها بشكل عام تحت مفهوم التباين. ومن الصعب كثيرا في اغلب الاحيان ان نحدد على وجه الدقة ما يجري تضمينه باستخدام (لكن)، كما يستحيل القيام بهذا العمل ان ناخذ بنظ الاعتبار وبشيء من التفصيل الـ ياق الحقيقي للنطق.

ان الذين عالجوا مفهوم التضمين يؤكدون عادة ان الفرق بين (و) و (لكن) لايمكن اعتبار جزءً من محتوى القضية للعبارات المركبة التي تظهر فيها ، وقد ابديت تقبلي لهذه الفكرة ضمنا في الفصل السادس ، الا ان هناك ظروفا يمكن للمتحدث ان يستخدم فيها لكن للتباين ضمن مدى الفعل «يقول» وحتى ضمن مدى الصفة «صادق». فعلى سبيل المثال قد يدعي المتكلم في مرحلة من مراحل المناظرة ان المشترك معه في الحديث يحرف مايقوله كما يلي :

لم اقل انها مسكينة ولكنها نبيلة . ولقد قلت انها مسكينة ونبيلة وهذا شيء مختلف تماما . انا شخصيا لا اجد اية غرابة في ان يتصف شخص ما بالصفتين . لنلخص اذن ما قلناه . صحيح انها مسكينة ونبيلة وليس صحيحا ـ حسب رأيي على الاقل ـ ان تكون مسكينة ولكنها نبيلة . وكلانا يعبر عن صدق قضية انها مسكينة وانها نبيلة . ويبدو اننا لا نتفق في الرأي فيما يخص صدق قضية انها مسكينة ولكنها نبيلة

لقد كونت هذه الفقرة عن قصد بحيث انها تبدأ بالاستخدام الاعتيادي «يقول» وتنتهي بالاستخدام التقني المتميز «للقضية»، واعتقد اننا قلما نشك في ان استخدام لكن و بشكل متباين ضمن مدى «يقول» هو اكثر طبيعيا من استخدامها ضمن (القضية). ومع ذلك تعتبر الفقرة الوارد ذكرها اعلاه مقبولة تماما في مجملها .

ليس من الصعب ايجاد امثلة مماثلة او تكوينها بحيث يمكن للعبارات المركبة فيها والتي تحتوي على لكن ان تستخدم بعد الفعل «يقول» فيما يبدو ان يكون على الاقل معنى للفعل «يؤكد». ان هذا لا يبرهن على ان لكن تسهم بشيء يختلف عما تسهم به و في محتوى القضية لعبارات كهذه. على ان ما يظهره هذا فعلا هو ان التمييز بين ما يقال وما هو مقصود ضمنا على نحو تقليدي لا يكون واضحا على

الدوام في الاستخدام الاعتيادي للفعل «يقول». واهم من هذا ان يبين ايضا كيف يتم استغلال المصادر المعجمية والنحوية للغة معينة في وضع قضية لما هو ليس قضية في طبيعته. وان لهذه المسألة اهمية كبيرة، وساقوم بمعالجتها واضرب لها امثلة في الفصل القادم.

ان المثال الاخر الوحيد الذي يقدمه كرايس لتوضيح مفهومه للتضمين التقليدي هو استخدام اذن على انه اذا القينا نظرة على المدى الكامل للاستخدام اللغوي وليس مجرد البراهين الشكلية كما يفعل كرايس، فان بامكاننا ان نوسع قائمة الصيغ التي تتماشى مع معايير كرايس للتضمين التقليدي الى حد كبير. فالعديد من الصيغ التي تساعد على اعطاء التماسك للنص، والتي تربط وحدة نصيه باخرى، تقع ضمن مدى تعريفه «تعريف كرايس)، وتتضمن هذه الصيغ مايلي: «علي اية حال» و«اضافة الى ذلك» و «مع ذلك» و «علاوة على ذلك» وماشاكلها. وكذلك هو الحال فيما يخص مايسمى بالادوات الشكلية مثل: (حتى) و (الى حد بعيد) و (تماما) وكما هي مستخدمة في الوحدات الكلامية التالية:

حتى هوراس يحب الكافيار

قد تكون محقا الى حد بعيد

كانت تماما احدى تلك الاشياء

وهناك عدد قليل نسبيا من الادوات الشكلية في اللغة الانكليزية، كما هو الحال في اللغة الفرنسية بمقارنتها باللغة الالمانية واللغة الروسية ولغات عديدة اخرى، الا ان اللغة الانكليزية فيها بعض هذه الادوات بكل تأكيد، يضاف الى ذلك ان دلالة معنى هذه الادوات وتقليديتها واضحان في حقيقة انه يمكن اساءة ترجمتها، ومن الجدير بالملاحظة ان اساءة الترجمة ممكنة حتى في الحالات التي تكون فيها الترجمة الدقيقة غير ممكنة.

هناك نقطة اخرى ينبغي توضيحها، وهي انه يبدو ان ليس هناك سبب لجعل مفهوم التضمين التقليدي مقتصرا على ادوات الربط والحروف اذ ان العديد من التعابير المعجمية الكاملة مترادفة وصفيا، الا انها تختلف فيما يخص معناها الاجتماعي ومعناها المعبر، ويبدو ان الجزء الاكبر من هذا الاختلاف، ان لم نقل كله، يقع ضمن مدى تعريف كرايس للتضمين التقليدي ويصح الشيء ذاته على جزء كبير من الفرق الذي تحمله السياقات الخاصة وذلك باختيار صيغة واحدة من صيغ التعبير دون سواها. فعلى سبيل المثال اذا قال المتحدث :

يحثنا السيد المسيح على حب جارنا

او لقد حثنا السيد المسيح على حب جارنا

وليس حثنا السيد المسيح على حب جارنا

يمكن اعتباره انه قصد ضمنا ان توجيه السيد المسيح او حثه كان له ومازال سلطة ومفعول معينان وفي الحقيقة ان اختيار زمن الفعل وصيغته مرتبط عموما بفروق دلالية وتجريبية من هذا القبيل. وحتى لوحددنا انفسنا بالجزء اللفظي من نقوش الكلام القابل للانتقال ضمن وسط مادي فانه يمكننا ان نرى ان بامكان المتحدث استخدام مدى من الوسائل اوسع بكثير من الصيغ **لكن** و **لهذا** و **حتى** وماشاكلها ليقصد ضمنا شيئا ما اضافة الى ما تعنيه هذه الوسائل بالفعل .

اما النقطة الثالثة والاخيرة فهي انه لايوجد هناك سبب لتحديد تطبيق مفهوم التضمين التقليدي على المعنى الوصفي او معنى القضية تماما كما هو الحال فيما يخص المناظرة الشكلية تقريبا ولقد افترضت من قبل ان فوارق المعنى الاجتماعي المعبر القائمة بين التعابير المترادفة وصفيا (بقدر كونها اصبحت وحدات معجمية في لغات معينة) يمكن وصفها ضمن مدى مفهوم التضمين التقليدي، الا ان المعنى الاجتماعي والمعبر يمكن التعبير عنه على مستويات التركيب اللغوي كافة، وهو غير متجانس

تماما. وقلما نجد عددا من علماء المنطق او علماء اللغة من يرغب في ان يتعمق في مفهوم التضمين التقليدي بالقدر الذي توصلت اليه. وفي الواقع هناك عدد كبير من الذين ينكرون صحته على الاطلاق، ويدعي قسم منهم ان حالات التضمين هي اما حالات وقف لغوي او حالات تضمين من النوع الذي سماه كرايس بتضمين الحوار وليس التضمين التقليدي. وهناك فريق من الذين ليس لديهم التزام نظري مسبق بتعريف المعنى حسب شروط الصدق على وجه الحصر، ويقوم هؤلاء فقط ببيان ان انواع المعنى كافة تصبح معترفا بها - اي انها تصبح تقليدية حسب مصطلحات كرايس - في التركيب النحوي والمعجمي للغات معينة .

لقد اثار ما يسمى بحالات تضمين الحوار لكرايس اهتماما في علم اللغة اكثر بكثير من الاهتمام الذي اثارته حالات التضمين التقليدي. واني استخدم «مايسمى» لان المعنى الاعتيادي للحوار اضيق بكثير ولسنا مهتمين بالحوار فحسب بل كذلك بانواع التعامل الاجتماعي كافة، وهذا يضم لغة الكلام ولغة الكتابة

الفكرة الاساسية هي ان السلوك اللغوي على اكمل وجه هو صيغة من صيغ التفاعل الاجتماعي الهادف الذي يحدده مبدأ التعاون. ويزعم كرايس من حيث الاساس اننا نتوقع ان يتصرف الناس بشكل معقول وتعاوني ولهذا فاننا نفسر وحداتهم الكلامية على انها معقولة وتعاونية .

يعترف كرايس بانواع عديدة من التعاون ويصنفها على نحو اعتباطي بعض الشيء تحت العناوين التالية : الكمية والنوع والعلاقة والاسلوب، ويتضمن كل من هذه العناوين مجموعة مكونة من مبدأ واحد او اكثر من المبادىء الفرعية صاغها كرايس باعتبارها مبادىء اساسية توجيهية يتبعها عادة المشاركون في المناقشة الا انهم قد يخالفونها في بعض الاحيان

فهناك مثلا مبدءان اساسيان لهما علاقة بالكمية، وهما(١) اجعل اسهامك غنيا

بالمعلومات بالقدر المطلوب و(٢) لاتجعل اسهامك اغنى بالمعلومات من القدر المطلوب، فاذا تمسكنا بهذين المبدأين فانه يمكننا ان نفسر حقيقة انه اذا سأل (س) السؤال التالي :

هل غسلت الصحون ووضعت كل شيء في مكانه ؟

واجاب عنه (ص) بما يلي :

لقد غسلت الصحون

فقد يستدل ان ص قصد ضمنا، في غالبية السياقات ، انه لم يضع كل شيء في مكانه. ان هذا الاستدلال او التضمين ينشأ من ان ص تعمد ولم يقل نعم او مايعادلها فيما يخص القضية المركبة التي قدمت له. اما القضية البسيطة «لقد قمت بالغسيل» فتحمل معلومات اقل من تلك التي تحملها القضية «لقد غسلت الصحون ووضعت كل شيء في مكانه» واذا فرضنا ان ص متعاونا كما ينبغي وقدم ما ينبغي من المعلومات فان بامكان س ان يستنتج على نحو معقول ان ص في الحقيقة لايمكن ان يؤكد القضية «لقد وضعت كل شيء في مكانة» .

وكذلك اذا تمسكنا بالمبدأ الاساسي «ليكن قولك ذا علاقة مباشرة» (باعتبار ان هذا يصنف تحت عنوان العلاقة) فانه يمكننا ان نفرض تفسيرا على الحديث الاتي :

س : ان الساعة مقصرة في الوقت

ص : حصل انقطاع في التيار الكهربائي صباح اليوم

اننا نفترض ان محتوى القضية لجملة ص الخبرية يتضمن علاقة بمحتوى القضية لـ س، خاصة وان ص يقدم شرحا او قد يقدم شرحا لما يؤكده س على ان الامر هكذا ، وبطبيعة الحال يعتمد افتراضنا في ان جملة ص لها علاقة مباشرة لجملة س لا على معرفتنا الخلفية عن الساعات الكهربائية فحسب، بل كذلك على الافتراض الاضافي من ان ص يشارك س في هذه المعرفة الخلفية ويعرف ان الساعة المقصودة تعمل بالتيار

الكهربائي او انها قد تعمل بالتيار الكهربائي القادم مباشرة من نقطة الكهرباء القادم مباشرة من نقطة الكهرباء الرئيسة، ومن السهل ان نلاحظ ان امثلة من الحوار الاعتيادي كالوارد ذكره في اعلاه تعتمد في ترابطها المنطقي ـ ارتباطها لتكون نصوصا ـ على مجموعة كاملة من الافتراضات من هذا القبيل تخص ثقافات معينة ومجموعات معينة .

ان جزءا كبيرا من الاهتمام الذي اثارته كتابات كرايس عن حالات التضمين ينشأ عن قدرتها الايضاحية لمجموعة منوعة من الظواهر التي تقلق علماء علم الدلالة الشكلي، وتشمل هذه الظواهر التفسير المجازي وافعال الكلام غير المباشر وتأكيد الحشر والتناقضات ويضيق المجال او اني غير قادر على معالجة كل هذه الظواهر ، الا اني ارى من المفيد ، على اية حال، ان اقول شيئا عن امكانية تطبيق مبادىء كرايس في التعامل التعاوني باللغة في تفسير حالات المجاز .

ساتخذ من الجملة التالية مثالا لي :

«جون نمرٌ»

التي تفسر حرفيا ومجازيا، وقبل ان نمعن النظر في هذه الجملة في ضوء مبادىء كرايس في التعامل التعاوني اود ان اكرر نقطه اوردتها في نهاية الفصل الخامس عن التفسير الحرفي لجمل كهذه .

لقد وصف علماء اللغة جملا كهذه في اغلب الاحيان على انها شاذة او تناقضية . على اية حال، لو فرضنا ان الجملة لا تخالف شروط تطابق الاصناف لتعميم كهذا ، بحيث لا يمكن تفسيرها في اي عالم ممكن، فانها تعتبر سليمه التركيب تماما من الناحية الدلالية، وان القضية التي تهدف التعبير عنها ليست تناقضا. ان لـ «جون نمر» تفسير حرفي غير تناقضي من وجهة النظر هذه، وان استخدمت كلمة «جون» لتشير الى انسان، بل هناك انواع متعددة من الظروف الاعتيادية قد تنطق فيها «جون نمر»

(اشارة الى رجل او ولد) لتأكيد قضية صادقة. فعلى سبيل المثال قد يقوم جون بدور النمر في تمثيلية عن الحيوانات، وعندئذ تكون القضية «جون نمر» صادقة بموجب التفسير الحرفي ل«نمر» (وكذلك بموجب التفسير الحرفي لفعل الكينونة be). لقد ذكرت هذا النوع من التفسير لهذه الجملة كي ابين اننا قد لا نضطر الى اجراء تعديل على افتراضاتنا الوجودية بشكل ملحوظ عند اعطاء تفسير حرفي لجمل قد تبدو لاول وهلة على انها لا يمكنها ان تحمل تفسيرا حرفيا.

ومما تجدر ملاحظته ايضا هو انه ليست هناك علاقة اوثق بين المعنى الحرفي وشرطية الصدق من العلاقة القائمة بين المعنى المجازي وشرطية الصدق. فاذا ادلي بجملة خبرية على نحو مجازي عن طريق النطق بالجملة «جون نمر» فان القضية المعبر عنها - مهما كان نوعها - ستكون لها قيمة صدق محدودة تماما مثل قيمة الصدق التي تحملها قضية مثل «جون شرس» او «جون نشيط»، واذا سلمنا بهذا فقد يكون هناك غموض مرتبط بعملية التفسير المجازي ذاته، اي انه قد لايكون واضحا للمخاطب اي تفسير من التفسيرات المجازية العديدة ينبغي له اعطاؤه للجملة، على ان هذا مشابه لمشكلة تحديد اي معنى من المعاني الحرفية المتعددة للتعبير المتعدد المعاني هو المقصود، وليس لهذا اية علاقة بشرطية الحقيقة بحد ذاتها.

انا لا اقول بطبيعة الحال ان التعابير المجازية محددة بشروط الصدق، بل اقول انها لا تختلف عن التعابير غير المجازية من حيث الغموض الواضح الذي يعتمد على السياق. فالعديد من السياقات المجازية غير محددة بكل تأكيد فيما يخص شروط الصدق والعديد منها يحتوي على مكون معبر يمكن اعتباره ذا تأثير على تحديد قيمة الصدق الا انها لا تختلف في هذا الصدد عن الجمل الخبرية غير المجازية مثل ماري جميلة او جون شرس و جون نشيط. ان علماء اللغة الذي يميزون بين علم الدلالة والذرائعية عن طريق مبدأ شرطية الصدق، ويعزون التفسير المجازي للوحدات

الكلامية الى الذرائعية قد يقعون في الالتباس حول مسألة كهذه خاصة اذا دمجوا ايضا التمييز بين علم الدلالة والذرائعية بالتمييز بين الكّفاءة اللغوية والاداء اللغوي .

كيف تنطبق اذن مبادىء كرايس الاساسية في التعامل التعاوني على عملية التفسير المجازي ؟ الجواب الشائع عن هذا السؤال هو ان هذه المبادىء لا ترشد المخاطب في بحثه عن تفسير مجازي معين دون غيره، انما تدفع البحث تفسه الى الامام، فعندما يسمع المخاطب «جون نمر» او يقرأها فانه ينبغي عليه ان يعلل قائلا مايلي :

> **لايمكن للمتحدث/الكاتب ان يقصد هذا حرفيا، على انه ليست لدي اسباب تدعوني للاعتقاد انه غير متعاون. ان في نقطة صيغة الجملة الخبرية ، وهذا لابد انه يريد ان يخبرني عن شيء معقول على مايبدو بالنسبة لكلينا (في ضوء معتقداتنا وافتراضاتنا عن العالم ، وما الى ذلك) ، كما يجب عليه ان يظن (اذا كان متعاونا) ان بامكاني ان اجد لنفسي طريقة لفهم المعنى اللاحرفي، استنادا الى المعنى الحرفي على مايبدو (لنقش الكلام كله او لتعبير او اكثر من تعابيره المكونة) . ومن الطرائق المقبولة سياقيا لاستخدام اللغة للتعبير عن شيء يختلف عما يقال فعلا طريقة المجاز . لا بد ان افكر هل بامكاني ان افسر الجملة مجازا .**

لقد وضحت هذا بشيء من التفصيل (علما باني حذفت خطوة او خطوتين من التعليل) لكي اؤكد على تعدد الافتراضات التي تقع ضمن شروحات كرايس عن المجاز وظواهر اخرى .

اود ان اوضح بعض النقاط التي ينطوي عليها الوصف الوارد اعلاه عن تعليل

المخاطب اولا ، ان افتراضه او استنتاجه ان نقش الكلام لا يمكن ان يحمل تفسيرا حرفيا لا يعتمد على كونه شاذا او تناقضيا من ناحية دلالية ، وكل ما يتطلبه الامر ان يكون المعنى الحرفي غير محتمل في ذلك السياق. ثانيا، ان العملية بكاملها تخضع الى قيود تفرضها معتقدات المشاركين في الحوار وافتراضاتهم (بما فيها معتقدات وافتراضات كل منهم عن معتقدات وافتراضات الاخرين) . وتخضع انواع الاتصال كافة الى هذه القيود. ثالثا، لقد جئت بخطوة مستقلة وهي ادراك المخاطب للملائمة السياقية للمجاز، اي ان المجاز اكثر استخداما في سياقات معينة من غيرها، بل ربما وجدت مناسبات يحددها الظرف الاجتماعي الثقافي او الجنس الادبي حين يكون استخدام المجاز فيها شائعا بشكل يمكن للمخاطب ان يحذف الخطوات الاولى من عملية التعليل الموجزة في البداية على اساس ان هناك احتمالا كبيرا في ان تحمل الجملة الخبرية معنى مجازيا اكثر منه حرفيا .

ان مفهوم تضمين الحوار لكرايس ، كما ذكرت سابقا، لا يساعدنا على الاطلاق في معالجة مشكلة تحديد تفسير مجازي معين لـ «جون نمر» دون غيره، وليس هذا هدف كرايس. فهدف كرايس ان يحافظ فقط بكل دقة وثبات على التمييز بين ما يقال فعلا وبين ما يقصد (فضلا عما يقال او عوضا عما يقال) وذلك عن طريق النطق به (وليس النطق بشيء آخر) .

فالطاقة الايضاحية لمبادىء كرايس الاساسية جديرة بالاهتمام من حيث المبدأ. على ان هذه المبادىء ذاتها تطبق حتى الان على مستوى حدسي نوعما. ولقد جرت محاولات لاضفاء الصفة الشكلية عليها ضمن نظرية تكهنية لتفسير النصوص، الا ان نظرية كهذه لم تحض بعد بقبول عام، اذ ان غالبية المعالجات تعتمد على مفاهيم انطباعية بحتة مما يشكل كمية المعلومات والصلة والايجاز والتنسيق .

من بين النقاط التي برزت من خلال مناقشتنا لمفهوم تضمين الحوار لكرايس في الفصل السابق مسألة الدور الثنائي الذي يقوم به السياق . اولا ، ترد الوحدة الكلامية نفسها جزءا في مايسميه جي آر فيرث وغيره بسياق الظرف ، وكما شاهدنا في مناقشتنا للمجاز، قد يكون هذا اذ اهمية في تحديد ما اذا كان تفسير مجازي معين محتملا ام لا لكي نعرف ما هو سياق الظرف . ثانيا ، بعد ان يقرر المخاطب ان هناك شيئا ما يجري التعبير عنه اضافة الى ما قد تم قوله ، فان عليه ان يستنتج ما هو هذا الشيء مستندا الى المعلومات السياقية التي يشاركه فيها الشخص الذي يشاركه الحديث.

لقد جنح علماء اللغة والفلاسفة حتى وقت قريب نحو اهمال سياق الظرف في حديثهم عن مبادىء كرايس الاساسية . وربما يمكن القول انهم فشلوا لهذا السبب في ان يبرزوا بوضوح ، كما كان ينبغي عليهم ، ان السلوك اللغوي انما هو فعالية معتمدة على الثقافة . ان ما يكون الاخلاص والتهذيب يختلف بشكل ملحوظ من مجتمع لاخر، كما لا يمكننا ان نفترض ان العقلانية تبرز بشكل واضح بالطريقة ذاتها في كل الثقافات من حيث نوعية المعلومات او صلتها، وفي الواقع يعاني عرض كرايس الخاص به من وعرض العديد من اتباعه من درجة التميز الاجتماعي ـ الثقافي الى حد ما ، ويقوم الان بتصحيح هذا التحيز العاملون في ميدان تحليل الحوار وميدان ما سمي مؤخرا بدراسة الجانب البشري للكلام .

ويمكن القول ايضا ان كتاب كرايس يعاني من تحيزه الفلسفي لصالح المعنى الوصفي او معنى القضية . ويظهر هذا بجلاء لا في قبوله بنظرية شروط الصدق للمعنى حسب ، بل كذلك في ادراكه للسياق بقدر تعلق الامر بالدور الثاني الذي يلعبه (السياق) كما اشرنا الى ذلك آنفا . فيري كرايس ، وكذلك العديد من الذين

اعتمدوا على ارائه ان السياق مجموعة من القضايا التي يمكن بموجبها تقييم قضايا جديدة من حيث الصدق ثم اضافتها الى السياق (او رفضها على اساس انها غير صادقة) .

بيد ان جزءا كبيرا من المعرفة التي ينطوي عليها انتاج نقوش الكلام وتفسيرها عملي وليس خاصا بالقضية، اي انها مسألة معرفة كيف نعمل شيئا وليست مسألة معرفة ان شيئا ما يكون . وبطبيعة الحال، يمكن دائما (في بعض اللغات على اقل تقدير) ان نصف المعرفة العملية كما لو كانت معرفة قضية. فعلى سبيل المثال، بدلا من القول انه ينبغي على المتحدث ان يكون قادرا على معرفة ما اذا كان الشخص المتحدث معه ذا مكانة اجتماعية اعلى او ادنى منه ، يمكننا القول انه ينبغي على المتحدث ان يعرف ايا من القضيتين التاليتين (ان وجدتا) صادقة : «س اعلى مكانة من ص» و «س اوطا مكانة من ص» (حيث يمثل س و ص التعبيرين المؤشرين وهما يعرفان المتحدث والمخاطب على التوالي) على اية حال، ان حقيقة كوننا نستطيع ان نصيغ المعرفة العملية بمصطلحات القضايا لا يعني انها في الواقع معرفة قضايا، وهنا يمكننا ان نثبت فكرة (مسلم بها في هذا الكتاب) وهي ان المعلومات الاجتماعية والمعلومات المعبرة هي معلومات لا علاقة لها بالقضية

بناء على ما ورد اعلاه يبدو لي ان السياق ليس قضية الى حد بعيد في دوريه اللذين تم تحديدهما سابقا في هذا القسم. ومن الفوائد النظرية لافعال الكلام التي ناقشناها في الفصل السابق هي انها كما صاغها اوستن على اقل تقدير، تعترف بشكل صريح بالتحيز الاجتماعي للغة، فهي كما قلت، نظرية للذرائعية الاجتماعية (حسب معنى اصل الكلمة «الذرائعية») . اي انها نظرية من نوع خاص للفعل الاجتماعي ، وينسجم مع هذا تماما مفهوم السلوك اللغوي لكرايس باعتباره تفاعلا تعاونيا، وكما بينت في نهاية القسم السابق، لا ضرورة لاقتران هذا بالافتراض الذي

يفيد ان المعايير او المبادىء الاساسية التي صاغها كرايس لنوع معين من الحديث في ثقافة معينة ـ نوع معين من التسلية اللغوية كما يسميها وتكنشتاين ـ تصح بشكل عام شامل

ولا يمكن اذن اعطاء جواب بسيط عن السؤال «ماهو السياق ؟»، لقد ناقشت هذا الموضوع بشيء من التفصيل في مكان اخر، وفعل آخرون غيري هذا ايضا وضربوا امثلة مسهبة عنه. ويكفي هنا ان اؤكد ان اللغوي حين يكون نظرية سياق مقنعة، يجب ان يعتمد في تفسير الوحدات الكلامية على نظريات العلوم الاجتماعية ونتائجها بصورة عامة، وهو بذلك يسهم في هذه النظريات، وتشمل هذه العلوم (العلوم الاجتماعية)بشكل خاص علم النفس وعلم المجتمعات الانسانية (الانثروبولوجيا) وعلم الاجتماع .

الخلاصة

لقد وضحت في هذا الفصل اعتماد النص والسياق احدهما على الاخر ، وبينت كيف ان للسياق علاقة مباشرة بتفسير الوحدات الكلامية على مستويات مختلفة ومتعددة، وشرحت مفهوم التضمين التقليدي ومفهوم تضمين الحوار لكرايس بصورة عامة، وبقدر تعلق الامر بالمجاز بصورة خاصة. واخيرا اكدت اهمية التمييز بين اجزاء سياق القضايا وبين اجزائه اللا قضوية، واكدت على معالجة هذا التمييز ضمن اطار النظرية العامة لما يمكن وصفه على نحو صائب بالذرائعية الاجتماعية .

الفصل العاشر
عوالم ضمن عوالم
ذاتية الوحدة الكلامية

«يا هوراشيو ، هناك اشياء في السماء والارض اكثر مما تحلم به فلسفتك»

وليم شكسبير : هاملت

بعد ان القينا نظرة على مفهوم السياق بشيء من التفصيل في الفصل السابق ، يمكننا الان ان نعود الى افعال الكلام والقيام بعملية التحدث، وسنبدأ بالاشارة العلاقة القائمة بين التعابير اللغوية وبين ما تمثله هذه التعابير في العالم او في عالم الحديث. ونتناول بعدها بحث نوع معين من الاشارة وهو التشخيص الذي يعتمد كليا على زمان ومكان النطق وكذلك على دور المتحدث ودور المخاطب في فعل النطق ذاته ، ويقودنا هذا الى مناقشة الهيئة والنواحي الذاتية المتميزة الاخرى لعملية التحدث .

الاشارة

ان الاشارة كما مرّ علينا ذكرها في اجزاء مختلفة من هذا الكتاب تعتمد على الجانب السياقي من معنى الوحدة الكلامية ، فهي تمثل العلاقة القائمة بين المتحدثين

(وعلى نحو اعم بين القائمين بعملية التحدث) وبين ما يتحدثون عنه في مناسبات معينة. ويتحدد مدى الاشارة للتعابير المؤشرة بمعنى هذه التعابير في اللغة (اي بواسطة معناها ودلالتها)، الا ان اشارتها الحقيقية تعتمد على مجموعة متنوعة من العوامل السياقية.

ولايمكننا اذن تحديد اشارة تعبير ما بعيدا عن سياق نطقه، بل يمكننا ضمن قيود علم الدلالة المبني على الجملة ان نقيم مفهوم التعبير. وقد شاهدنا في الفصل السابع ان علم الدلالة المبني على النظرية الانموذجية (الذي يعتبر نظام مونتاك صورة له) يدمج الاشارة بمعنى الجملة بجعله معنى الجملة ذا علاقة مباشرة بالدليل (او نقطة الاشارة) التي تحدد فيها كل المعلومات السياقية ذات العلاقة المباشرة. ولكن هذا لايؤثر على فحوى ما قلناه هنا عن الاشارة باعتبارها جزءا من معنى الوحدة الكلامية. ان علم الدلالة المبني على النظرية الانموذجية يعمل ضمن مفهوم مختلف لمعنى الجملة ويتبنى تعريفا خاصا «للمفهوم» كما شاهدنا ذلك في الفصل السابع. ولن نهتم في الفصل الحالي بهذه الفروق في التعريف وباضفاء الصفة الشكلية، ولكننا سوف نتبادل فكرة العوالم المحتملة وفكرة المفهومية على مستوى حدسي اعتيادي، وقد سبق ان نوقشت هاتان الفكرتان في الجزء الثالث عند الكلام عن نحو مونتاك.

يحلل علماء المنطق القضايا البسيطة عادة الى نوعين من التعابير: اسماء ومحمولات. وتعمل الاسماء على اختيار ـ او الاشارة الى ـ كيانات (او مجموعات من الكيانات) في عالم محتمل يدلى عنه الخبر: أمام المحمولات فتنسب صفات الى كيانات منفردة (او مجموعات منفردة) وتنسب علاقات الى كيانات تضم اثنين او ثلاثة من الافراد (او مجموعات منها). وتضفي الصفة الشكلية على هذا كله ضمن المنطق القياسي للمحمولات.

ليست الاسماء النوع الوحيد في التعابير المؤشرة بموجب المعنى الاعتيادي لكلمة

«اسم» . كما انها ذات طبيعة خاصة نوعما من وجهة نظر دلالية، حيث انها ليس لها محتوى وصفي بحد ذاتها، في لغات مثل اللغة الانكليزية (المقصود بالشرط « في لغات مثل اللغة الانكليزية» الاشارة الى ان اللغات الطبيعية تختلف فيما بينها فيما يخص الطريقة التي تعمل بموجبها التسمية والطريقة التي ترتبط بموجبها هذه التسمية بممارسات ثقافية اخرى وعادات اخرى . اما المناقشات الفلسفية لاسماء العلم فنادرا ما تورد ذكرا لهذه الامكانية او اهميتها النظرية) . فعلى سبيل المثال، ترتبط كلمة «نابليون» بشكل اعتباطي بكيانات عديدة جدا (اشخاص وحيوانات وبواخر ، وماشاكلها) لايجمعها شيء مشترك من حيث المبدأ . صحيح ان احد هذه الكفايات يبرز تماما في الثقافة التي تستخدم فيها اللغة الانكليزية بمقتضى اهمية نابليون التاريخية كان يكون فكرة عامة او مفهوما معينا له علاقة بنابليون (واكتسبت بعض الكيانات الاخرى اسماءها نتيجة لهذه الحقيقة ولاهميتها الحقيقية او المنسوبة اليها في ضوء الاعراف التي تقوم بتنظيم عملية اعطاء الاسماء في ثقافات معينة) . وهذا يعني في حالة عدم توفر المعلومات السياقية الدقيقة بما يفيد العكس ان الاسم «نابليون» بالنسبة لغالبية المتحدثين باللغة الانكليزية يؤشر عادة الى هذا الكيان البارز ثقافيا، ويعني ايضا انه سيكون هناك رصيد كامل من العلاقات والدلالات المشتركة التي تتمركز حول الاسم «نابليون» والتي بدورها تكون ما يشير اليه بعض الفلاسفة بالمفهوم او الفكرة الفردية «نابليون». ولا يعني هذا، على اية حال، ان الاسم «نابليون» بحد ذاته له اي محتوى وصفي او معنى .

واذا استثنينا اسماء العلم ، هناك فرعان رئيسان من التعابير المؤشرة التي يمكن تمييزها نحويا ودلاليا في اللغة الانكليزية ، وهما : العبارات الاسمية المتمركزة حول الاسم والضمائر . ان التحليل التقليدي لما اسميه **بالعبارات الاسمية المتمركزة حول الاسم** (مثل the boy «الولد» those four oldhouses «تلك البيوت القديمة

الاربعة» يمكن الاعتراض عليها على اسس نحوية ودلالية. وتوخيا للبساطة، ساتبنى النظرة التقليدية التي يعتبر الاسم بموجبها في الحقيقة هو المركز او المكون الرئيس في عبارات كهذه، وعلى هذا الاساس استخدمت المصطلح المتمركز حول الاسم. وتجدر الاشارة كذلك الى انني استخدم المصطلح العبارة الاسمية هنا وفي اماكن اخرى من هذا الكتاب على اساس المعنى الذي اكتسبه هذا المصطلح مؤخرا في علم اللغة، وبموجب هذا المعنى، لا تتكون العبارة الاسمية بالضرورة من اكثر من كلمة واحدة.

يمكن استخدام الكلمات التي تشير الى اصناف من الكيانات في بعض اللغات لتشير الى كيانات خاصة دون ان تقترن هذه الكلمات بكلمات وصف (اداة التعريف او اداة التنكير، او صفات الاشارة، وما الى ذلك)، ولا ينطبق هذا على اللغة الانكليزية؛ حيث لايمكن استخدام اسماء مثل «رجل» او «شجرة» دون وصفها باحدى كلمات تحديد الاسم (the «ال» و that «ذلك» وما الى ذلك)، او باحدى كلمات السور one) «واحد» وما الى ذلك)، او بتعبير اكثر تعقيدا للاشارة الى افراد الصنف. الا ان اللغات تختلف فيما بينها بشكل ملحوظ بهذا الخصوص، كما ان هناك فوارق عديدة في التفاصيل بين اللغات التي تقع في صنف واحد (الانكليزية والفرنسية والالمانية وما شاكلها) وبين اللغات التي تقع في صنف آخر (الروسية واللاتينية وما شاكلها)، وانني اذكر هذه الحقيقة لان اغلب النقاش الوارد في ما كتب مؤخرا بهذا الخصوص عن التعابير المؤشرة بصورة عامة، وعن العبارات الاسمية المتمركزة حول الاسم بصورة خاصة يرتبط باللغات التي تشبه اللغة الانكليزية الى حد ما من حيث وظائفها النحوية. ان معالجتي للاشارة في هذا الكتاب انتقائية لدرجة كبيرة، واستخدم فيها بالضرورة امثلة من اللغة الانكليزية وعليه ينبغي عليَّ ان اؤكد ان من المهم ان نضع نصب اعيننا حقيقة ان اللغة الانكليزية هي واحدة

فقط من بين عدة الاف من اللغات الطبيعية التي تتصرف بالاشياء على نحو متفاوت

يمكن تصنيف العبارات الاسمية المتمركزة حول الاسم دلاليا في عدة طرائق، وان احد الفروع التي يعيرها الفلاسفة اهتماما خاصا هو فرع **الاوصاف المعرّفة** : التعابير التي تشير الى كيان محدد وتحدده جزئيا بواسطة المحتوى الوصفي للتعبير وتشمل الامثلة الانكليزية بهذا الخصوص المثالين التاليين : the man «الرجل» و John's father «والد جون». وكما يوضح المصطلح (الوصف المعرف) يمكن تحليل هذه التعابير كافة الى مكونين من ناحية دلالية ان لم تكن نحوية ومعجمية على الدوام؛ واحد هذين المكونين، كما شاهدناه قبل قليل، وصفي (مثلا الكلمة (رجل) في (الرجل)، اما المكون الثاني فخاص بالاشارة فحسب (مثلا اداة التعريف the في اللغة الانكليزية). وسوف اعود الى مكون الاشارة للاوصاف المعرّفة هذا في الفقرة الاتية . واكتفي هنا بالقول ان هذا الكيان غير وصفي حيث انه لا يحدد الكيان المشار اليه عن طريق صفاته المستقلة عن السياق .

يعتبر الاسم الرئيس (مثل «رجل» في «الرجل») وصفيا تقريبا لما يشار اليه تبعا لخصوصية معناه اوعموميته، وتقع الكلمة entity «كيان» ضمن الحدود القصوى للعمومية في اللغة الانكليزية، اذ يمكن استخدامها لتشير الى اشياء مادية وغير مادية، وقد ابتدع الفلاسفة هذه الكلمة عن قصد لتكون لها هذه الدرجة القصوى من العمومية، وحيث انها غير مقيدة وصفيا، فان بامكانها ان ترتبط بسهولة مع اي نعت وصفي اخر او اسم او عبارة وصل او عبارة جار ومجرور وما الى ذلك . الا ان اغلب الاسماء الدالة على الكيان في اللغة الانكليزية ليست هكذا. فهي تقع ضمن اصناف نوعية مختلفة طبقا لما يعتقد انها الميزات الجوهرية (او الميزات الضرورية) لاصناف الكيانات التي تشير اليها وينطبق هذا على الافعال والصفات والظروف وما الى ذلك، اي انها تقع ايضا ضمن فصائل عامة نوعها طبقا لعمومية معناها او خصوصيته (وهذا

هو مصدر ما سميته بتنافر الصنف الذي ميزته عن التناقض : راجع الفصل السابع)

ان مكوني الاوصاف المعرّفة اللذين يمكن فصلهما منطقيا يؤديان الى نـوعين مختلفين من الافتراضات المسبقة : وجودية ونوعية (او صنفية)، فعلى سبيل المثال اذا استخدمنا التعبير the man (الرجل) فيما اسميه بالسياق الاعتيادي فاننا نلزم انفسنا بالافتراض المسبق من ان ما يشار اليه موجود وان له نوعا معينا او صنفا معينا على ان الفلاسفة وعلماء اللغة ناقشوا باسهاب الافتراض المسبق الوجودي خلال السنوات الماضية يعود سبب هذا الى ان الخروج على افتراض مسبق وجودي، خلافا للخروج على افتراض مسبق نوعي (مثل **الرباعية تشرب التسـويق و الخميس والجمعة في فراش واحد** : راجع الفصل الخامس) لايمكن تفسيره على انه شاذ باي شكل من الاشكال ضمن اطار علم الدلالة المبني على الجملة ولنأخذ المثال الشائع الاتي، اذ ليس هناك اي خلل في الجملة التالية :

«ملك فرنسا الحالي اصلع الرأس »

ويحصل الخروج على الافتراض المسبق الوجودي عندما تنطق هذه الجملة في وقت لايكون فيه ملك لفرنسا .

لن ادخل في تفاصيل الجدل المتعلق بمفهوم الافتراض المسبق الوجودي، انما سابين فقط، في ضوء الجمل والوحدات الكلامية والافتراضات المستخدمة في هذا الكتـاب، ان اي شخص يخرج عن قصـد على الافتـراض المسبق الـوجـودي في استخدام وصف محدد مزعوم سيفشل حتما في التعبير عن اية قضية فاذا نظرنا الى الامر هكذا، فان الجزء الاوفر من المناقشات الحديثة الجارية عن الافتراض المسبق يبدو انه ليس الافراغا علينا، مع ما يبدو عليه من الاهمية بالنسبة للملتزمين بنظرية المعنى المعتمدة على شروط الصدق

ولكن هناك امورا هامة ينبغي ذكرها في هذا الصدد، اولا ان الاوصاف المعرّفة

ليست الاوصاف الوحيدة التي تحتوي على الافتراضات المسبقة الوجودية، ولكن التعابير المؤشرة بانواعها كافة تحتوي على هذا ايضا. ان الاشارة ذات صلة ذاتية بالوجود، ولا يستطيع المرء ان يشير الى شيء لا وجود له نعم يستطيع المرء بطبيعة الحال ان يشير الى كيانات خالية وكيانات افتراضات، ولكنه بعمله هذا يفترض مسبقا ان هذه الكيانات موجودة في عالم خيالي او في عالم مبني على الافتراض.

ثانيا، ان كذب المجتوى الوصفي للعبارة المؤشرة ـ وصفا معرّفا كان أم غير معرّف ـ لايبطل عمل الاشارة فيتركها خالية من المعنى، ويمكن للمرء ان يشير بنجاح، وان كان على نحو خاطىء، الى شخص ما او شيء ما عن طريق استخدام وصْف كاذب على ما يبدو ولنفترض على سبيل المثال ان س و ص مجتمعان في حفلة كوكتيل، وان س يلاحظ شخصا ثالثا ز، يمسك بيده كاسا مملوءه بسائل عديم اللون ومحتويا كذلك على ثلج وليمون ففي ظروف كهذه، قد يشير س بنجاح الى ز مخاطبا ص بالعبارة « الرجل (الواقف هناك) الذي يشرب الجن والماء المعدني». وسنعود الى معنى العبارة «الواقف هناك» المحصورة بين قوسين في القسم التالي، ونكتفي هنا بملاحظة ما اذا ستكون هناك عموما ايماءة او اشارة اخرى تسترعي انتباه المخاطب الى الشخص المشار اليه في مثل تلك الظروف التي تصورتها، سواء اضيف تعبير من هذه النوع الى الوصف المعرف ام لم يضف. ونفترض الان ايضا ان كاس ز تحتوي لا على الجن والماء المعدني، بل تحتوي على الماء ـ وان ز كذلك لا يشربه، ولا يعمل به اي شيء اخر، انما فقط يمسك بها ليقدمها الى شخص اخر . ان حقيقة ان المحتوى الوصفي لـ «الرجل الذي يشرب الجن والماء المعدني» كاذب لا تعني ان س قد فشل في الاشارة الى ز. وفي الواقع، ليس هناك ما يدعو س الى ان يخطأ في الحقائق، وهناك انواع متعددة من المواقف اليومية التي نشير فيها الى اشخاص او حيوانات او اشياء، بسبب الاسلوب المهذب واسباب اخرى، بواسطة اوصاف نعرف كذبها او نعتقد انها

كاذبة (مثل : من اين لك تلك البدلة الجميلة؟ وماشاكلها) .

لن اتابع هذه المسألة، بل ان ما اريد تأكيده هو ان الاوصاف المعرفة تعتمد على السياق على نحو اوضح من اعتماد العلم عليه، ولا يمكن وصف استخدامها كعبارة مؤشرة على نحو مرض ضمن اطار علم الدلالة المبني على الجملة وعلى شروط الصدق فحسب فعندما يستخدم المتحدث وصفا معرفا، فانه يشير بواسطة جزء الاشارة من التعبير الى انه يؤدي عمل الاشارة، وانه يؤكد ضمنا للمخاطب ان الجزء الوصفي من التعبير يحتوي على المعلومات المطلوبة كانت في السياق من اجل تعريف الشخص المشار اليه وينبغي اضافة اوصاف وتفاصيل متنوعة من اجل الوصول الى معالجة اكثر شمولا، ولكن هذه هي النقطة الاساسية .

تعتبر الاوصاف المعرفة مجرد فرع من فروع العبارات الاسمية المتمركزة حول الاسم المستخدمة كتعابير مؤشرة وبطبيعة الحال هناك فرع اخر، وهو فرع الاوصاف غير المعرفة (في سياقات معينة ومستخدمة مع ما يسمى بالاشارة المحددة ولو انها غير معرفة) مثل a Man رجل و acentain girl بنت معينة وما الى ذلك. وهناك فرع ثالث اصبح مدار مناقشة وبحث مستفيضين، وهذا هو ما يدعى بالعبارات الاسمية الدالة على السور مثلا all man كل الرجال و evey girl كل بنت ، وما الى ذلك ، وقد ظهرت انواع متعددة من المشاكل التي لم تخطر ببال من قبل في المحاولات المبذولة لاضفاء الصفة الشكلية على مفهوم الاشارة واقامته على اساس نظري سليم. وسوف اذكر واحدة من هذه المشاكل طالما انها ذات علاقة وثيقة بالاهتمامات الرئيسة لهذا الفصل. وهي مشكلة الاشارة المعتمة

إن السياق ذا الاشارة المعتمة هو السياق الذي اذا عوضنا تعبيرا مؤشرا بتعبير مؤشر اخر يحمل الاشارة ذاتها لا تبقى بالضرورة شروط الصدق للجملة التي يحدث فيها التعويض ثابتة (لقد ذكرت هذا المبدأ فيما يخص الجمل وشروط الصدق، ويمكن

ذكره كذلك فيما يخص الوحدات الكلامية وقيم الصدق بعد اجراء التعديلات الضرورية عليه) ، ولقد وضحت هذه الظاهرة سابقا في الفصل السابع (دون تقديم المصطلح «المعتم» على اية حال)، كما انني بينت، كما نستعيد الى ذاكراتنا، ان الجملتين :

«اريد ان اقابل ما غريت تاجر»

و «اريد ان اقابل اول رئيسة وزراء لبريطانيا»

ليس لهما بالضرورة شروط صدق واحدة، ويعود السبب في هذا الى ان «اول» رئيسة وزراء لبريطانيا يمكن اعطاؤها اما تفسيرا ما صدقيا صريحا تقوم فيه العبارة هذه بتعريف شخص معين (بالطريقة التي تم تلخيصها في هذا القسم)، او تفسيرا مفهوميا لا يكون بموجبه الشخص الذي يفكر به المخاطب موضع اهتمام، بل المهم مفهوم ما يلائم المحتوى الوصفي للتعبير ، وذلك لتوضيح هذه النقطة ببساطة وربما بتحيز في الوقت الحاضر .

يعُرف هذا النوع من المفهومية تقليديا بواسطة العبارة اللاتينية de dicto (عما يقال)، بمقارنتها في هذه الحالة بالعبارة dere (عن الشيء) وهما تستخدمان على نطاق واسع الى يومنا هذا في علم المنطق الشكلي وفي علم الدلالة حسب المعنى المشار اليه هنا. وسوف نعود الى موضوع المفهومية، بقدر تعلق الامر بالاشارة في فقرة لاحقة، ونكتفي هنا بملاحظة ان حالات غموض كهذه مقبولة عموما de re de dicto، ومن النوع الموضح هنا، تعطينا اسبابا مقنعة لتوسيع نظرية الاشارة الى ما وراء حدود ما سميته على نحو غير دقيق وغير ملائم بالسياقات الاعتيادية، بل يمكن القول، كما سنرى لاحقا، ان هناك مقدارا من المفهومية مشمولا في مايدعى بالسياقات الاعتيادية اكثر بكثير مما يفترض وجوده عموما. على انني قد تبنيت في هذا القسم كله نظرة تقليدية نوعما للاشارة.

الفرع الرئيس الثالث من التعابير المؤشرة، فضلا عن الاسماء و العبارات الاسمية المتمركزة حول الاسم، هو فرع الضمائر. ان الكثير مما قلناه هنا عن الاشارة يصح كذلك عل الضمائر، وبما ان للضمائر علاقة جوهرية بالتشخيص والدليلية فسانناقشها في القسم التالي .

الدليلية والتشخيص

ان النوع الثالث من التعابير المؤشرة التي ورد ذكرها اعلاه، ولو انها لم تناقش في القسم السابق، هو نوع الضمائر. وتعتبر الضمائر من الناحية التقليدية بدائل عن الاسم (كما يوضحه المصطلح pronoun = القائم مقام الاسم)، لكن اغلب فروع الضمائر (عدا ضميري الوصل who الذي ـ للعاقل و which الذي لغير العاقل) لها ايضا وظيفة مختلفة تماما يمكن ان يقال انها اكثر اهمية من النيابة عن الاسم الذي يسبقها او العبارة الاسمية التي تسبقها وهذه هي وظيفتها **الدليلية** او **التشخيصية**، ولقد مر علينا ذكر المصطلحين الدليلية والتشخيص في الفصل التاسع واستخدم المصطلح (دليل) في معنى ذي علاقة بالموضوع عند الكلام عن دلالة النظرية الشكلية في الفصل السابع، وسوف نناقش هذين المصطلحين في هذا القسم من وجهة نظر اوسع بكثير. ان الفرعين الوحيدين من الضمائر اللذين سنذكرها هي فرع الضمائر الشخصية من ناحية (مثل «انا» و «انت» و «نحن» وما شاكلها) ، وفرع ضمائر الاشارة من ناحية اخرى (هذا و ذلك). الا ان الدليلية و التشخيص يستخدمان عموما في يومنا هذا ليشملا مدى واسعا جدا من الظواهر، بما فيها ظروف الاشارة (هنا و هناك) وزمن الفعل (ماضي و مضارع ومستقبل)، وفوارق معجمية مثل الفوارق المتمثلة في اللغة الانكليزية بالافعال «ياتي» مقابل «يذهب» او (يجلب) مقابل (يأخذ) .

لم يُقم احد حتى الان حسب اعتقادي تمييزا منتظما على اساس نظري جيد بين

المصطلحين الدليلية و التشخيص، ويمكن تفسير كل منهما، كما سنرى ذلك، من حيث اصل الكلمة وعلى اساس مفهوم اشارة الايمائية الا انهما دخلا علم اللغة وعلوما اخرى ذات العلاقة من طرق مختلفة، ولقد ادخل الفيلسوف الامريكي سي اس بيرس (الذي ورد اسمه في الفصل الثاني بخصوص مسألة اخرى) الدليلية (او بالاحرى (الدليل) الذي تشتق منه الدليلية) في علم المنطق وفي فلسفة اللغة، ولم يستخدم علماء اللغة هذا المصطلح الا حديثا اما التشخيص (وعلى نحو اخص الصفة «تشخيصي») فله اصل طويل جدا، ان لم نقل اصل اكثر نبلا ـ اذ انه يعود تاريخه الى مؤلفات النحاة الاغريق. القدامى ؛ ولكن عالم النفس الالماني كي بسولر (١٨٧٩ ـ ١٩٦٣) جعله مألوفا لدى علماء اللغة واخرين غيرهم حسب المعنى الذي يحمله الان. ويمكن اعتبار الدليلية نوعا خاصا من التشخيص في ضوء الاستخدام السائد حاليا للمصطلحين في الفلسفة وعلم اللغة وعلم النفس ، اي انها تشخيصية بقدر كونها ذات علاقة مباشرة في تحديد معنى القضية للوحدات الكلامية، وساتبنى هذه الفكرة على نحو ضمني، على انني اؤكد اني لم اقم باي عمل سوى تنظيم فرق في الاستخدام يمكن تفسيره تاريخيا ويبدو ان التقليد الفلسفي الذي يتم بموجبه تعريف الدليلية هو تقليد مبني على نظرة ضيقة جدا للمعنى .

ان المصطلحين (التشخيص) و (الدليلية) كما ذكرت سابقا، ينشآن عن مفهوم **الاشارة الايمائية**، اي ايماءة جسمية يقوم بها المتحدث عند تعريف المقصود. (تعني deixis «تأشير» او «اظهار» في اللغة الاغريقية، اما index فهي كلمة لاتينية تستخدم للاشارة الى الاصبع المؤشر، ويعتبر التأشير اسلوبا ثقافيا ثابتا يستخدم للتعريف بواسطة ايماءة جسمية) . واي تعبير مؤشر له صفات منطقية مماثلة لصفات الايماءة الجسمية يعتبر تشخيصا بمقتضى تلك الحقيقة ، كما ان الضمائر الشخصية وضمائر الاشارة في استخداماتها ذات العلاقة تعتبر الانواع الاكثر وضوحا من التعابير اللغوية

التي لها صفات كهذه، وهي تشخيصية بكل جلاء حسب تعريف اصل الكلمة هذا فعلى سبيل المثال يمكن للمتحدث ان يشير الى نفسه قائلا سعيد بدلاً من ان يقول انا سعيد، كما يمكنه ان يشير الى صورة معينة معروضة في معرض للصور ويقول جميلة بدلا من ان يقول تلك جميلة . ويطبيعة الحال يمكنه ان يشير في الوقت ذاته الى المقصود ، مستخدما التعبير التشخيصي المناسب اذ تستخدم عادة تعابير تشخيصية عديدة مقترنة بنوع معين من الاشارة الايمائية، ويجدر بنا ان نلاحظ في هذه المرحلة ان مفهوم التعريف الظاهري الفلسفي (كما تم توضيحه في الفصل الثالث، وان لم يكن حسب هذه المصطلحات) يستند الى تفهم الاشارة الايمائية والى التشخيص (ان كلمة osfenseion «الظاهر» على اية حال ليست الا مجرد كلمة ذات اصل لا تيني ، ولها نفس المعنى الذي تحمله deixis «تشخيص» من حيث اصل الكلمة) .

قد يوضح علم اصول الكلمات مصدر المصطلح deixis (تشخيص) ولكنه بطبيعة الحال لا يستطيع ان يفسر على نحو كامل استخدامه السائد حاليا، واذا اردنا ان نفسر استخدامه، علينا ان نستعين بمفهوم السياق التشخيصي باعتباره جزءا متمما لسياق النطق. ان كل عملية نطق ـ كل عمل كلامي ـ يحدث ضمن سياق مكاني ـ زماني يمكن الاشارة الى مركزه او نقطة الصفر فيه بالصيغة هنا ـ و ـ الان، ولكن كيف يمكننا تحديد ال هنا ـ و ـ الان في مناسبات معينة من النطق ؟ اذا تأملنا قليلا فاننا سوف نقتنع انه ليست هناك وسيلة اخرى لتعريف ظرفي الاشارة و (هنا) و (الان) (او مايعادلها في لغات اخرى) سوى الرجوع بهما الى مكان النطق وزمانه، وتشير (هنا)، الى مكان المتحدث، وتشير (الآن) الى لحظة النطق (او الى فترة زمنية تشمل لحظة النطق) اما ظرفا الاشارة التكميليان (هناك وفي ذلك الوقت) فيعرفان على نحو منفي بالنسبة الى (هنا والان) اي ان (هناك) تعني (ليس هنا) وان في (ذلك الوقت) تعني (ليس الان) .

يتركز السياق التشخيصي، اذن، حول صيغة هنا ـ و ـ الان الخاصة بالمتحدث وهو يتميز في الواقع بنوع معين من الانانية المستندة الى المتحدث فالضمير (انا) في اللغة الانكليزية يشير (عادة) الى المتحدث نفسه، وبما ان دور المتحدث ـ وعلى وجه اعم دور الشخص القائم بالكلام ـ ينتقل من شخص لاخر خلال المحاورة فان نطقة صفر السياق التشخيصي سوف تتغير ذهابا وايابا مع تغير اشارتي (انا وهنا) اما اشارة (الان) فسوف لا تتغير ذهابا وايابا بالطبع بالطريقة ذاتها، طالما ان المتحدث والسامع يتصرفان عادة ضمن الاطار الزمني للاشارة ذاته، وضمن الافتراضات الشائعة عن مرور الوقت، ولكن (الآن) يعاد تعريفها باستمرار ضمن هذا الاطار الزمني المشترك للاشارة بفعل النطق، وكذلك هو الحال فيما يخص الازمنة الماضي والمضارع والمستقبل التي تعرف ظاهريا وضمنيا بالنسبة للان المتعلق بالنطق . ويمكننا ان نعتبر الضمير (أنا) وظرفي الاشارة (هنا والآن) ـ وما يعادلهما في لغات اخرى ـ تعابير مؤشرة تقوم باختيار وتحديد مكونات نقطة الصفر المكانية ـ الزمانية للسياق التشخيصي ، ويمكن فصل هذه المكونات على نحو منطقي . وتدخل عادة المكونات الثلاثة كافة ضمن الدليل او ضمن نقطة الاشارة في علم الدلالة المبني على النظرية الشكلية (وقد تدخل معها ايضا مكونات اخرى او قد لا تدخل معها مكونات اخرى. ولن اناقش هذه المكونات هنا). ان كل دليل مماثل لهذا، كما شاهدنا، يميز عالما محتملا عن العوالم المحتملة البديلة له .

لن ادخل في تفاصيل التشخيص المكاني ـ الزماني، فلقد وضحت في الفصل التاسع الطريقة التي نستطيع فيها ان نعرف بهذا التشخيص اية قضية يعبر عنها المتحدث (عندما ينطق متحدث معين جملة معينة في وقت معين) . وكل ما ينبغي عمله هنا هو التأكيد على نقطة عامة وهي ان غالبية نقوش الكلام في اللغات كافة هي دليلية او تشخيصية، حيث تحدد قيمة الصدق للقضايا التي تعبر عنها بالابعاد المكانية

الزمانية للسياق التشخيصي . واذا احتوى نقش الكلام على ضمير شخصي او كلمة اشارة من اي نوع كانت او فعل في الزمن الماضي او الحاضر او المستقبل، او احد تعابير مجموعة كاملة من التعابير مثل «امس» و«السنة القادمة» و«خارج البلاد»، او فعل مثل «يأتي» او «يجلب» فان حقيقة كون نقوش الكلام هذه تعبر عن قضايا مختلفة في سياقات تشخيصية مختلفة تصبح واضحة كل الوضوح .

ولكن الابعاد المكانية ـ الزمانية للسياق التشخيصي قد تكون ضمنية في وحدة كلامية حتى عندما لا تكون صريحة نحويا او معجميا . لندرس على سبيل المثال الوحدة الكلامية التالية :

انها تمطر

فما لم تكن هناك علاقات سياقية بما يفيد العكس (مثلا ربما يتحدث المتكلم عن محتوى مكالمة تلفونية خارجية بعيدة) فان هذه الجملة تشير الى زمن ومكان عملية النطق ذاتها، اي انها تكون معادلة على نحو منطقي للجملة التالية :

انها تمطر هنا الان

ان اللغة الانكليزية، شأنها شأن العديد من اللغات، تضفي الصفة النحوية على البعد الزمني للسياق التشخيصي في نظامه الزمني النحوي، فلو اردنا ترجمة It is raining الى لغة ليس فيها زمن نحوي (مثل اللغة الصينية او اللغة المالوية) ولن تكون هناك اشارة صريحة في نقش الكلام نفسه تشير الى الزمن المضارع، وليس الى الزمن الماضي او الزمن المستقبل، حيث ان كلا من «الان» و «هنا» (ليس فقط (هنا) كما هو الحال في اللغة الانكليزية) يكونان ضمنيين

تختلف اللغات اختلافا كبيرا من حيث درجة اضفاء الصفة النحوية او اضفاء الصفة المعجمية على التشخيص المكاني ـ الزماني. ومن المهم ايضا ان ندرك انه حتى اللغات الكبيرة الشبه ظاهريا (مثل اللغة الانكليزية واللغة الفرنسية واللغة الالمانية)

قد تختلف بشكل ملحوظ في نقاط تفصيلية عديدة، فعلى سبيـل المثال، لاتـطابق الكلمتان الفرنسيتان ici و la الكلمتين الانكليزيتين here و there تماما، كما لا تطابق الكلمتان الالمانيتان kommenو bringen الكلمتين الانكليزيتين come و bring. وقد قامت مؤخرا بحوث كثيرة عن التشخيص المكاني ـ الزماني من وجهات نظر متعددة، ولكن هذا تم حتى الان فقط في عدد محدود جدا من لغات العالم. ويعزز الدليل المتوفر حاليا الرأي المتخذ هنا، وهو ان دور التشخيص المكاني ـ الزماني في اللغات الطبيعية هو الدور المهيمن ولقد بادر علم الدلالة النظري والذرائعية، كما شاهدنا بدراسة مشكلة اضفاء الصفة الشكلية ولكنهما مازالا في بداية الطريق .

والان ينبغي اقـامة تمييـزين، اولهما هـو التمييز بـين ما اسميـه بالتشخيص (الصرف) والتشخيص غير الصرف، اي التمييز بين تعابير يمكن تفسير معناها كاملا حسب مفهوم التشخيص، وبين تعابير بعض معناها تشخيصي وبعضـه الاخر لا تشخيصي. فعلى سبيل المثال يعتبر ضميرا الشخص الاول والشخص الثاني في اللغة الانكليزية y و you تشخيصيين على نحو صرف وهما يشيران الى المتحدث والمخاطب دون اعطاء اية معلومات اضافية عنهما وعلى نحو مماثل تعتبر كلمات الاشارة , this there مقابل that مقابل there تشخيصية صرفة عندما تستخدم مع اشارة مكانية ـ زمانية، اي انها تحدد المقصود (كيـان او مكان) فيـما يخص مكان العمـل الكلامي والمشاركين فيه أما بالنسبة الى ضمائر الشخص الثالث من الناحية الاخرى ـ he و she و it ـ فهي تشخيصية غير صرفة اي انها ترمز الى فوارق في المعنى مرتبطة تقليديا بالمصطلحات مذكر و مؤنث و محايد، وبما ان هذه الفوارق تستند الى صفات المقصود التي لها علاقة بمكانه او الدور لذي يلعبه في العمل الكلامي فانها حتما لا تشخيصية على نحو واضح. مرة ثانية نقول ان اللغات تختلف كثيرا فيما يخص نوع المعلومات اللا تشخيصية التي تدمجها مع المعلومات التشخيصية في معنى تعابير معينة فعلى سبيل

المثال، لا يستند الجنس اللغوي في العديد من اللغات على جنس المقصود او تصنيفه النوعي الى كائن بشري او حيوان او غير ذي حياة، بل تستند على شكله او حجمه او بنيته او صلاحيته للاكل .

من المهم ايضا ان نلاحظ انه قد يكون جزء المعنى اللا تشخيصي للتشخيصيات غير الصرفة وصفيا (او قضويا) او اجتماعيا او معبرا فعلى سبيل المثال، عندما نستخدم she بمعنى «الشخص المؤنث» لتشير الى بنت أو امرأة فان جزء معناها اللا تشخيصي يكون وصفيا الا انه عندما يستخدم على نحو انموذجي من قبل رجل لتشير الى سيارته او الى آليه ميكانيكية فانها تكون معبرة ـ بالرغم ـ من ان الموقف الذي تعبر عنه (وما اذا كانت تدعى جنسية على نحو صحيح) هو مسألة قابلة للجدل. اما بالنسبة للمعنى الاجتماعي فانه يرمز اليه على نحو شائع جدا في معنى الضمائر، وينطبق هذا خاصة وعلى نطاق لا مثيل له في اللغات الاوربية، على اللغة اليابانية واللغة الكورية واللغة الجاوية، وعلى العديد من لغات جنوب شرقي اسيا.
ان ما يدعى بتمييز (V انت / T انتم) الذي نجده في لغات اوربية عديدة والذي تمت مناقشته باسهاب حديثا في ما كتب في علم اللغة الاجتماعي وفي علم اللغة النفسي يمثل هذه الظاهرة على نطاق ضيق نسبيا ، وفيما يخص فقط الضمائر المستخدمة للاشارة الى المخاطب ويشمل هذا التمييز tu مقابل vous في اللغة الفرنسية و du مقابل (sie) في اللغة الالمانية و tu مقابل usted في اللغة الاسبانية وهلم جرا . اما المعنى اللا تشخصيصي المقترن بالتمييز T/V في اللغات التي فيها هذا التمييز كافة فيعتبر اجتماعيا اولا وقبل كل شيء على اساس انه يتم تحديده بواسطة الدور الاجتماعي او بواسطة العلاقات المتبادلة بين الافراد الثابتة نسبيا القائمة بين المتحدث والمخاطب . ولكن الانتقال من ضمير T انت الى ضمير V انتم في بعض اللغات (مثل اللغة الروسية) او الانتقال المعاكس، يمكن ان يشير كذلك الى تغيير في

مزاح المتحدث او في موقفه على ان هذا ليس إلامثالا واحدا على جنوح المعنى الأجتماعي المعبر للاندماج ولان يصبح كل منهما جزءا لا يتجزأ عن الاخر في بعض الاحيان .

اما التمييز الثاني (والذي ينبغي عدم خلطه بالتمييز بين التشخيص الصرف والتشخيص غير الصرف) فهو التمييز بين التشخيص **الاولي** والتشخيص **الثانوي** فالتشخيص الاولي هو من النوع الذي يمكن تفسيره بموجب الاشارة الايمائية ضمن اطار السياق التشخيصي كما تم توضيحه اعلاه اما التشخيص الثانوي فيشمل استبدال الابعاد المكانية ـ الزمانية للسياق التشخيصي الاولى او اعادة تفسيرها ويمكن لهذا الاستبدال او اعادة التفسير ان يتخذ انواعا مختلفة عديدة، ويمكن تسميته في بعض الحالات مجازيا على نحو ملائم، وهنا ساعطي مثالا واحدا فقط .

يمكن تحليل اسماء الاشارة الانكليزية باعتبارها تشخيصات اولية، بموجب مفهوم القرب المكاني ـ الزماني من المركز التشخيصي، اي ان (هذا و هنا) يشيران الى كيانات واماكن تقع في المكان الذي يوجد فيه المتحدث (او انهما يشيران الى نقاط او فترات زمنية تقع في الفترة الزمنية التي تحتوي على لحظة النطق) . وهذا ما يعنيه القرب عندما يستخدم تقنيا في مناقشات التشخيص. بطبيعة الحال يمكن نقل حدود المكان والزمان التي تحتوي على المركز التشخيصي على نحو غير محدود بعيدا عن المركز، اي انه يمكن لـ (هنا) ان تكون لها اشارة و(هذه الغرفة) او (هذه المجرة ذاتها) كما يمكن لـ (الآن) ان تكون لها اشارة هذه اللحظة او هذا العام ذاتها ولهذه المسألة تعقيدات تفصيلية (ويمكن القول ان المصطلح التقليدي (قرب مضلل) الا ان المبدأ واضح بقدر علاقته بالمثال الحالي . وهناك استخدام خاص ـ لـ (ذلك) مقابل (هذا) يعتبر معبرا على نحو ملموس ويمكن تحديد السمة التعبيرية بانها مشابهة لقابلية التعبير الخاصة بالفصل العاطفي او الفصل الموقفي، ويعتبر هذا الاستخدام واحدا من

الاستخدامات العديدة لاسماء الاشارة التي يمكن تحليلها بموجب مفهوم التشخيص الثانوي . فعلى سبيل المثال، اذا امسك المتحدث بشيء ما في يده فانه سيستخدم عادة (هذا) وليس ذلك ليشير اليه (بمقتضى قربه المكاني ـ الزماني) فاذا قال ما **ذلك** ؟ في ظروف كهذه فان استخدامه لـ (ذلك) سيدل على بغضه او نفوره، اي انه سيبعد نفسه عاطفيا او موقفيا عما يشير اليه .

ان هذا مجرد مثال واحد عن نوع واحد من التشخيص الثانوي ، ولقد اخترته لانه يبين على نحو جلي نوعـما ما اقصـده بفصل البعـد المكاني ـ الـزماني للسيـاق التشخيصي او اعادة تفسيره (دونما حاجة الى تقديم شرح مطول تمهيدي لمادة لغوية غير مألوفة او فوارق فنية اضافية) وهناك في اقل تقدير علاقة واضحة حدسية بين القرب والبعد المادي وبين القرب والبعد العاطفي .

ان التشخيص الثانوي من النوع الذي تم توضيحه هنا ، كما سنرى في القسم القادم ، ذو علاقة وثيقة بالشكلية الذاتية . وقبل الانتقال الى هذا الموضـوع او الى مواضيع اخرى ذات علاقة ، اود ان اوضح ان التمييز الذي اقمته هنا بين التشخيص الاولى والتشخيص الثـانـوي يعتمـد عـلى النـظرة التقليـديـة التي ينبغي تعـريف التشخيص بموجبها اولا وقبل كل شيء على انه مسألة الموقع المكاني ـ الزماني في سياق النطق وهناك نظرة بديله ربما يمكن تبريـرها وهي ان التمـركز الشخصي للسيـاق التشخيصي ذاتية بطبيعتها الى حد بعيد ـ حسب المعنى الذي سيتم شرح الذاتيـة بموجبه في القسـم التالي .

الشكلية والذاتية وعامل الكلام

اريد ان اجمع في هذه الفقرة الاخيرة من الكتاب وعلى نحو مقتضب وجازم نوعما بين ثلاثة مفاهيم لم يتم ربطها مع بعضها على نحو وثيق كما ينبغي في غالبية ما

كتب مؤخرا عن علم الدلالة الذرائعية وهي الشكلية والذاتية وعامل الكلام، وفي الحقيقة ربما يكون من الصواب القول انه بقدر تعلق الامر بالمؤلفات التي كتبت في اللغة الانكليزية في هذا الخصوص، تعتبر الغالبية الساحقة من هذه المؤلفات ذات خلل خطير من الناحية النظرية، وذلك بسبب اخفاقها في اعطاء القيمة الحقيقية التي تستحقها هذه المفاهيم الثلاثة وتوافقها، وقد يعزى سبب هذا الاخفاق الى التقليد التجريبي الذي مازال يقيم وزنا ثقيلا للاتجاه السائد في الفلسفة وفي علم النفس وفي علم الاجتماع، وفي علم اللغة على نطاق اضيق في كل من بريطانيا وامريكا. ولم يقدم جومسكي ولاغيره ما يستحق الذكر فيما يخص معالجة عيوب المذهب التجريبي في هذا المضمار خلال السنوات الماضية من خلال تأكيدهم المتكرر على المذهب العقلاني الديكارتي. اما بالنسبة للمذهب التجريبي البريطاني والمذهب العقلاني الديكارتي (في الصيغة التي تم تبنيه فيها واعيد تفسيره) فكلاهما يشتركان في الانحياز الفكري الى ان اللغة تعتبر وسيلة ضرورية للتعبير عن الفكر الخاص بالقضية ويتضح هذا الانحياز في عدد كبير من المؤلفات ذات النفوذ الكبير التي تتفق في مسألة عدم الاكتراث بالمكونات التي لا تخص القضايا للغة او التقليل من شأنها، علما انه قد تختلف هذه المؤلفات على نحو ملحوظ في نقاط عديدة، ويظهر الانحياز ذاته في مناقشات الشكلية المنطقية القياسية .

ان النوع الوحيد من انواع الشكلية المعترف به في علم المنطق الشكلي التقليدي هو النوع الذي له علاقة بمفهومي الضرورة والامكان بقدر تعلقهما بصدق (او كذب) القضايا، وهذا النوع هو الشكلية الا ليثيوية) (الاليثيوية) مشتقة من كلمة اغريقية تعني الصدق). ولقد القينا مسبقا نظرة على موضوع صدق وكذب القضايا في مناسبات عديدة وفيما يخص الوقف اللغوي والتحليلية بالذات في الفصل الرابع، كما لاحظنا في الفصل السادس ان عاملي الشكلية N و M يعتمدان على دالة الصدق،

شانهما في هذا شأن عامل النفي في التفاضل والتكامل للقضايا . هنا ينبغي ان نضيف ان الضرورة والامكانية الاليثيويتين يمكن تعريف كل منهما بواسطة الاخرى ضمن النفي . ولنأخذ المثال المستخدم في الفصل السادس : (تعتبر من الضروري ان تكون السماء زرقاء اللون) معادلة منطقيا (ليس من الممكن ان تكون السماء غير زرقاء (Np⟺~M~P) . كما تعتبر «يمكن ان تكون السماء زرقاء معادلة منطقيا لـ «ليس من الضروري ان تكون السماء غير زرقاء)P ~ N ~ ⟺ Mp وهناك انواع اخرى من الضرورة والامكانية التي لها الصفات المنطقية ذاتها من حيث النفي .

تعتمد الشكلية الاليثيوية بالتعريف اذن على دالة الصدق كما هو الحال فيما يخص نفي القضية ولكن ماذا عن الشكلية في استخدامها اليومي في اللغات الطبيعية ؟ ولنأخذ مثالا اخرا من الامثلة المستخدمة في الفصل السادس وهو He may not come «من المحتمل انه لن يأتي» . مما لاشك فيه ان المرء يمكن ان يستخدم هذه الجملة للتأكيد على قضية نفي اضفيت عليها الصفة الشكلية (لها نفي خارجي او نفي داخلي : اما ~ (M P) او M ~ P) . وفي هذه الحالة تفسر كل من اداة النفي not والفعل الشكلي may على نحو موضوعي على انهما يسهمان في محتوى القضية للجملة .

هناك احتمال في ان تكون الشكلية في هذه الجملة بالذات امام (ادراكية او خلقية) اكثر من كونها اليثيوية . ولقد قدُم المصطلحان (معرفي) و(خلقي) في الفصل الثامن كما نتذكر، وساستخدمها الان حسب استخدامها في علم المنطق الشكلي الحديث دون اعطائها تعريفا رسميا، فاذا اعطينا جملتنا الانموذجية تفسيرا معرفيا موضوعيا فسيكون محتواها للقضية «طبقا لما هو معروف من الممكن انه لن يأتي» اما اذا اعطيناها تفسيرا خلقيا موضوعيا فسيكون محتواها للقضية «ليس مسموحا له ان يأتي» وسنلاحظ في كلتا الحالتين ان الشكلية تمثل في حقيقة الامر على انها شيء له وجود في

عالم معرفي وخلقي يعتبر خارجيا بالنسبة لكل من ينطق الجملة في مناسبات معينة من النطق . وهذا هو ما اعنيه باضفاء الصفة الموضوعية على الشكلية .

على اية حال يمكن ان تكون الشكلية المرتبطة بالفعل الشكلي may ذاتيـة و ليست موضوعية بغض النظر عما اذا كانت الجملة He may not come تفسر على نحو معرفي او خلقي ، وهذا يعني ان الشخص القائم بالكلام يمكن ان يعبر من خلال نطقه بهذه الجملة عن معتقداته الخاصة ومواقفه وليس التحدث عن وجـود حالـة الامور هذه او تلك على اساس انه مراقب محايد . وتعتبر الشكلية الذاتية اكثر شيوعا بكثير من الشكلية الموضوعية في غالبية الاستخدامات اللغوية اليوميـة . كما تعتبـر الشكلية الموضوعية المعرفية بصورة خاصة نادرة جدا ، فاذا انطقت الجملة He may not come بشكلية ذاتية معرفية فانها تعني على وجه التقريب «انا ـ اعتقد ـ انه ـ ممكن ـ انه لن يأتي» (حيث يعتبر الجزء المحدد بعلامات الوصل «انا ـ اعتقد ـ انه ـ ممكن» وحدة كلامية) اما اذا نطقت تلك الجملة بشكلية ذاتية خلقية فانها تعني على وجه التقريب «امنعه من القدوم»

لقد استخدم المصطلحان معرفي و خلقي في الفصل الثاني فيما يخص مفهوم الالتزام اللا كلامي ، وفي تلك المرحلة تحـدثت كما لـو كانت الخيـارات الوحيـدة المفتوحة امام الشخص القائم بالكلام خيارات الالتزام التام وخيارات الامتناع عن الالتزام . اما الان فاننا نرى ان الامر ليس هكذا ، وبقدر تعلق الامر بالادلاء بالخبر فهناك طرائق متنوعة يستطيع الشخص القائم بالكلام بواسطتها ان يصف التزامه المعرفي فهو يستطيع ان يبين ان دليله لما يؤكده هو دون الطموح ، وان التزامه تجريبي او انتقالي او مشروط وليس مطلقا وهلم جرا ، وليست الشكلية المعرفية الذاتية غير هذا ، اي انها وصف الشخص القادم بالكلام لالتزامه المعرفي . ان اللغات الطبيعية المنطوقة كافة توفر لمستخدميها المصادر العروضية ـ النبروالتنغيم ـ ليعبروا بها عن هذه

الانواع العديدة من الالتزام المعرفي المشروط التي يمكن تمييزها، وبعض هذه اللغات وليست كلها على الاطلاق تضفي الصفة النحوية على هذه الانواع من الالتزام في باب الصيغة، وان البعض الاخر من اللغات كاللغة الانكليزية تضفي الصفة المعجمية او شبه المعجمية على هذه الانواع من الالتزام في باب الصيغة، وان البعض الاخر من اللغات كاللغة الانكليزية تضفي الصفة المعجمية او شبه المعجمية على هذه الانواع من الالتزام وذلك بالافعال الشكلية (may وربما قد و must يجب وما الى ذلك)، وبالصفات الشكلية (possible ممكن، وما الى ذلك) وبالظروف الشكلية (p-ossibly (ومن الممكن)، وما الى ذلك) وبالادوات الشكلية (perhaps«ربما» وما الى ذلك) .

يتضمن التأكيد، حسب المعنى التقني لهذا المصطلح الألتزام الكامل المعرفي غير المشروط تماما، وان عددا قليلا نسبيا من جملنا الخبرية اليومية تتصف بهذه الصفة المحايدة النزيهة اللاذاتية كلية. على ان اللغة الانكليزية لا تسمح لنا ان نكون جملا خبرية يمكن تصنيفها على نحو معقول على انها جمل تأكيدية إلا إنها تمكننا، كما شاهدنا، من جعل كل من الشكلية المعرفية ومن الشكلية الخلقية موضوعية ـ وذلك باضفاء الصفة الخاصة بالقضية على محتوى الافعال الشكلية والظروف الشكلية، ووضع هذا كله ضمن مجال الـ «انا اقول هكذا» غير المشروط الذي يطلقه الشخص القائم بالكلام، ولكن اللغة الانكليزية بكل تأكيد ليست الانموذج للغات العالم في هذا الخصوص. ويصح القول تماما كما افترضنا في الفصل الثاني، ان اللغات كافة تمكن مستخدميها من الادلاء بالخبر من نوع او اخر. ولا يصح القول ان اللغات كافة تهيىء لمستخدميها وسائل لتكوين تأكيدات شكلية غير مشروطة، فعلى سبيل المثال هناك العديد من اللغات الهندية الامريكية التي تحتوي على عدة صيغ غير تقريرية لأنواع مختلفة من الشكلية المعرفية. ولكنها لا تحتوي على اية صيغة تقريرية. وتعزز

هذه الحقيقة بغض النظر عن كل الاعتبارات الاخرى النقاط التي طرحتها في الفصل السادس عن ضرورة التمييز بين الصيغة الخبرية والصيغة التقريرية .

يجدر بنا ايضا ان نسترعي الاهتمام الى حقيقة انه يصعب في اغلب الاحيان اقامة تمييز دقيق بين زمن الفعل وصيغته من وجهة نظر دلالية وعملية، اذ ان هناك استخدامات لما يوصف تقليديا بالزمن الماضي والزمن المضارع والزمن المستقبل التي لها علاقة اقوى بالتعبير عن الشكلية الذاتية من علاقتها بالتشخيص الاولي، وينطبق هذا حتى على اللغة الانكليزية حيث يمكن تحديد الزمن فيها دون اية صعوبة تذكر على انه باب تشخيصي. فعلى سبيل المثال عندما يقول المتحدث thet will be the postman ذلك الرجل ساعي البريد، فانه من المحتمل انه يدلي بخبر معرفي مشروط عن الوقت الحاضر اكثر منه تأكيد غير مشروط عن المستقبل، وعندما يقول I want to ask you whether you needed the car to day اردت ان اسألك عما اذا كنت تحتاج السيارة اليوم فانه من المحتمل ان يقدم رجاء يدل على التردد والآنية اكثر من وصفه حالة من الوعي للزمن الماضي وربما يمكن بطبيعة الحال تفسير بعض استعمالات الازمنة هذه بموجب مفهوم التشخيص الثانوي الا ان التشخيص الثانوي والشكلية الذاتية، كما ذكرت في القسم السابق، لايمكن التمييز بينهما في اغلب الاوقات، وبالرغم من انني لن ادخل في تفاصيل هذا الموضوع في هذا الكتاب، الا انني يجب ان اذكر ان الزمن نفسه يمكن تصوره على انه مسألة تخص الشكلية اولا وقبل كل شيء اذا ما نظرنا اليه من وجهة نظر اكثر شمولا .

بقيت لدينا الان نقطة واحدة وهي ان اوضح المعنى الذي استخدم فيه المصطلح «الذاتية» في هذه الفقرة على نحو اكثر عموما وليس فقط فيما يخص الشكلية فعندما اتحدث عن (ذاتية النطق) فانني اشير الى تعبير الشخص القائم بالكلام عن ذاته من خلال نطقه، وعن انعكاس هذا على التركيب الصوتي والتركيب النحوي

والتركيب المعجمي لنقش الكلام. وهنا ينبغي التأكيد على نقطتين تخصان مفهوم التعبير عن الذات الذي استعين به في هذا التعريف (للذاتية) .

النقطة الاولى هي اني اود ان يفهم المصطلح والتعبير عن الذات على نحو صرفي . فالنفس لا ينبغي لها ان تُفهم على اساس انها يمكن تمييزها منطقيا ونفسيا عن المشاعر والمواقف والعواطف التي تكون الذات قاعدة او موقفا لها، مع هذا فهي تفسر على نحو اضعف كما هي شائعة في التقليد الفكري السائد المشار اليه في بداية هذا القسم على انها القدرة المفكرة التي تعمل على نحو محايد على القضايا المحفوظة في الذاكرة او على القضايا التي ترد الى الذاكرة للحكم عليها من خلال مراقبة العالم الخارجي. لقد اكدت من خلال هذا الكتاب، وفي الفصل الرابع بصورة خاصة اهمية الناحية اللا قضوية للغة . ان عدم ملاءمة علم الدلالة المبني على شروط الصدق باعتباره نظرية اجمالية ليس لمعنى الوحدة الكلامية حسب، بل كذلك لمعنى الجمل يستند اساسا على تقيده بمحتوى القضية وعلى اخفاقها في معالجة ظاهرة الذاتية. ولايمكن للتعبير عن الذات ان يقتصر على التعبير عن معرفة القضية وعلى المعتقدات .

النقطة الثانية هي ان النفس التي يعبر عنها الشخص القائم بالكلام هي حصيلة الدور الاجتماعي والدور القائم بين الافراد اللذين اداهما في الماضي وهي تظهر نفسها بطريقة يمكن تحديدها اجتماعيا في الدور الذي يلعبه هذا الشخص في سياق النطق. ان للمفاهيم المركزية للسلطة المعرفية والسلطة الخلقية اساس اجتماعي كما بينت ذلك في الفصل الثاني خلال مناقشتي لنظرية اوستن لافعال الكلام، الا ان المجتمع يعهد بهذه المفاهيم الى الفرد، فهي جزء من النفس التي يعبر عنها متى ما نطق جملة ذات سياق اجتماعي مناسب .

لم تناقش ذاتية النطق نقاشا كافيا في المؤلفات الانكليزية الحديثة من وجهة

النظر التي شرحت بها الذاتية، ولكنها حضيت باهتمام كبير من لدن العلماء الفرنسيين والالمان، ربما لان مفهوم الذاتية نفسه يلعب دورا اكثر اهمية في التقليد الفلسفي الاوربي. ومهما كان الامر فانني ارى ان مقدارا كبيرا من بنية اللغات كافة لا يمكن شرحه دون اللجوء الى الذاتية، فضلا عن ان بعض اللغات هي اكثر تشبعا بالذاتية من غيرها من اللغات لاسباب تاريخية واخيرا اجتماعية علما ان هذه المسألة تثير جدلا اكثر.

لقد ذكرت في نهاية الفصل السابع فكرة امكانية الوصول القائمة بين العوالم المحتملة. وقلت انه ينبغي للمتحدث ان يشير الى العالم الذي يصفه من وجهة نظر العالم الذي يعيش فيه، وكان بامكاني ايضا ان اعكس الامر فاقول انه ينبغي للمتحدث ان يشير الى العالم الحقيقي او العالم غير الحقيقي الذي يصفه من وجهة نظر العالم الذي يختلج في ذهنه. ومهما كانت الطريقة التي تتم بموجبها صياغة علاقات امكانية الوصول هذه فانه يتضح لنا الان انه يمكن تفسير هذه العلاقات بموجب الشرح الذي قدمته هنا عن الدليلية والشكلية المعرفية الذاتية.

ليس هناك ما يدعو للاعتقاد ان هذه المفاهيم تتعدى مجال اضفاء الصفة الشكلية. وان اشارتي في الواقع الى مفهوم امكانية الوصول التي اوردتها في نهاية الفصل السابع واوردتها ثانية في هذه المرحلة اريد بها ان اقترح ان علم دلالة النظرية النموذجية او علم الدلالة الدليلي ليس بالضرورة حصرا على الجزء المعتمد على شروط الصدق من المعنى اللغوي، ومما لاشك فيه يمكن توسيع هذه الاشارة لتشمل كل ما تمت مناقشته في هذا الفصل باعتباره ضمن الذرائعية وليس ضمن علم الدلالة، ولكن هذا لايعبر عن الواقع، فكما شاهدنا في مناسبات عديدة هناك طرائق عديدة لبيان هذه الفوارق في المصطلحات.

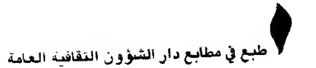
الخلاصة

لقد عالجت في هذا الفصل الاخير ثلاثة موضوعات يتفق الجميع على اهميتها الكبيرة في بناء نظرية لمعنى اللغة الطبيعية وهي الاشارة والتشخيص والشكلية، الا انني عمدت الى هذا من وجهة نظر غير تقليدية نوعها، فقد اكدت خصوصا ما سميته بذاتية النطق . ان للمصطلحين «الذاتية» و(مذهب الفلسفة الذاتية) سمعة سيئة في اوساط العلوم الاجتماعية . على اية حال، انا مقتنع من ان اية نظرية للمعنى تخفق في تفسير ذاتية الاشارة وذاتية التشخيص وذاتية للمشكلية حسب المفهوم الذي تم بموجبه شرح الذاتية في هذا الفصل يكون مصيرها الفشل. وكما بينت هنا، يبدو انه ليس هناك ما يدعو من حيث المبدأ الى عدم امكانية اضفاء الصفة الشكلية على فكرة الذاتية هذه .



المحتويات

ـد لايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٥٠٢ لسنة ١٩٨٦.



اللغة والمعنى والسياق

المؤلف: جون لاينز عالم لغوي كبير من اعماله

علم الدلالة البنيوي

علم اللغة النظري

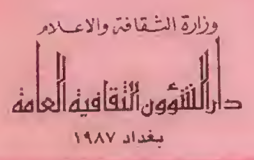
آفاق جديدة في علم اللغة

علم الدلالة

جومسكي

ودار الشؤون الثقافية تقدم كتابه المهم: «اللغة والمعنى والسياق» لتعرف بنظرات هذا المؤلف المتخصص في علم اللغة الذي يؤسس اتجاهاته الجديدة.

الغلاف: رياض عبد الكريم



بغداد ١٩٨٧

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة